

[illegible]

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

PAIR



32101 023481029

الابام عبدالحسين شرف الدين الموسوي
قدس الله سره

الفصول المهمة

في تأليف الامامة

ويليها الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء عليها السلام

للمؤلف أيضاً

(الطبعة الرابعة)

دار النعمان في النجف
للطباعة والنشر
صاحبها حسن الشيخ ابراهيم الكتبي

al-Mūsawī, 'Abd al-Husayn Sharaf
al-Dīn

الآبَاءُ عَبْدُ الْحَكِيمِ شَرْفُ الدِّينِ الْمَوْسَوِيُّ
قَدَسَ اللَّهُ سُبُّهَ

al-Fuṣūl

الفُصُولُ الْمُهَيَّمَةُ

في تأليف الأمانة

ويليها الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء (عليها السلام)

للمؤلف أيضاً

(الطبعة الرابعة)

دار النعمان في النجف
للطباعة والنشر
صاحبها حسن الشيخ إبراهيم الكتبي

تنبیه

توسعنا بالفصول المهمة في هذه الطبعة ، اكمالاً لفوائدها ، واتماماً لمقاصدها ، فظهرت اليوم بغير مظهرها أمس حتى كأنها غير الأولى ، فننبه المطلعين على تلك الى أنها لا تغنيهم عن هذه (وفي الحمية معنى ليس في العنب) • وما أحق كتابي هذا بأن اخاطبه بقول ولي الدين يكن :
كتابي سر في الأرض واسلك فجاجها وخل عباد الله تتلوك ما تتلو
فما بك من اكدوبة فأخافها ولا بك من جهل فيزرى بك الجهل

تنبیه آخر

لما كانت الكتب المتكرر طبعها مختلفة في عدد الصفحات لم تقتصر في مقام النقل عنها في هذا الكتاب وغيره على تعيين الصفحة فقط بل عينا معها الباب أو الفصل مثلاً ، ليرجع اليه من لم تكن صفحات النسخ التي عنده موافقة لصفحات النسخ التي عندنا ، فاحفظ هذه الجملة واتبه •

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله
الميامين (١) ♦

لا تنسق امور العمران ولا تستتب أسباب الارتقاء ولا تنبث روح المدنية
ولا تبزغ شمس الدعة من أبراج السعادة ولا ترفع عن أعناقنا نير العبودية
بيد الحرية إلا باتفاق الكلمة واجتماع الأئمة وترادف القلوب واتحاد الغرائم
والاجتماع على النهضة بنواميس الامة ورفع كيان الملة ، وبذلك تهتز الارض
طرباً وتمطر السماء ذهباً وتتفجر ينابيع الرحمة من قلب المواساة فتجري في
سهوب الترقى وتتفرق في بيد (٢) العمران وأخاديد الحنان والاتحاد ، فتنتشر
روح الانسانية من أجدائها وتحشر الملة الفطرية من رفاتها ويتبلج القسط
بازغة أنواره ويستوسق نظام العدل خافقة بنوده ويتفقد الحاكم أمر رعيته
تفقد الوالد العطوف أمر ولده ، وعندها تجب مؤازرته في إحياء مواتها وعمارة
فلواتها ورتق ما انفتق واصلاح ما فسد وارشاد من ضل وجهاد من بغى واعانة
من ضعف وتعليم من جهل ♦

أما اذا كانت الامة أوزاعاً متباينة وشيعاً متباغضة لاهية بعثها غافلة

(١) بسم الله الرحمن الرحيم ♦ يقول ناظم عقد هذه الفصول عبدالحسين
شرف الدين الموسوي : لما نفدت الطبعة الاولى من هذا الكتاب التمس مني
من لا تسعني مخالفتهم من المؤمنين من أهل سوريا والعراق وغيرهما أن أعيد
طبعه وأن أتوسع فيه ليتضاعف نفعه ، فأجبتهم الى ذلك وعلقت في أسفل
صفحات الكتاب تعليقة نافعة جداً ♦ والله نسأل أن يكون الكتاب وتعليقته
خالصين لوجهه الكريم إنه الرؤوف الرحيم ♦
(٢) جمع بيداء كبيض جمع بيضاء ♦

2272
68987
337
196-?

عن رقيها لتكونن حيث منابت الشيخ ومهافي الريح أذل الامم داراً وأجديها قراراً ، مذقة الشارب ونهزة الطامع وهدف السهام وقبسة العجلان ، في باحة ذل وحلقة ضيق وعرصة موت وحومة بلاء ، لا تأوي الى جناح دعوة ، ولا تعتصم بظل منعة • فحذار حذار من بقاء الفرقة وتشتت الألفة واختلاف الكلمة وتنافر الأفتدة » ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم » ، « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ، « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » •

ألا وإنا في عصر العلم ودور الذكاء والفتنة ، قد تفجر لذوي العصر ينبوع الحكمة وتفشعت عن أبصارهم غياهب العشوة ، فزهر كهرباء النور من أفكارهم وأشرفت شمس الفضل من وجوههم ، فهلا شرعوا خطي أقلامهم وجردوا صوارمها ووتروا قسي أفكارهم وناضلوا بثواقبها فأزهقوا نفس العصبية ومحقوا آثارها وصدعوا بوظائف الانسانية ورفعوا منارها وهتفوا بدعوة التمدن واعتنوا باتحاد التشيع والتسنن بخطابة تملأ مسمع الدهر وملامة تقلقل جلايد الصخر ، فمتى يطلقون عنان براعتهم ويحملون على جيوش التوحش ببراعتهم ، وينهضون باجتماع الاملاء ويصدعون بأسباب التمدن والارتقاء ويحذرون الامة مما يصطلم حوزتها ويفرق جماعتها ، فان الله سبحانه يقول : « ولا تنازعوا فتشعلوا » •

وإني صادع بهذه المقالة شارع بعون الله تعالى في تصنيف رسالة سميتها (الفصول المهمة في تأليف الامة) • « إن اريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه انيب » •

« فصل »

١

في نبذة مما جاء في الكتاب العزيز والسنة المقدسة من الترغيب في الاجتماع والالفة •

قال الله تبارك وتعالى : « إنما المؤمنون اخوة » ، « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » ، « محمد رسول الله والذين معه » الى أن قال عز اسمه في وصفهم : « رحماء بينهم » ، « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم » ، « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ، « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » ، « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر واثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » الى غير ذلك من الآيات الكريمة •

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابوا ، أولاً أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم : افشوا السلام بينكم •

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : الدين النصيحة • قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه •

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم وهم يد على من سواهم ، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل •

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخواناً ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام .
وقال صلى الله عليه وآله وسلم : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مؤمناً ستره الله يوم القيامة .
وقال الصادق عليه السلام : المسلم أخو المسلم ، هو عينه ومرآته ودليله لا يخونه ولا يخدعه ولا يظلمه ولا يكذبه ولا يغتابه .

وقال عليه السلام لجماعة من شيعته : اتقوا الله وكونوا اخوة بررة متحابين في الله متواصلين متواضعين متراحمين ، تزاوروا وتلاقوا وأحيوا أمرنا .
وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن أقربكم مني مجلساً أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يآلفون ويؤلفون .
وقال صلى الله عليه وآله وسلم : المؤمن إلف مألوف ، ولا خير فيمن لا يآلف ولا يؤلف .

وفي حديث آخر : إن أحبكم إلى الله الذين يآلفون ويؤلفون ، وإن أبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الإخوان .
وقال صلى الله عليه وآله وسلم : المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء ، رأس العمود سبعون ألف غرفة يشرفون على الجنة يضيء حسنهم كما تضيء الشمس ، عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون في الله .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ينصب لطائفة من الناس كراسي حول

العرش يوم القيامة وجوهمهم كالقمر ليلة البدر يفرع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون ، اولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون • فقيل : من هم يا رسول الله ؟ فقال : هم المتحابون في الله •

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله تعالى يقول : حققت محبتي للذين يتزاورون من أجلي ، وحققت محبتي للذين يتبادلون من أجلي ، وحققت محبتي للذين يتناصرون من أجلي • وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي •

وعن باقر علوم النبيين عن آبائه الخلفاء الراشدين عن جدهم سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين من حديث طويل قال : اذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين جيران الله جل جلاله في داره ؟ فيقوم عنق من الناس فتستقبلهم زمرة من الملائكة فيقولون لهم : ماذا كان عملكم فصرتم به جيران الله في داره ؟ فيقولون : كنا نتحاب في الله وتبادل في الله وتزاور في الله عز وجل • قال : فينادي مناد صدق عبادي خلوا سبيلهم لينطلقوا الى جوار الله بغير حساب •

وعن عبدالمؤمن الأنصاري قال : دخلت على الامام أبي الحسن (الكاظم) عليه السلام وعنده محمد بن عبد الله الجعفري ، فتبسمت اليه فقال عليه السلام : أتجبه ؟ قلت : نعم وما أحببته إلا لكم • فقال عليه السلام : هو أخوك ، والمؤمن أخو المؤمن لأبيه وامه ، ملعون ملعون من اتهم أخاه ، ملعون ملعون من غش أخاه ، ملعون ملعون من لم ينصح أخاه ، ملعون ملعون من استأثر على أخيه ملعون ملعون من اغتاب أخاه •

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الثناء على الاخوة في الدين :
 من أراد الله به خيراً رزقه خليلاً صالحاً إن نسي ذكره أو ذكر أعانه ، ومثل
 الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل احدهما الاخرى ، وما التقى مؤمنان
 قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيراً •

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : عليكم بالاخوان فانهم عدة في الدنيا
 والآخرة ، ألا تسمعون الى قول أهل النار : « فما لنا من شافعين • ولا
 صديق حميم » •

وعن جرير بن عبد الله قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 على اقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم •
 والأخبار في هذا متواترة والصحاح متظافرة ، واذا راجعت حديث
 الفريقين رأيت الصبح قد أسفر لذي عينين ، وفي هذا كفاية لمن له من الله هداية •

« فصل »

٢

في بيان معنى الاسلام والايمان اللذين بهما ينال العبد غاية الرضوان ،
 وعليهما يكون المدار وبوجودهما تترتب الآثار •

دعاني الى بيانهما اقناع اهل العصبية والتنديد بهؤلاء المرجفين على
 حمية الجاهلية ، فأقول : أجمع اخواننا أهل السنة على أن الاسلام والايمان
 عبارة عن الشهادتين ، والتصديق بالبعث ، والصلوات الخمس الى القبلة ،
 وحج البيت ، وصيام الشهر ، والزكاة والخمس المفروضين ^(١) • وبهذا تعلن

(١) وربما بعضهم فرق بين الاسلام والايمان بفارق اعتباري ، والذي
 يظهر من قوله تعالى : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا »

الصحاح الستة وغيرها :

ففي البخاري بسنده قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من شهد أن لا إله إلا الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم .

وفيه أيضاً بالاسناد الى أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله ، فلا تخفروا (٢) الله في ذمته .

وفيه بالاسناد الى طلحة (٣) بن عبيد الله قال : جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل من أهل نجد ثائر الرأس فسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا فاذا هو يسأل عن الاسلام فقال رسول الله (ص) : خمس صلوات في اليوم والليلة . قال : هل عليّ غيرها ؟ (٤) قال : لا . إلا أن تطوَّع . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : وصيام رمضان . قال : هل عليّ غيره ؟ قال : لا . إلا أن تطوَّع . قال : وذكر له الزكاة قال : هل عليّ غيرها ؟ قال : لا . إلا أن تطوَّع . قال : فأدبر الرجل وهو يقول :

إن الاسلام عبارة عن مجرد الدخول في الدين والتسليم لسيد المرسلين وإن الايمان عبارة عن اليقين الثابت في قلوب المؤمنين مع الاعتراف به في اللسان ، فيكون على هذا أخص من الاسلام ، ونحن نعتبر فيه الولاية مضافاً الى ذلك - فافهم .

(٢) الاخفار تقض العهد . وهذا الحديث والذي قبله مقيدان بما يدل على اشتراط الصوم والزكاة والحج كما لا يخفى .

(٣) هذا الحديث موجود في صحيح مسلم بهذا الاسناد أيضاً .

(٤) يعني من جنسها ، وكذلك المراد من قوله « هل عليّ غيرها » بعد ذكر الصيام والزكاة .

والله لا ازيد على هذا ولا انقص • قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم : أفلح إن صدق •

وفي صحيح البخاري أيضا بالاسناد الى نافع ان رجلاً أتى ابن عمر فقال : يا أبا عبد الرحمن ما حملك على أن تحج عاماً وتعتنر عاماً وتترك الجهاد في سبيل الله وقد علمت ما رغب الله فيه ؟ قال : يا ابن اخي بني الاسلام على خمس : إيمان بالله ورسوله ، والصلاة والخمس ، وصيام رمضان ، واداء الزكاة ، وحج البيت •

وفيه أيضاً بالاسناد الى أبي هريرة قال : كان النبي صلى الله عليه وآله بارزاً يوماً للناس ، فأتاه رجل فقال : ما الايمان ؟ قال صلى الله عليه وآله : الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وتؤمن بالبعث • قال : ما الاسلام ؟ قال صلى الله عليه وآله : الاسلام أن تعبد الله ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان - الحديث • وآخره ثم ادبر (يعني السائل) فقال صلى الله عليه وآله : ردثوه ، فلم يروا شيئاً ، فقال : هذا جبرائيل ، جاء يعلم الناس دينهم •

قلت : واخرج هذا الحديث مسلم أيضاً في صحيحه بطرق مختلفة وأسانيد متعددة ، بعضها عن عمر بن الخطاب ، وبعضها عن ابنه عبدالله ، وبعضها عن أبي هريرة ، وفيه شيء ما من زيادة او نقصان •

واخرج البخاري في عدة مواضع من صحيحه بالاسناد الى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله قال لوفد عبد القيس (لما امرهم بالايمان بالله وحده) : أتدرون ما الايمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم • قال : شهادة ان لا إله إلا الله ، وان محمداً رسول الله ، واقام الصلاة ، وإيتاء

الزكاة ، وصيام رمضان ، وان تعطوا من المغنم الخمس - الحديث (٥) .
والأحاديث في هذا المعنى لا تكاد تحصى ، فمن أرادها فعليه بمطائنها من
الصحاح الستة وغيرها ، ولا سيما كتاب الايمان من صحيح مسلم ، فان
فيه أبواباً كثيرة تفيد القطع بأن الاسلام والايمان عند أهل السنة ليس إلا
ما ذكرناه ، على ان ما سنورده في الفصلين الآتين صريح في ذلك أيضاً ،
فتدبر ولا تذهل .

« فصل » ٣

في نبذة مما صح عند أهل السنة والجماعة من الأحاديث الدالة على ان
من قال « لا إله إلا الله محمد رسول الله » محترم دمه وماله وعرضه ، أوردناها
لينتبه الغافل ويقنع الجاهل ، وليعلم ان امر المسلمين ليس كما يزعمه اخوان
العصية ، وأبناء الهمجية ، وحلفاء الحمية ، حمية الجاهلية ، الذين شقوا
عصا المسلمين واضرمو نار الفتن بينهم ، حتى كانوا أوزاعاً وشيعاً ، يكفر
بعضهم بعضاً ، ويتبرأ بعضهم من بعض ، من غير أمر يوجب ذلك ، إلا ما
نفخته الشياطين ، أو نفتته أبالسة الانس الذين هم أنكى للاسلام من نسل
أكلة الأكباد ، وهذا عصر العلم ، عصر الانصاف ، عصر النور ، عصر التأمل
في حقائق الامور ، عصر الاعراض عن كل تعصب ذميم ، والأخذ بكتاب
الله العظيم ، وسنة نبيه الكريم ، واليك منها ما عقد الفصل لذكره :

(٥) وأخرجه مسلم أيضاً في عدة مواضع من صحيحه . ولا يخفى ما فيه
من الدلالة على ان الخمس ركن من أركان الاسلام كالصلاة والزكاة ، فيكون
هذا الحديث مقيداً لجميع الأحاديث المطلقة بالنسبة الى الخمس ، ولا غرو فان
الكتاب والسنة يقيدهما بعضهما بعضاً .

أخرج البخاري في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن : إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فإياك وكرائم أموالهم - الحديث (١) .

وتراه ينادي بثبوت الاسلام لهم بمجرد طاعتهم له بذلك ، بحيث تكون أموالهم حينئذ فضلاً عن أعراضهم ودمائهم محترمة غيرهم من أفضل أفراد المؤمنين .

ومثله في باب فضائل علي عليه السلام من الجزء الثاني من صحيح مسلم (٢) قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله (وفي رواية أخرى هي في الصحيح أيضاً ويحبه الله ورسوله) يفتح الله على يديه . قال : قال عمر بن الخطاب : ما أحببت الأمانة إلا يومئذ ، فتساورت لها رجاء أن أدعى لها . قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب فأعطاه إياها وقال : امش

(١) وأخرجه مسلم في صحيحه بالاسناد إلى ابن عباس أيضاً . ولا يخفى تقييده بما دل على اشتراط طاعتهم له في الصوم والحج والخمس من الصحيح الآخر .

(٢) وهو موجود في باب غزوة خيبر من الجزء الثالث من صحيح البخاري ، وفي باب مناقب علي عليه السلام من الجزء الثاني منه أيضاً بنوع ما من التغيير في الألفاظ .

ولا تلتفت • قال فسار علي شيئاً ثم وقف ولم يلتفت ، فصرخ يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس ؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم •

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن اسامة بن زيد قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقنا أنا ورجل من الانصار رجلاً منهم ، فلما غشيناها قال : لا إله إلا الله ، فكف الانصاري عنه فطعنته برمحى حتى قتلته ، فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وآله ذلك فقال : يا اسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ قلت : كان متعوذاً • قال : فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم •

قلت : ما تمنى ذلك حتى اعتقد أن جميع ما عمله قبل هذه الواقعة (من إيمان وصحبة وجهاد وصلاة وصوم وزكاة وحج وغيرها) لا يذهب عنه هذه السيئة ، وأن اعماله الصالحة بأجمعها قد حبطت بها • ولا يخفى ما في كلامه من الدلالة على انه كان يخاف أن لا يغفر له ، ولذلك تمنى تأخر اسلامه عن هذه الخطيئة ليكون داخلاً في حكم قوله (ص) : « الاسلام يجب ما قبله » • وناهيك بهذا دليلاً على احترام لا إله إلا الله واهله ، وإذا كانت هذه حال من يقو لها متعوذاً فما ظنك بمن انعدت بها نطفته ثم رضعها من ثديي أمه ، فاشتد عليها عظمه ونبت بها لحمه وامتلأ من نورها قلبه ودانت بها جميع جوارحه ، فلينته أهل العناد عن غيهم وليحذروا غضب الله تعالى وسخط نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم •

وفي الصحيحين بالاسناد الى المقداد بن عمرو أنه قال : يا رسول الله

أرأيت ان لقيت رجلا من الكفار فاقتلنا فضرب احدى يدي بالسيف فقطعها ، ثم لاذ مني بشجرة فقال أسلمت لله ، أأقتله يا رسول الله بعد ان قالها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تقتله ، فان قتلته فانه بمنزلك قبل أن تقتله (٣) وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال (٤) .

قلت : ليس في كلام العرب ولا غيرهم عبارة هي أدل على احترام الاسلام وأهله من هذا الحديث الشريف ، وأي عبارة تكايله في ذلك أو توازنه ، وقد قضى بأن المقداد على سوابقه وحسن بلائه لو قتل ذلك الرجل لكان بمنزلة الكافرين المحاربين لله ولرسوله ، وكان المقتول بمنزلة واحد من أعظم السابقين وأكابر البدرين الأحديين ، وهذه أقصى غاية يؤمها المبالغ في احترام أهل التوحيد ، فليترك الله كل مجازف عنيد .

وأخرج البخاري في باب بعث علي عليه السلام وخالد الى اليمن : أن رجلا قام فقال : يا رسول الله اتق الله . فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ويلك أأستحق أهل الارض أن يتقي الله . فقال : خالد يا رسول الله ألا أضرب عنقه ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : لا ، لعله أن يكون يصلي (٥) .

(٣) يعني انه يكون من عدول المؤمنين ، لأن المقداد كان كذلك .
(٤) يعني انه يكون بمنزلة الكافر الحربي ، لأن المقتول كان كذلك قبل أن يقول كلمته التي قالها .

(٥) وأخرجه أحمد بن حنبل من حديث أبي سعد الخدري في صفحة ٤ من الجزء الثالث من مسنده . ومثله ما نقله العسقلاني في الإصابة في ترجمة سرحوق المناق من انه لما أتى به ليقتل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هل يصلي ؟ قالوا : اذا رآه الناس . قال : اني نهيت ان أقتل المصلين اه . وكذلك ما أخرجه الذهبي في ترجمة عامر بن عبدالله بن يساف من ميزانه بسند ضعيف عن أنس قال : ذكر عند النبي (ص) رجل فقيل ذلك كهف المناقطين

قلت : أعظم بهذا الحديث ودلالته على احترام الصلاة وأهلها ، وإذا كان احتمال كونه يصلي مانعاً من قتله ، وقد اعترض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم جهرة وكاشفه علانية ، فما ظنك بمن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم الشهر ويحج البيت ويحلل الحلال ويحرم الحرام ، ويتعبد بقول النبي (صلى الله عليه وآله) وفعله وتقديره ، ويتقرب الى الله تعالى بحبه وبموالاة أهل بيته ويرجو رحمة الله عز وجل بشفاعته متمسكاً بثقلية معتصماً بحبليه ، ويوالي وليه وإن كان قاتل أبيه ويعادي عدوه وإن كان من خاصته وأهليه .

وأخرج البخاري في باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان ، حيث ذكر مقتل عمر « رض » والحديث طويل ، وفيه : يا ابن عباس انظر من قتلني ؟ فجال ساعة ثم جاء فقال : غلام المغيرة . قال : الصنع ؟ قال : نعم . قال قاتله الله لقد امرت به معروفاً ، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الاسلام ، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة . فقال : ان شئت قتلناهم . قال : كذبت بعد ان تكلموا بلسانكم (أي أقروا بالشهادتين) وصلوا قبلتكم وحجوا حجتكم . . . الحديث .

والظاهر من قوله « الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الاسلام » — بقرينة ما ستسمعه من رواية ابن قتيبة وابن عبد البر — انه كان يخشى أن يكون قاتله مسلماً فيغفر له بسبب اسلامه ، فلما عرف أنه ممن فلما أكثروا فيه رخص لهم في قتله ثم قال : هل يصلي ؟ قالوا : نعم صلاة لا خير فيها . قال « ص » : إني نهيت عن قتل المصلين . قلت اذا كانت هذه حاله مع المتافقين المرائين بصلاتهم فما ظنك بالمحافظين عليها والخاشعين المخلصين لله فيها .

لا يدعي الاسلام علم ان الله آخذ بحقه على كل حال ، وفي هذا من الدلالة على حسن عواقب المسلمين ما لا تسعه عبارة .

ثم اذا نظرت الى إنكاره على ابن عباس ، وقوله له مع جلالتة « كذبت » الى آخر كلامه ذلك ذلك على احترام أهل الشهادتين والصلاة والحج كيف كانوا .

وفي صفحة ٢٦ من كتاب الامامة والسياسة للامام المجمع على فضله ابن قتيبة المتوفي سنة مائتين وسبعين : أن عمر لما اخبر أن قاتله غلام المغيرة قال : الحمد لله الذي لم يقتلني رجل يحاجني بلا إله إلا الله يوم القيامة .

وروى الحافظ أبو عمرو يوسف بن عبد البر القرطبي في ترجمة عمر من الاستيعاب أنه قال لولده عبدالله : الحمد لله الذي لم يجعل قتلي بيد رجل يحاجني بلا إله إلا الله اهـ .

قلت : اذا كان صاحب لا إله إلا الله بحيث لو قتل عمر بن الخطاب وهو الخليفة الثاني لحاجه بها فأمر أهل التوحيد اذن سهل يسير ، فليثق الله أهل الشقاق ولينهض رجال الاصلاح بأسباب الوئام والوفاق ، فقد نصب الغرب لنا حبائله ووجه نحونا قنابله وأظلمنا منطاده بكل صاعقة وأقلمنا نفقه بكل بائقة واحاط بنا اسطوله وضربت في اطلالنا طبوله ، ولئن لم يعتصم المسلمون بجبل الاجتماع ويبرأوا الى الله من هذا النزاع ليكونن أذلاء خاسئين وأرقاء صاغرين (أينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا) .

وأخرج البخاري عن أنس « رض » قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فاذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا حرمت علينا دماؤهم

وأموالهم اهـ •

قلت : هل بقي بعد هذه الأحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة ملتبس لشغب المشاغب أو مطمع يتشبث به الناصب ؟ كلا ورب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ان دين الاسلام بريء مما يزعمه المرجفون ، مناقض لما يحاوله المجحفون (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) •

وفي الصحيحين بالسناد الى ابن عمر « رض » قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو بمنى — قد أشار الى مكة المعظمة — : أتدرون أي بلد هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم • قال : فان هذا بلد حرام ، أتدرون أي يوم هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم • قال : إنه يوم حرام ، أتدرون أي شهر هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم • قال : شهر حرام • قال : فان الله حرّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا اهـ •

والصحيح الستة وغيرها مشحونة من هذه الأخبار ، وهي أشهر من الشمس في رائعة النهار •

فليت شعري أي عذر لمن اعتمد عليها ، وانحصر رجوعه في أحكام الدين إليها ، ثم خالف في ذلك احكامها ونبذ وراء ظهره كلامها ^(٦) بلى انهم مرجفون والأمر على خلاف ما يظنون •

(٦) كالشيخ نوح الحنفي حيث أفتى — مع وجود هذه الصحيح وأمثالها — بتكفير الشيعة ، وأوجب قتالهم ، وأباح قتلهم وسبى ذراريهم ونساءهم ، سواء تابوا أم لم يتوبوا ، فراجع فتواه هذه في باب الردة والتعزير ، من كتاب الفتاوى الحامدية الشهير ، وسنذكرها بعين لفظه في الفصل التاسع من هذه الفصول ، مزيين لها بالأدلة القاطعة والبراهين الناصعة ، فراجع ذلك الفصل

« فصل »

٤

في يسير من نصوص أئمتنا عليهم الصلاة والسلام في الحكم باسلام أهل السنة وأنهم كالشيعة في كل أثر يترتب على مطلق المسلمين ، وهذا في غاية الوضوح من مذهبنا لا يرتاب فيه ذو اعتدال منا ، ولذا لم نستقص ما ورد من هذا الباب ، اذ ليس من الحكمة توضيح الواضحات وهاله ما عقد الفصل للإشارة اليه :

قال الامام أبو عبدالله الصادق عليه السلام في خير - سفيان بن السمط :
- الاسلام هو الظاهر الذي عليه الناس ، شهادة ^{بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإماماً} عام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت وصيام شهر رمضان - الحديث .

وقال سلام الله عليه في خبر سماعة : الاسلام شهادة أن لا إله إلا الله ، والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبه حققت الدماء ، وعليه جرت المناكح والمواريث ، وعلى ظواهره جماعة الناس - الحديث .

وقال الامام أبو جعفر الباقر عليه السلام في صحيح حمزان بن العيين من جملة حديث : والاسلام ما ظهر من قول أو فعل ، وهو الذي عليه جماعة من الناس من الفرق كلها ، وبه حققت الدماء ، وعليه جرت المواريث ، وجازت النكاح ، واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فخرجوا بذلك عن الكفر واضيفوا الى الايمان اهـ .

واعلم أن الفصول الثمانية التي قبله انما هي مقدمة للرد على هذه الفتوى القاسية ، وما ألفنا هذا الكتاب إلا لهذه الغاية ، إذ لم نجد أحداً قام بهذا الواجب ، والحمد لله على التوفيق لأدائه كما يجب .

الى آخر ما هو مأثور عنهم في هذا المعنى مما لا يمكنني استيفاءه ولا يسعني استقصاؤه ، وهذا القدر كاف لما أردناه موضح لما قصدناه •

« فصل »

هـ

في طائفة مما صح عند أهل السنة من الأحاديث الحاكمة بنجاة مطلق الموحدين ، أوردناها ليُعلم حكمها بالجنة على كل من الشيعة والسنة ، والغرض بعث المسلمين على الاجتماع والتنديد بهم على هذا النزاع والتنبيه لهم على ان هذا التدابر بينهم عبث محض وسفه صرف بل فساد في الارض وإهلاك للحرث والنسل ، ضرورة انه متى كان الدين حاكماً على كل منهما بالايمان معلناً بفوزهما في أعلى الجنان لا يبقى لنزاعهما غرض تقصده الحكماء او أمر يليق بألباب العقلاء ، لكن مثني المسلمون بجماعة ذهولوا عن صلاحهم وغفلوا عن حديث صحاحهم ، واليك منه ما عقد الفصل لذكره :

أخرج البخاري ^(١) في صحيحه عن ابي أيوب الأنصاري « رض » ان رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : أخبرني بعمل يدخلني الجنة • فقال القوم : ماله ماله • فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (إِرَبْ " ماله) فقال : تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم ذرها • قال : كأنه كان على راحلته وأخرج أيضاً بسنده أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : دلني على عمل اذا عملته دخلت

(١) وفي صحيح مسلم من هذا النوع أحاديث وافرة ، فراجع منه باب الايمان الذي يدخل به الجنة في الجزء الأول منه ، وباب من لقي الله بالايان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار ، وهو في الجزء الأول أيضاً تجد فيه من البشائر ما تقر به عين المؤمن بالله واليوم الآخر •

الجنة • قال صلى الله عليه وآله : تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان • قال : والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا • فلما ولّى قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا اهـ •

قلت : ظهر لي من أخبار آخر أن هذا الأعرابي إنما هو مالك بن نويرة ابن حمزة التميمي (٢) •

وفي صحيح البخاري بالاسناد الى عبادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل (٣) •

(٢) وكان رجلاً سرياً نبيلاً يردف الملوك ، وهو الذي يضرب به المثل فيقال « مرعى ولا كالسعدان وماء ولا كصداء وفتى ولا كمالك » • وكان فارساً شاعراً مطاعاً في قومه ، وكان فيه خيلاء وتقدم ، وكان ذالمة كبيرة ، وكان يقال له الجفول ، قدم على النبي «ص» فأسلم وحسن اسلامه فولاه «ص» صدقة قومه وحج معه حجة الوداع وشهد خطبته يوم غدير خم بالولاية لعلني فكان بعدها من المتفانين في ولايته • قتله خالد بن الوليد يوم البطاح ونكح زوجته وكانت في غاية الجمال وجعل رأسه أثفية لقدر فكانت القدر على رأسه حتى نضج الطعام وما خلصت النار اليه ، نص على ذلك وثيمة بن موسى بن الفرات كما في ترجمته من وفيات ابن خلكان ، وذكره الواقدي وكثير من أهل السير والأخبار وعللوا عدم خلوص النار الى شواه بكثرة شعر رأسه وهو كما ترى • وقد أشرنا الى هذه القضية حيث ذكرنا خالد بن الوليد في فصل المتأولين وهو الفصل الثامن من هذه الفصول فراجع •

(٣) أي مع ما كان منه من الأعمال سواء كانت مرضية لله تعالى أو غير مرضية •

وفي البخاري أيضاً عن جنادة مثله إلا انه زاد فيه « من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء دخل » ♦

وفيه عن أبي ذر « رض » قال : أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ ، فقال : ما من عبد قال : لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ♦ قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق ♦ قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق ؟ قلت : وان زنى وان سرق على رغم أنف أبي ذر ♦

وفيه عن أبي ذر أيضاً قال : قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال جبرائيل : من مات من امتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة او لم يدخل النار ♦ قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن اه ♦

وفيه عنه أيضاً قال : خرجت ليلة من الليالي فاذا رسول الله صلى الله عليه وآله يمشي وحده وليس معه انسان ♦ قال : فظننت انه يكره أن يمشي معه أحد فجعلت أمشي في ظل القمر فالتفت فرآني فقال : من هذا ؟ قلت : أبو ذر جعلني الله فداءك ♦ قال : يا أبا ذر تعال ♦ قال : فمشيت معه ساعة فقال : إن المكثرين في الدنيا هم المقلون يوم القيامة إلا من اعطاه الله خيراً ، فنفخ فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً ♦ قال : فمشيت معه ساعة فقال لي : اجلس هاهنا حتى أرجع اليك ♦ قال : فانطلق في الحرة حتى لا أراه ، فلبث عني فأطال اللبث ثم اني سمعته وهو مقبل وهو يقول : وإن سرق وان زنى ♦ فلما جاء لم أصبر حتى قلت له : يا نبي الله جعلت فداءك من تكلم في جانب الحرة ما سمعت أحداً يرجع اليك شيئاً ؟ قال : ذلك

تدري ما حق الله على عباده ؟ قلت : الله ورسوله أعلم • قال : حق الله على عباده ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً • ثم سار ساعة فقال : يا معاذ بن جبل . قلت : لبيك رسول الله وسعديك • قال : هل تدري ما حق العباد على الله اذا فعلوه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم • قال : حق العباد على الله أن لا يعذبهم • وفي صحيح البخاري عن عتبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لن يوافي عبد يوم القيامة بقول « لا إله إلا الله » يبتغي به وجه الله إلا حرم عليه النار •

وفيه عن عتبان بن مالك الأنصاري أيضاً انه اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأله أن يأتي بيته فيصلي فيه ليتخذ مصلًى^(١) قال عتبان : فعدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلًى بنا ركعتين وحسنانه على حريرة ••• الى أن قال : فثاب في البيت رجال ذوو عدد فقال قائل منهم : أين مالك بن الدخشن ؟^(٢) فقال بعضهم : ذلك منافق لا يحب الله ورسوله • فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تقل ذلك ، ألا تراه قد قال « لا إله إلا الله » يريد بذلك وجه الله • قال : فاتنا نرى وجهه ونصيحته الى المنافقين • قال رسول الله صلى الله عليه وآله : فان الله قد حرم على النار من قال « لا إله إلا الله » يبتغي بذلك وجه الله •

وهذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بطرق متعددة ، وخرآه عنده :

-
- (١) ما يقول الوهابية في هذا الحديث الصحيح ومنافاته لمذهبهم ؟
 (٢) هكذا في النسخة التي تحضرني من صحيح البخاري ، والظاهر انه ابن الدخشم بالميم ابن مالك بن الدخشم بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف شهد بدرآ وما بعدها ، وهو الذي أسر يوم بدر سهيل بن عمرو ، ومع هذا فقد كان معروفاً بالنفاق • والله أعلم بحاله •

أليس يشهد أن لا إله إلا الله واني رسول الله • قالوا : إنه يقول ذلك وما هو في قلبه • قال صلى الله عليه وآله : لا يشهد أحد أنه لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه • قال أنس : فأعجبني هذا الحديث فقلت لابني اكتبه فكتبه اه •

قلت : أي عبارة أدل على نجاة كافة الموحدين من هذه العبارة ؟ وأي بشارة في الجنة لمطلق المسلمين أعظم من هذه البشارة ؟ والعجب ممن لا يرتاب في صحتها وهو مع ذلك يحكم بنقيض دلالتها (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) •

وأخرج البخاري في الصحيح عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يقول الله تعالى : لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تقتدي به ؟ فيقول : نعم • فيقول الله تعالى : أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي •

قلت : ظاهر هذا أنه إنما ابتلي بعذاب النار لأنه أبى إلا أن يشرك ولولا ذلك لنجا ، فعلم أن أهل التوحيد ناجون •

وأيضاً دل الحديث على أن أهون أهل النار عذاباً هذا المشرك ، فعلم أن ليس فيها موحد ، إذ لو كان هناك موحد لكان أهون عذاباً من هذا المشرك (٣) وهذا خلاف صريح الحديث •

وفي الصحاح الستة ومسند أحمد وكتب الطبراني وغيرها من هذا كثير ،

(٣) لأن الموحدين المسلمين وإن جاء بأعظم الجرائم لا يعذب عذاب المشرك وإن لم يأت بغير الإشراك من الذنوب •

ولا سيما أحاديث الشفاعة حتى يقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (فيما أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين) أخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة خردل من إيمان •

ولو أردنا إيراد ما في الصحيحين من أحاديث الشفاعة المشتملة على أعظم البشائر لطال المقام ، لكننا أشرنا إليها ليراجعها من أرادها • على أن الشيخين (البخاري ومسلماً) أخرجا في صحيحيهما عن عثمان بن عفان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة • وهذا ظاهر بأن مجرد العلم بالوحدانية موجب لدخول الجنة • ومثله ما أخرجه الطبراني في الكبير عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من علم أن الله ربه واني نبيه صادقاً عن قلبه حرم الله لحمه على النار •

وهذه الأخبار أجلى من الشمس في رائعة النهار وصحتها أشهر من نار على علم ، فيها من البشائر ما ربما هون على المسلم موبقات الكبائر ، فدونك أبوابها في كتب أهل السنة لتعلم حكمها عليك وعليهم بالجنة (٤) وكلما ذكرناه شذر من بذر ، ونقطة من لجج بحر ، اكتفينا منها بما ذكره البخاري في كتابه وكرره بالأسانيد المتعددة في كثير من أبوابه ، ولم نتعرض لما في باقي الصحاح ، إذ انشق بما ذكرناه عمود الفجر واندلع لسان الصباح ، وان عندنا صحاحاً

(٤) لأن كلاً من الإمامية والسنية يؤمنان بالله ، ويصدقان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويقيمان الصلاة ، ويؤتيان الزكاة ، ويحجان البيت ، ويصومان الشهر ، ويوقنان بالبعث ، ويحلان الحلال ، ويحرمان الحرام ، كما تشهد به أقوالهما وأفعالهما وتحكم به الضرورة من كتبهما القديمة والحديثة مختصرة ومطولة •

آخر فزنا بها من طريق أئمتنا الاثني عشر :

روتها هداة" قولهم وحديثهم روى جدنا عن جبرئيل عن الباري
فهي السنة التالية للكتاب ، وهي الجنة الواقعة من العذاب ، وإليكها في
اصول الكافي وغيره تعلن بالبشائر لأهل الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر
لكنها تخصص ما سمعته من تلك العمومات المتكاثرة بولاية آل رسول الله
وعترته الطاهرة ، الذين قرنهم بمحكم الكتاب ، وجعلهم قدوة لأولي الألباب ،
ونصّ على انهم سفن النجاة اذا طغى زخّار الفتن ، وأمان الامة اذا هاج
اعصار المحن ، ونجوم الهداية اذا ادلهمّ ليل الغواية ، وباب حطة لا يغفر
إلا لمن دخلها ، والعروة الوثقى لا انفصام لها .

ولا غرو فان ولايتهم من اصول الدين ، وقد أقمنا على ذلك قواطع
الحجج وسواطع البراهين أدلة عقلية وحججاً قلبية ، تلفت الباحثين الى الوقوف
عليها في كتابنا (سبيل المؤمنين) إذ أوضحنا فيه المسالك وامطنا بقوة برهانه
كل ديجور حالك ، والحمد لله رب العالمين .

« فصل »

٦

في لمعة مما أفتى به علماء أهل السنة ، من إيمان أهل التوحيد مطلقاً
ونجاة أصحاب الشهادتين جميعاً ، أوردناها ليعلم الناس توافق النص والفتوى
في ذلك ، والغرض لمّ شعث المسلمين باجتماعهم ، ورتق ما انفتق بتدابيرهم
ونزاعهم ، لأن العاقل اذا رأى نصوص صحاحه وفتاوى علمائه تحكم بالايمان
على مطلق أهل التوحيد وتعلن نجاة جميع أصحاب القبلة لا يبقى بعدها أمر
يدعوه الى هذه النفرة أو يصده عن الوئام والالفة ، (والمؤمنون والمؤمنات

بعضهم أولياء بعض (فما بالهم (وهم في الدين إخوة) قد انشقت عصاهم واختلفت مذاهبهم ، فهاج بينهم قسطل الشر ، وتعلقت أهواؤهم بقوارق الفتن ، ولو رجعوا الى ما أفتى به المنصفون من علمائهم لأيقنوا أن الأمر على خلاف ما زعم المرجفون • واليك منه ما عقد الفصل لبيانه :

ذكر العارف الشعراني في المبحث ٥٨ من اليواقيت والجواهر ، أنه رأى بخط الشيخ شهاب الدين الاذري صاحب القوت ، سؤالاً قدمه الى شيخ الاسلام تقي الدين السبكي ، وصورته : ما يقول سيدنا ومولانا شيخ الاسلام في تكفير أهل الأهواء والبدع ؟

قال : فكتب اليه اعلم يا أخي أن الاقدام على تكفير المؤمنين ^(١) عسر جداً ، وكل من في قلبه إيمان يستعظم القول بتكفير أهل الأهواء والبدع ، مع قولهم « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، فإن التكفير أمر هائل عظيم الخطر — الى آخر كلامه وقد أطلال في تعظيم التكفير وتفضيع خطره • ودونك يواقيت الشعراني فانها تنقل الجواب عن خط السبكي على طوله ، وفي آخره ما هذا لفظه : فالأدب من كل مؤمن أن لا يكفر أحداً من أهل الأهواء والبدع ، اللهم إلا أن يخالفوا النصوص الصريحة التي لا تحتمل التأويل عناداً وجحوداً ، فللعلماء في ذلك النظر •

هذا كلامه ولا يخفى تصريحه بقصر التكفير على مخالف النصوص الصريحة عناداً لله وجحوداً لما علّم حكمه بالضرورة من دين الاسلام ، وقد دقّ في هذه الفتوى اصلاب المرجفين ، واستل ألسنة المتشدقين ، وقطع أمل

(١) أنظر كيف أطلق لفظ « المؤمنين » على أهل الأهواء والبدع

من يتنفي تفريق المسلمين ، من كل أفاك أثيم •

وفي الصفحة العاشرة من طبقات الشعراني ما لفظه : وسئل سيدنا ومولانا شيخ الاسلام تقي الدين السبكي عن حكم تكفير غلاة المبتدعة ، وأهل الأهواء ، والمتفوهين بالكلام على الذات المقدسة ؟ فقال (رضي الله عنه) : **« لا أعلم أن كل من خاف الله عز وجل استعظم القول بالتكفير لمن يقول : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، ثم أورد جواب السبكي وهو طويل ، جاء في آخره ما هذه ألفاظه : فما بقي الحكم بالتكفير إلا لمن اختاره ديناً وجدد الشهادتين وخرج عن دين الاسلام جملة - اه •**

قلت : الظاهر من اختلاف عبارة السؤالين والجوابين كونهما متعددين كما لا يخفى ، وإذا كان كلام هذا الامام الكبير معلناً باختصاص الكفر بمن جدد الشهادتين ومنادياً بالتنزيه لأهل الاهواء والبدع ، والمتفوهين بالكلام على الذات المقدسة من أهل القبلة ، فأى وقع بعده لكلام المرجفين وتحكم المشاغبيين ، وإذا كان هذا حكمه في المتفوهين بالكلام على الله عز وجل فما ظنك بمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ؟

وقال الشيخ الأكبر ابن العربي في باب الوصايا من فتوحاته : **« إياكم ومعاداة أهل لا إله إلا الله ، فان لهم الولاية العامة ، فهم أولياء الله ، ولو أخطأوا وجاءوا بقراب الارض من الخطايا وهم لا يشركون بالله شيئاً ، فان الله يتلقى جميعهم بمثلها ^(٢) مغفرة ، ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته • وأطال**

(٢) هذا مأخوذ من حديث أخرجه الترمذي وصححه ، رواه بالإسناد الى أنس قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : قال الله تعالى : يا بن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ، ولا ابالي • يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك • يا بن آدم انك لو آتيتني

الى ان قال : واذا عمل أحدكم عملاً توعّد الله عليه بالنار ، فليسمح بالتوحيد ، فان التوحيد يأخذ بناصية صاحبه ، لا بد من ذلك •

هذا كلامه وفيه ما تراه من الحكم على جميع أهل التوحيد بالولاية لله عز وجل ، والبشارة للمخطئين والمجرمين منهم بالمغفرة ، والجزم بأن التوحيد يمحو الكبائر ويأخذ بناصية صاحبه • والحمد لله رب العالمين •

وقال الفاضل الرشيد في صفحة ٤٤ من المجلد السابع عشر من مناره : ان من أعظم ما بليت به الفرق الاسلامية رمي بعضهم بعضاً بالفسق والكفر ، مع ان قصد كل الوصول الى الحق بما بذلوا جهدهم لتأييده واعتقاده والدعوة اليه ، فالمجتهد وإن أخطأ معذور • وقد أطال الكلام في هذا الموضوع حتى بلغ الصفحة ٥٠ من ذلك المجلد فراجع •

وقال المعاصر النبهاني البيروتي في اوائل كتابه شواهد الحق ^(٣) : اعلم اني لا أعتقد ولا اقول بتكفير أحد من أهل القبلة ، لا الوهابية ولا غيرهم ، وكلهم مسلمون تجمعهم مع سائر المسلمين كلمة التوحيد والايان بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وما جاء به من دين الاسلام ••• الى آخر كلامه • وعقد العارف الشعرائي في الجزء الثاني من اليواقيت والجواهر مبحثاً مسهباً لثبوت الايمان لكل موحد يصلي الى القبلة ، وهو المبحث ٥٨ ، قال

بقرب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً ، لايتيتك بقربها مغفرة اه • وهذا الحديث ذكره الفاضل النووي في أربعينه ، وهو الحديث الأخير مما انتخبه من الأحاديث الصحيحة •

(٣) طبع هذا الكتاب وفي هامشه رسالة النبهاني أيضاً في فضائل معاوية سماها البديعة في اقناع الشيعة ، وقد تقضناها بكتاب يكون بحجمها ثلاث مرات سميناه الذريعة الى تقض البديعة •

في آخره : فقد علمت يا أخي مما قررناه لك في هذا المبحث ان جميع العلماء المتدينين أمسكوا عن القول بالتكفير لأحد من أهل القبلة (فبهدهم اقتده) اهـ • ونقل جماعة كثيرون منهم الشعراني في المبحث المتقدم ذكره عن أبي المحاسن الروياني وغيره من علماء بغداد قاطبة انهم كانوا يقولون : لا يكفر أحد من المذاهب الاسلامية لأن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم قال : من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه ما علينا اهـ • قلت : وقد ذكرنا في الفصول السابقة جملة من النصوص في هذا المعنى ، والصحاح مشحونة به فراجع • وقد بالغ الشيخ أبو طاهر القزويني في كتابه (سراج العقول) باثبات الاسلام لكل فرد من أهل القبلة ، وجزم بنجاة الجميع من كل فرق الاسلام ، وأول الحديث المشهور ، اعني حديث « تفرق امتي ثلاثاً وسبعين فرقة فرقة » ناجية والباقيون في النار » بل قال انه روي في بعض طرق هذا الحديث ما نصه : « كلها في الجنة إلا واحدة ^(٤) » •

وأطال في اثبات الايمان لكل مصدق بالشهادتين من أهل الاهواء والبدع كالمعتزلة والنجارية والروافض ^(٥) والخوارج والمشبهة ونحوهم ، وحكم بنجاة الجميع يوم القيامة ، ونقل القول باسلام الجميع عن جمهور العلماء والخلفاء من أيام الصحابة الى زمنه • قال : وهم من أهل الاجابة بلا شك ، فمن سماهم كفرة فقد ظلم وتعدى ••• الى آخر كلامه وهو طويل نقله لي بغض مشائخي مشافهة عن سراج العقول ، وأورده الشعراني بتمامه في المبحث ٥٨ من يواقيته نقلاً عن ذلك الكتاب أيضاً فراجع •

(٤) أخرجه ابن النجار ونقل الشعراني عند إيراده في المبحث ٥٨ من اليواقيت عن العلماء ان المراد بهذه الواحدة التي هي في النار إنما هي الزنادقة •
(٥) هذه عبارته نقلناها بدون تصرف •

وقال ابن تيمية في أوائل رسالة الاستغاثة وهي الرسالة ١٢ من مجموعة الرسائل الكبرى^(٦) ما هذا لفظه : ثم اتفق أهل السنة والجماعة على انه صلى الله عليه وآله وسلم يشفع في أهل الكبائر ، وانه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد اهـ^(٧) .

وقال ابن حزم حيث تكلم فيمن يكفر ولا يكفر في صفحة ٢٤٧ من أواخر الجزء الثالث من كتاب الفصل في الأهواء والملل والنحل ما هذه ألفاظه : وذهبت طائفة الى انه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا ، وأن كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى انه الحق فانه مأجور على كل حال ، ان أصاب فأجران وان أخطأ فأجر واحد . قال : وهذا قول ابن أبي ليلى وأبي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن علي ، وهو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة (رض) لا نعلم منهم خلافاً في ذلك أصلاً .

قلت : هذه الفتوى من هؤلاء الأئمة تقطع دابر المشاغبين وتنقض أساس المهولين ، لأن خصومهم من أهل القبلة لم يقولوا قولاً ولم يعتقدوا أمراً إلا بعد الاجتهاد التام واستفراغ الوسع والطاقة ، وبذل الجهد في الاستنباط من الكتاب والسنة وكلام أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم ، ولم يدينوا إلا بما رأوا أنه الحق واعتقدوا انه عين الصواب ، فيكونون بحكم هؤلاء الأعلام (وهم أئمة السلف والخلف) مأجورين ، ان أصابوا أو أخطأوا ، على رغم من يتبغي تكفير المؤمنين ، ويدأب مجتهداً في تفريق

(٦) في صفحة ٤٧٠ من الجزء الأول .

(٧) فعلى هذا تكون أهل السنة مجمعة على أن مصير الشيعة الى الجنة ، ضرورة أنهم من أهل التوحيد والإيمان بكل ما جاء به النبي (ص) .

المسلمين •

وكان أحمد بن زاهر السرخسي (وهو أجل أصحاب الامام أبي الحسن الأشعري) يقول : (فيما نقله الشعراني عنه في أواخر المبحث ٥٨ من يواقيته) لما حضرت الشيخ أبا الحسن الأشعري الوفاة بداري في بغداد أمرني بجمع أصحابه ، فجمعتهم له فقال : اشهدوا علي انني لا اكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ، لأنني رأيتهم كلهم يشيرون الى معبود واحد ، والاسلام يشملهم ويعمهم • هذا كلام امام السنين وكفى به حجة تدحض أقاويل المبطلين ، وقد تواتر القول بعدم تكفير أهل الاهواء والبدع من أهل القبلة عن الامام الشافعي ، حتى قال : (كما في خاتمة الصواعق) اقبل شهادة أهل البدع إلا الخطائية (٨) •

وقال شيخ الاسلام المخزومي (فيما نقله الشعراني عنه في المبحث ٥٨ من يواقيته) : قد نص الامام الشافعي على عدم تكفير أهل الاهواء في رسالته ، فقال : لا أكفر أهل الاهواء بذنب • قال وفي رواية عنه : ولا أكفر أحداً

(٨) الخطائية أصحاب أبي الخطاب محمد بن مقلص الاجدع عليه وعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، كان قبجه الله مغالياً في الصادق (ع) فاسد العقيدة خبيث المذهب لا ريب في كفره وكفر أصحابه ، وقد تبرأ منه الصادق عليه السلام ولعنه وأمر الشيعة بالبراءة منه وشدد القول في ذلك وبالغ في التبرء منه واللعنة عليه ، ومن أراد الوقوف على كلام الصادق (ع) في شأن هذا الملعون فعليه بكتاب الكشي وغيره من كتب التراجم لأصحابنا ولهذا الكافر بدع كثيرة : منها تأخير صلاة المغرب حتى تستبين النجوم ، وقد نسب الجاهلون هذه البدعة الينا ، على أنا نبرأ الى الله منها ومن ابتدعها ، والذي نذهب اليه أن أول وقت صلاة المغرب غروب الشمس من جميع أفق المصلى ، ويتحقق ذلك بارتفاع الحمرة المشرقية كما لا يخفى على من راجع فقها •

من أهل القبلة بذنب • قال وفي رواية أخرى عنه : ولا أكفر أهل التأويل
المخالف للظاهر بذنب اه •

واجمع الشافعية على عدم تكفير الخوارج ، واعتذروا عنهم (كما في خاتمة
الصواعق) بأنهم تأولوا فلهم شبهة غير قطعية البطلان (٩) •

(٩) هذا مع ما أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين
وقتلهم في الجزء الرابع من صحيحه بالإسناد إلى أبي سعيد الخدري من حديث
ذكر فيه الخوارج فقال (ص) : يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ،
ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء ، ثم
ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شيء ،
قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل احدى يديه ، أو قال : ثديه مثل ثدي
المرأة ، أو قال : مثل البضعة تدرر ، يخرجون على حين فرقة من الناس •
قال البخاري : قال أبو سعيد : أشهد سمعت من النبي (ص) ، وأشهد
أن علياً قتلهم ، وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعت النبي (ص) الحديث
وأخرجه مسلم أيضاً في باب ذكر الخوارج وصفاتهم في أواخر كتاب الزكاة من
الجزء الأول من صحيحه • وأخرجه أحمد من حديث أبي سعيد في مسنده
ورواه كافة المحدثين • وأخرج مسلم في باب الخوارج شر الخلق والخلقة
من كتاب الزكاة من صحيحه بالإسناد إلى أبي ذر قال : قال رسول الله (ص) :
إن بعدي من امتي قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز حلقيمهم ، يخرجون من
الدين كما يخرج السهم من الرمية ، ثم لا يعودون فيه ، هم شر الخلق
والخلقة — الحديث •

وأخرج أحمد بن حنبل في صفحة ٢٢٤ من الجزء الثالث من مسنده عن
أنس بن مالك وأبي سعيد عن النبي (ص) قال : سيكون في امتي حين اختلاف
بينها وفرقة قوم يحسنون القيل ، ويسوئون الفعل ••• إلى أن قال صلى الله
عليه وآله وسلم : يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، لا يرجعون
حتى يرتدوا على فوقه ، هم شر الخلق والخلقة ، طوبى لمن قتلهم وقتلوه ،
يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء — الحديث •

وقال العلامة ابن عابدين في باب المرتد من حاشيته الشهيرة الموسومة برد المحتار ما هذا لفظه : وذكر في فتح القدير أن الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم ويكفرون الصحابة حكمهم عند جمهور الفقهاء وأهل الحديث حكم البغاة ^(١٠) قال : وذهب بعض أهل الحديث الى أنهم مرتدون • قال قال ابن المنذر : ولا اعلم أحداً وافق أهل الحديث على تكفيرهم • قال : وهذا يقتضي نقل اجماع الفقهاء (على عدم تكفير الخوارج) اهـ •

هذا مع أن النبي (ص) نص على أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، وأنهم شر الخلق والخلقة ، وانهم ليسوا من الله في شيء ، وأن طوبى لمن قتلهم أو قتلوه • واذا كان هؤلاء مسلمين بالاجماع فما ظنك بمن دخل باب حطة ، وركب سفينة النجاة ، واعتصم بحبل الله ، وتمسك بثقلي رسول الله ، ودخل مدينة علمه من بابها ، ولجىء الى أمان امته من اختلافها وعذابها • واذا كان الخوارج مسلمين فمن غيرهم من أهل القبلة يكون كافراً ، وأي ذي نحلة من أهل الاسلام ليس له كشبهتهم •

ورأيت كلاماً في هذا المعنى ناجعاً لشيخ السادة الحنفية محمد أمين المعروف بابن عابدين في باب المرتد من كتاب الجهاد في صفحة ٣٠٢ من الجزء الثالث من رد المحتار ، يحكم فيه قاطعاً باسلام من يتأول في سب الصحابة مصرحاً بأن القول بتكفير المتأولين بذلك مخالف لاجماع الفقهاء ، مناقض لما في متونهم وشروحهم ، وأن ما وقع في كلام أهل المذهب من تكفيرهم ليس من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون ، بل من غيرهم قال : ولا عبرة

(١٠) يعني أنهم ان خرجوا على سلطان المسلمين يجب قتالهم حتى يفىءوا الى طاعته ، فإن بخعوا لأوامره كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين •

بغير الفقهاء ، والمنقول عن الفقهاء ما ذكرناه . . . الى آخر كلامه ، وقد اشتمل على أدلة وافية ، وشواهد كافية ، فليطلبه من أراده ، وله كلام آخر في هذا المعنى أبسط مما أشرنا اليه ، نلفت الطالبين له الى كتابه تنبيه الولاة والحكام . على أن ما في رد المختار مقنع لأولي الأبصار .

وقد ألف العلامة الكبير الملا علي القاري الحنفي رسالة في الرد على من يكفر المتأولين بذلك ، كما نص عليه ابن عابدين فيما تقدمت اليه الاشارة من كلامه .

وقال ابن حزم في صفحة ٢٥٧ من أواخر الجزء الثالث من فصله ما هذا لفظه : وأما من سبَّ أحدًا من الصحابة رضي الله عنهم فإن كان جاهلاً فمعذور وإن قامت عليه الحجة فتمادي غير معاند فهو فاسق كمن زنى أو سرق ، وإن عاند الله تعالى في ذلك ورسوله صلى الله عليه (وآله) وسلم فهو كافر . قال : وقد قال عمر رضي الله عنه بحضرة النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم عن حاطب - وحاطب مهاجري بدري - : دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فما كان عمر بتكفيره حاطباً كافراً ، بل كان مخطئاً متأولاً اهـ .

قلت : لا يخفى انه جعل الملاك في التكفير إنما هو العناد لله ورسوله ، وهذا لا وجود له فيمن ينتحل دين الاسلام . نعم قد يكون الساب (والعياذ بالله) جاهلاً أو ذا شبهة أو رده ذلك المورد ، فيكون معذوراً .

ويدل على عدم كفر المسلم به اطلاق الأحاديث التي سمعتها في كل من الثاني والثالث والرابع والخامس من هذه الفصول فراجع .

وأيضاً يدل على عدم الكفر مضافاً الى ذلك ما أورده القاضي عياض في الباب الأول من القسم الرابع من كتاب الشفا نقلاً عن القاضي اسماعيل

وغير واحد من الأئمة ان رجلاً سب أبا بكر بمحضر منه رضي الله عنه ، فقال له أبو برزة الاسلمي : يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه • فقال : اجلس ليس ذلك لأحد إلا لرسول الله صلى الله عليه وآله (١١) •

وفي ذلك الباب من الشفا أيضاً ان عامل عمر بن عبدالعزيز بالكوفة استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه ، فكتب اليه : لا يحل قتل امرئ مسلم بسب أحد من الناس إلا رجلاً سب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن سبه فقد حل دمه اه •

قلت : أفضى بنا الكلام الى ما هو غير مقصود بالذات ، وليس الغرض إلا تأليف المسلمين وإعلامهم بأنهم اخوان في الدين ، ولا نرتاب في ان سب رجل من عرض المؤمنين — فضلاً عن سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين — موبقة وفسق ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سباب المسلم فسق وقتاله كفر •

ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول : نقل علي بن حزم الظاهري عن الاشاعرة ما لا يتسنى معه القول بتكفير أحد أصلاً ، واليك عبارته بحروفها ، قال في أثناء شنع المرجئة في صفحة ٢٠٦ من الجزء الرابع من فصله : وأما الاشعرية فقالوا : إن شتم من أظهر الاسلام لله تعالى ولرسوله بأفحش ما يكون من الشتم ، واعلان التكذيب لهما باللسان بلا تقية ولا حكاية ، والاقرار بأنه يدين بذلك ليس شيء من ذلك كفراً اه •

(١١) وروى النسائي بالإسناد الى أبي برزة الاسلمي قال : أتيت أبا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه ، فقلت : يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه • فقال : اجلس فليس ذلك لأحد إلا لرسول الله (ص) •

وفي صفحة ٢٠٤ من الجزء الرابع من الفصل أيضاً : نسب الى الامام أبي الحسن الاشعري وجميع أصحابه القول بأن الايمان عقد بالقلب ، وإن اعلن الكفر بلسانه بلا تقية ، وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار الاسلام ، وعبد الصليب وأعلن التثليث في دار الاسلام ، ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الايمان عند الله عز وجل من أهل الجنة اهـ .

ولا يخفى انه اذا ثبت هذا عن الامام الأشعري وأصحابه — وهم جميع اخواننا السنين في هذه الأعصر — هان الأمر في مسألتنا ، إذ لا يمكنهم حينئذ تكفير من يجاهرهم بصريح الكفر ، فكيف يتسنى لهم تكفير من انطوى ضميره على تقديس الله عز وجل ، وانعقد قلبه على تنزيهه ، ونبضت شرايينه بتسبيحه ، ونبت لحمه واشتد عظمه على توحيده ، وخالط الايمان مخه ودمه وامتزج بجميع عناصره ، فشهد به لسانه ، وبخعت له أركانه ، واعترفت به حرركاته ، وأقرت به سكناته ، مؤمناً برسوله ، موقناً بجميع ما جاء به من عند الله عز وجل ، يثحي ما أحياء الكتاب والسنة ، ويميت ما أماتاه ، لكن منينا بقوم همهم تفريق المسلمين ودأبهم بث العداوة بين الموحدين (وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) .

وعن الأوزاعي : والله لئن نشرت لا أقول بتكفير أحد من أهل الشهادتين .

وعن ابن سيرين : أهل القبلة كلهم ناجون .

وسئل الحسن البصري عن أهل الأهواء ؟ فقال : جميع أهل التوحيد من

أمة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم يدخلون الجنة البتة .

وسئل الزهري عن لابس الفتن وقاتل فيها ؟ فقال : القاتل والمقتول في

الجنة ، لأنهم من أهل لا إله إلا الله .

وعن سفيان الثوري : لا تحل عداوة موحد وان مال به الهوى عن الحق لأنه لا يهلك بذلك .

وعن سعيد بن المسيب : لا تعادِ منتحلاً لدين الاسلام وان أخطأ ، فكل مسلم مغفور له .

وعن ابن عيينة : لأن تأكل السباع لحمي أحب الي من أن ألقى الله تعالى بعداوة من يدين له بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة .

قلت : أي حكمة في عداوته الا اعلانه فيما يسيئك ومجاهرته فيما يخالفك ، وحرية المذاهب والأديان تخول ذلك ، ولو تحببت اليه ثم ناظرته فعسى ان يتبين له صوابك فيتبعه ، أو يريك الحق فتوافقه . على انه ما صار الى خلافك عناداً للحق ، أو رغبة في الباطل ، ضرورة ان ذلك لا يفعله — في مقام التقرب الى الله تعالى — عاقل .

أجل سيق قسراً الى مخالفتك في بعض ما تعبره من الفروع بسيئات الادلة القاطعة ، ومقارع الحجج الساطعة ، وهبها شبهاً (كما تزعم) لكنها توجب العذر لمن غلبت عليه (لأنها مع كونها من الكتاب والسنة) أفادته القطع بما قاده اليه ، فان كان مصيباً فله أجران وإلا فقد أجمع المسلمون على معذرة من تأول (في غير اصول الدين) وان أخطأ كما تشهد به أخبارهم وتفصح عنه أسفارهم وتعلنه أفعالهم وأقوالهم .

« فصل »

V

في بشائر السنة الشيعية ، وهي صحاح متظافرة من طريق العترة الطاهرة ، واليك منها ما أخرجه محدثو أهل السنة بأسانيدهم وطرقهم :

روى الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس — كما في صفحة ٩٦ من الصواعق المحرقة لابن حجر ^(١) — أنه قال : لما أنزل الله تعالى « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » جزأؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدون فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه » قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي : هم أنت وشيعتك ، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ، ويأتي عدوك غضاىبى مقمحين .

وأخرج الحاكم في شواهد التنزيل عن ابن عباس أيضاً : قال نزلت هذه الآية « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » في علي وأهل البيت ، وعدّها ابن حجر في الفصل الأول من الباب ١١ من صواعقه في جملة الآيات النازلة فيهم عليهم السلام — فراجع الآية الحادية عشرة من الآيات التي أوردها هناك ^(٢) .

وأخرج الحاكم في كتابه شواهد التنزيل بالاسناد الى علي قال : قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا مسنده الى صدري ، فقال : يا علي ألم تسمع قول الله تعالى « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » هم شيعتك ، وموعدي وموعدكم الحوض ، يدعون غراً محجلين .

وأخرج الديلمي — كما في ص ٩٦ من الصواعق المحرقة — قال : قال

(١) راجع النسخة المطبوعة بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٢٤ هـ ، وكل ما نقله عن الصواعق فانما نقله عن هذه النسخة .
(٢) في صفحة ٩٦ من الصواعق .

رسول الله (ص) : يا علي إن الله قد غفر لك ولولدك ولذريتك ولأهلك
ولشيعتك ولحبي شيعتك ، فابشر فانك الأنزع البطين •

وأخرج الطبراني وغير واحد من المحدثين أن علياً أتى يوم البصرة
بذهب وفضة ، فقال : أبيضاء وصفراء غري غري ، غري أهل الشام غداً اذا
ظهروا عليك ، فشق قوله هذا على الناس فذكر ذلك له ، فأذن في الناس
فدخلوا عليه ، فقال : إن خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :
يا علي إنك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ، ويقدم عليه عدوك
غضابى مقمحين • قال : ثم جمع علي يده الى عنقه يريهم الاقماح اه •

وقد أورد ابن حجر هذا الحديث في صفحة ٩٢ من صواعقه وعلق عليه
كلاماً يضحك الشكلى ، ونحن نأخذ بما روى ونعرض عما رأى •

وأخرج الطبراني — كما في صفحة ٩٦ من الصواعق أيضاً — قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي : أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت
والحسن والحسين ، وذريتنا خلف ظهوراً ، وشيعتنا عن أيماننا وشمائنا •

وأخرج أحمد بن حنبل في المناقب — كما في صفحة ٩٦ من الصواعق
أيضاً — أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي : أما ترضى انك
معي في الجنة والحسن والحسين وشيعتنا عن أيماننا وشمائنا •

وأخرج الحاكم — كما في تفسير آية المودة في القربى من مجمع البيان —
بالاسناد الى أبي امامة الباهلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
إن الله تعالى خلق الانبياء من أشجار شتى ، وخلقنا أنا وعلي من شجرة
واحدة ، فأنا أصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمارها
وأشباغنا أوراقها ، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ، ومن زاع عنها هوى ،

للامام شرف الدين ٤١
ولو ان عبداً عبد الله ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام حتى يصير كالشن البالي وهو لا يحبنا كبَّه الله على منخريه في النار ، ثم تلا : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » .

تنبيه

لا يخفى ان شيعة علي وأهل البيت هم أتباعهم في الدين وأشياءهم من المسلمين ، ونحن والحمد لله قد انقطعنا اليهم في فروع الدين وعقائده وأصول الفقه وقواعده وعلوم السنة والكتاب وفنون الاخلاق والسلوك والآداب بخوعاً لامامتهم واقراراً بولايتهم ، وقد والينا أولياءهم وجانبنا أعداءهم ، عملاً بقواعد المحبة وطبقاً لاصول الاخلاق في المودة ، فكنا بذلك لهم شيعة وكانوا لنا وسيلة وذريعة . والحمد لله على هدايته لدينه والتوفيق لما دعا اليه الرسول من التمسك بثقلية والاعتصام بحبليه ودخول مدينة علمه من بابها ، باب حطة وأمان أهل الأرض وسفينة نجاة هذه الأمة ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

واخرج ابن سعد (كما في صفحة ٩١ من الصواعق) عن علي : اخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين . قلت : يا رسول الله فمحبونا ؟ قال : من ورائكم .
وأخرج الديلمي (كما في الصواعق أيضاً) مرفوعاً : إنما سميت ابنتي فاطمة لأن الله فطمها ومحببها عن النار (١) .

وأخرج ابن حنبل والترمذي (كما في صفحة ٩١ من الصواعق) أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بيد الحسنين وقال : من أحبني وأحب هذين (١) وأخرج النسائي نحوه كما في صفحة ٩٦ من الصواعق .

وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة (٢) .
 واخرج الثعلبي في تفسيره الكبير بالسناد الى جرير بن عبدالله البجلي
 قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من مات على حب آل
 محمد (٣) مات شهيداً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ،
 ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ، ألا ومن مات على حب آل محمد
 مات مؤمناً مستكمل الايمان ، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك
 الموت بالجنة ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف الى
 الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حب آل محمد
 فتح له في قبره بابان الى الجنة ، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله
 قبره مزار ملائكة الرحمة ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة

(٢) وأخرجه أيضاً أبو داود (كما في صفحة ١٠٣ من الصواعق) وزاد فيه
 «ومات متبعا لسنتي» ، وبها يعلم أن اتباع سنته لا يكون الا بمحبتهم (ع) .

(٣) المراد من آل محمد في هذا الحديث ونحوه مجموعهم من حيث
 المجموع ، باعتبار أنهم الذين هم خلفاء رسول الله (ص) وأوصياؤه، ووارثوا
 حكمه وأولياؤه ، وهم الثقل الذي قرنه بالقرآن ونص على انهما لا يفترقان ،
 فلا يفضل من تمسك بهما ولا يهتدي من تخلى عن أحدهما ، وليس المراد هنا
 من الآل جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول لكل فرد فرد ، لأن هذه
 المرتبة السامية ليست الا لأولياء الله القوامين بأمره ، خاصة بحكم الصحاح
 المتواترة من طريق العترة الطاهرة .

نعم تجب محبة جميع أهل بيته وذريته كافة لتفرعهم من شجرته الطاهرة
 صلى الله عليه وآله وسلم ، وبذلك تحصل الزلفى لله تعالى والشفاعة من جدهم
 بأبي هو وأمي ، وكنت أوصيت أولادي ان يكتبوا هذا الحديث على كفني
 بعد الشهادتين لألقى الله تعالى بذلك ، والآن أكرر وصيتي هذه اليهم ولتكن
 الكتابة على العمامة .

والجماعة ، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله - الحديث •

وقد ارسله الزمخشري في تفسير آية المودة في القربى من سورة الشورى من كشافه ارسال المسلمات ، ورواه المؤلفون في المناقب والفضائل مرسل مرة ومسنداً تارات • وأنت تعلم أن هذه المنزلة السامية إنما ثبتت لهم لأنهم حجج الله البالغة ، ومناهل شرائعه السائغة ، وأمناءه بعد النبي (ص) على وحيه ، وسفراءه في أمره ونهيه ، فالمحب لهم بسبب ذلك محب لله والمبغض لهم مبغض لله • ومن هنا قال فيهم الفرزدق •

من معشر حبههم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم

إن عُدَّ أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

وأخرج أحمد « كما في أواخر الفصل الثاني من الباب ٩ من الصواعق ^(٤) » عن علي قال : طلبني النبي (ص) فوجدني في حائط فقال : قم والله لأرضيك ، أنت أخي وأبو ولدي تقاتل على سنتي ، من مات على عهدي فهو في كنز الجنة ومن مات على عهدك فقد قضى نجه ، ومن مات يحبك بعد موتك ختم الله له بالامن والايمان ما طلعت شمس أو غربت •

وأورد ابن حجر في أواخر المقصد الثاني من المقاصد التي ذكرها في آية المودة في القربى من صواعقه حديثاً هذا لفظه ^(٥) ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج على اصحابه ذات يوم ووجهه مشرق كدائرة القمر ، فسأله

(٤) صفحة ٧٥ •

(٥) راجعه في صفحة ١٠٣ من الصواعق ورواه غير واحد ممن كتب في المناقب والفضائل •

عبدالرحمن بن عوف عن ذلك فقال (ص) : بشارة اتنتي من ربي في أخي وابن عمي وابنتي ، بأن الله زوج علياً من فاطمة ، وامر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رقاقاً — يعني صكاً — بعدد محبي أهل بيتي ، وأنشأ تحتها ملائكة من نور دفع الى كل ملك صكاً ، فاذا استوت القيامة بأهلها نادى الملائكة في الخلائق فلا يبقى محب لأهل البيت إلا دفعت اليه صكاً فيه فكاكه من النار ، فصار أخي وابن عمي وابنتي فككاً رقاب رجال ونساء من امتي من النار . والأخبار في هذا لا يحتسبها هذا الاملاء ، وفي هذا القدر كفاية لمن كانت لله تعالى فيه عناية .

فعسى ان يعرف الشيعي بعد هذا أن أهل السنة قد انصفوا واعترفوا ، وعسى ان يعرف السني ان لا وجه بعد هذه المبشرات لشيء من الضغائن أو الهناة . والسلام على من اتبع السنن وجانب الفتن ورحمة الله وبركاته .

« فصل »

٨

نضمنه طائفة ممن تأولوا من السلف فخالقوا الجمهور ولم يقدح ذلك في عدالتهم .

وغرضنا الذي نرمي اليه إنما هو ايضاح معذرة المتأولين من المسلمين ، وذلك انك اذا رأيت صالح سلفك ومن أخذت عنه دينك واتخذته واسطة بينك وبين نبيك صلى الله عليه وآله وسلم يخالفك مجتهداً وينحو غير نحوك متأولاً فلا جرم انك تقطع حينئذ بمعذرة من يتأول من معاصريك نحو تأوله أو يخالفك مثل خلافه .

وأنا أرجو ممن خدمتهم من اخواني المسلمين بهذه الرسالة ان ينظروا

بعين الانصاف هل كان بين الله عز وجل وبين أحد من الناس قرابة فيحاييه ؟
 كلا ! ما كان الله ليعاقب قوماً بأمر يشب به آخرين ، إن حكمه في الأولين
 والآخرين لواحد ، وما بين الله تعالى وبين أحد من خلقه هوادة في إباحة حمى
 حرمه على العالمين •

إن المتأولين بما يخالف الجمهور من الصحابة والتابعين وتابعيهم كثيرون
 لا يسعنا استقصاؤهم وإنما نذكر منهم ما يحصل به الغرض :

هذا أبو ثابت سعد بن عبادة العقبي البصري سيد الخزرج و تقيهم
 وجواد الأنصار وعظيمهم ، تخلف عن بيعة الخلفيتين ، وخرج مغاضباً إلى
 الشام فقتل غيلة بحوران سنة ١٥ للهجرة ، وله كلام يوم السقيفة وبعده نلت
 الطالبين له الى كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة أو الى تاريخ الطبري أو
 كامل ابن الأثير أو غيرها من كتب السير والأخبار ، فاني لا اظنه يخلو من
 كتاب يشتمل على ذكر السقيفة ، وكل من ذكر سعداً من أهل التراجم ذكر
 تخلفه عن البيعة ، ومع ذلك لم يرتابوا في كونه من أفاضل المسلمين وعدول
 المؤمنين ، وما ذاك إلا لكونه متأولاً ، فهو معذور عندهم وان كان مخطئاً •

وهذا حباب بن المنذر بن الجموح الانصاري البصري الأحدي ، تخلف
 عن البيعة أيضاً كما هو معلوم بحكم الضرورة من تاريخ السلف ، فلم يقدح
 ذلك في عدالته ولا أتقص من فضله ، وهو القائل : أنا جُذِلَها المحكك ،
 وعُذِقَها المرجَّب (١) أنا ابو شبل في عرينة الاسد ، والله لئن شئتُم لنعيدها
 جذعة • وله كلام آخر رأينا الاعراض عنه أولى ، ولولا معذرة المتأولين ما

(١) الجذيل مصغر جذل : عود ينصب للجرباء لتحتك به • والعذيق
 مصغر عذق : قنو النخلة • والمرجب : المبجل ، والتصغير هنا للتعظيم •

كان أهل السنة ليقطعوا بأن هذا الرجل من أفاضل أهل الجنة ، مع مكاشفته للخليفين بما هو مبسوط في كتب الفريقين ♦

وهذا أمير المؤمنين عليه السلام ، وعمه العباس وبنوه ، وعتبة بن أبي لهب ، وسائر بني هاشم ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر ، والمقداد وعمار ، والزبير ، وخزيمة بن ثابت ، وأبيّ بن كعب ، وفروة بن عمرو بن ودقة الانصاري ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والبراء بن عازب ، ونفر غيرهم تخلفوا عن البيعة أيضاً بحكم ما تواتر من الأخبار واتضح اتضح الشمس في رائعة النهار ، وقد نصّ الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما (٢) على تخلف علي عن البيعة حتى لحقت سيدة النساء بأبيها صلى الله عليه وآله وسلم وانصرفت عنه وجوه الناس ♦

وصرح بتخلفه المؤرخون كابن جرير الطبري في موضعين من أحداث السنة الحادية عشرة من تاريخه المشهور ، وابن عبد ربه المالكي في حديث السقيفة من الجزء الثاني من العقد الفريد (٣) وابن قتيبة في أوائل كتابه الامامة والسياسة وابن الشحنة حيث ذكر بيعة السقيفة في كتابه « روضة المناظر » (٤) وأبي الفداء حيث أتى على ذكر أخبار أبي بكر وخلافته في

(٢) راجع أواخر باب غزوة خيبر في صفحة ٣٦ من الجزء الثالث من صحيح البخاري المطبوع في مصر سنة ١٣٠٩ وفي هامشه تعليقة السندي ، أو باب قول النبي (ص) لا نورث ما تركنا فهو صدقة من كتاب الجهاد والسير من صحيح مسلم في صفحة ٧٢ من الجزء الثاني طبع مصر سنة ١٣٢٧ تجد التصريح بتخلفه عن البيعة مسنداً الى أم المؤمنين عائشة (رض) ♦
(٣) في ص ١٩٧ من النسخة المطبوعة في مصر سنة ١٣٠٥ وفي هامشها زهر الآداب ♦

(٤) هذا الكتاب ومروج الذهب مطبوعان في الهامش من كامل ابن

تاريخه الموسوم بالمختصر في أخبار البشر ، ونقله المسعودي في مروج الذهب عن عروة بن الزبير في مقام الاعتذار عن أخيه عبدالله ^(٥) إذ همّ بتحريق بيوت بني هاشم عليهم حين تخلفوا عن بيعته ، ورواه الشهرستاني عن النظام عند ذكره للفرقة النظامية في كتابه الملل والنحل ، وأورده ابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي في أوائل الجزء السادس من شرح النهج ^(٦) ، ونقله العلامة في نهج الصدق عن كتاب المحاسن وانفاس الجواهر وغرر ابن خزابة وغيرها من الكتب المعتبرة ، وأفرد أبو مخنف لبيعة السقيفة كتاباً على حدة فيه تفصيل ما أجملناه من تخلف علي عن البيعة وعدم اقراره لهم بالطاعة ♦

وهذا من أدل الأمور على معذرة المتأولين ، ومن يجترى على أخي النبي ووليه ووارثه ووصيه (وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) فيقول إنه كان حينئذ عاصياً لله سبحانه ، وهو أول من آمن به وأطاعه من هذه الأمة ، أو يقول انه كان مخالفاً للسنة ، وهو قيمها ووارثها وصاحب العناء بتأييدها ، وقد انتهى اليه ميراثها ، أو يزعم انه كان مفارقاً لشقيقه القرآن وقد نص النبي (ص) على انهما لا يفترقان ^(٧) أو يتوهم انه كان مجانباً الأثير ، أما مروج الذهب فمطبوع مع الخمس الأول من مجلدات الكامل ، وهذا الكتاب - أعني تاريخ ابن الشحنة - في هامش المجلد الأخير المشتمل على جزء ١١ وجزء ١٢ ، وما نقلناه عنه هنا موجود في صفحة ١١٢ من الجزء الحادي عشر فراجع ♦

(٥) عرفت أن مروج الذهب مطبوع في هامش ابن الأثير ، وما نقلناه الآن عنه موجود في آخر صفحة ٢٥٩ من الجزء السادس فراجع ♦
(٦) في أوائل الصفحة الخامسة من المجلد الثاني من الشرح طبع مصر ♦
(٧) أخرج الطبراني في الأوسط « كما في الفصل الثاني من الباب التاسع من الصواعق صفحة ٧٤ » عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول :

للصواب ، وقد أذهب عنه الرجس وطهره نصّ الكتاب ، أو يقول انه كان متنبكاً عن الحق ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « علي مع الحق والحق مع علي يدور معه كيف دار » أو يقول انه قعد به الجهل بحكم هذه البيعة ، وهو أقضى الأمة وباب مدينة العلم (ومن عنده علم الكتاب) • وهذا أبو سفيان صخر بن حرب تخلف عن البيعة أيضاً وهو القائل يومئذ ^(٨) اني أرى غبرة لا يطفئها إلا دم ، وجعل يطوف في أزقة المدينة ويقول : بني هاشم لا تطمع الناس فيكم ولا سيما تيم بن مرة أو عدي فما الأمر إلا فيكم واليكم وليس لها إلا أبو حسن علي وقال ^(٩) فما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش ، ثم قال لعلي : ابسط يدك أبايعك ، فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً ، فأبى أمير المؤمنين عليه السلام ، فتمثل بقول المتلمس :

ولن يقيم على خسف يراد به إلا الأذلان غير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يبكي له أحد
هذا بعض ما كان منه يومئذ ، ونحن (الامامية) لا نحصل فعله هذا إلا على ارادة الفتنة ، وشق عصا المسلمين ، ولذا زجره أمير المؤمنين عليه السلام وقال له ^(١٠) والله إنك ما أردت بهذا إلا الفتنة ، وانك والله طالما بغيت للاسلام شراً •

علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض •
(٨) هذا وما بعده حتى البيتان موجود في حديث السقيفة من العقد الفريد فراجع •
(٩) هذا وما بعده حتى البيتان الأخيران موجود في حديث السقيفة من كامل ابن الأثير •
(١٠) نقلناه عن كامل ابن الأثير •

وإنما ذكرناه في عداد المتأولين مجازاً لمن يحمل أفعاله على الصحة ،
لنتم حجتنا عليهم به في معذرة المتأولين ، ضرورة أنه لا يمكن ان يكون معذوراً
عندهم في هذا التخلف إلا بناء على ذلك الاصل •

وهذه سيدة نساء العالمين ، وبضعة خاتم النبيين والمرسلين صلى الله عليه
 وآله وسلم ، قد علم الناس ما كان بينها وبين أبي بكر إذ هجرته فلم تكلمه حتى
 ماتت ودفنها أمير المؤمنين ليلاً ، ولم يؤذن بها إلا نقرأ من شيعة لثلا يصلي
 عليها غيرهم ، وهذا من المسلمات أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين (١١)
 ورواه الامام أحمد من حديث أبي بكر في أواخر صفحة ٦ من الجزء الأول
 من مسنده ، وذكره أهل الأخبار ، ونص عليه أرباب السير ، وحسبك من
 ذلك ما أودعه الامام ابن قتيبة في كتابه الامامة والسياسة ونقله العلامة المعتزلي
 عن ثقة المؤرخين في شرحه لنهج البلاغة •

ولها خطبتان تفرغ فيهما عن لسان أبيها صلى الله عليه وآله وسلم ،
 احدهما في ميراثها والثانية في أمر الخلافة ، أوردهما أحمد بن عبدالعزيز
 الجوهري في كتابه والعلامة المعتزلي في الجزء ١٦ من شرح النهج (١٢) واليكهما
 في كتاب بلاغات النساء (١٣) والاحتجاج والبحار وغيرها من كتب الفريقين ،

(١١) راجع أواخر باب غزوة خيبر في صفحة ٣٦ من الجزء ٣ من صحيح
 البخاري أو أول كتاب الفرائض في صفحة ١٠٥ من الجزء الرابع من صحيحه
 أيضاً أو باب قول النبي (ص) لا نورث ما تركنا فهو صدقة من كتاب الجهاد في
 صفحة ٧٢ من الجزء ٢ من صحيح مسلم •

(١٢) اما الأولى فموجودة في صفحة ٧٩ والثانية في صفحة ٨٧ من المجلد
 الرابع من شرح النهج طبع مصر •

(١٣) لمؤلفه أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر المتوفى سنة ٢٨٠ فراجع
 منه صفحة ١٦ و ٢٣ •

لتكون على يقين من معذرة المتأولين •

وهذا أبو سليمان خالد بن الوليد المخزومي ، قتل يوم البطاح مالك بن نويرة بن حمزة بن شداد بن عبد بن ثعلبة بن يربوع التميمي ، ونكح زوجته أم تميم بنت المنهال وكانت من أجمل النساء ، ثم رجع الى المدينة وقد غرز في عمامته أسهماً فقام اليه عمر (رض) فنزعها وحطمها ، وقال له (كما في تاريخ ابن الأثير وغيره) قتلت امرأة مسلماً ثم نزوت على امرأته ، والله لأرجمنك بأحجارك • ثم قال لأبي بكر (كما في ترجمة وثيمة بن موسى من وفيات ابن خلكان) إن خالداً قد زنى فارجمه • قال : ما كنت لأرجمه ، فانه تأول فأخطأ • قال : إنه قتل مسلماً فاقتله به • قال : ما كنت لأقتله به ، إنه تأول فأخطأ • فلما أكثر عليه قال : ما كنت لأشيم سيفاً سلكه الله تعالى ، وودى مالكا من بيت المال ، وفك الأسرى والسبايا من آله • وهذه الواقعة من المسلمات ، لا ريب في صدورهما من خالد (١٤) وقد ذكرها محمد بن جرير الطبري في

(١٤) وله واقعة أخرى أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك انه بعث الى بني جذيمة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً ، وكانت جذيمة قتلت في الجاهلية عمه الفاكه بن المغيرة ، فلما ورد عليهم قال لهم : ضعوا سلاحكم فان الناس قد أسلموا ، فوضعوا سلاحهم فأمر بهم فكتفوا ثم عرضهم على السيف وقتل منهم مقتلة عظيمة ، فلما انتهى الخبر الى النبي (ص) رفع يده الى السماء فقال « كما في باب بعث خالد بن الوليد الى جذيمة من كتاب المغازي من صحيح البخاري في صفحة ٤٧ من جزئه الثالث » : اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد — مرتين •

ثم أرسل علياً « كما في كامل ابن الأثير وغيره » ومعه مال ، وأمره ان ينظر في أمرهم فودى لهم الدماء والاموال حتى انه ليدي ميلغة الكلب ، وبقي معه من المال فضلة ، فقال لهم : هل بقي لكم مال أو دم لم يود ؟ قالوا : لا • قال : فاني أعطيتكم هذه البقية احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،

تاريخه وابن الأثير في كامله ، ووثيمة بن موسى بن الفرات والواقدي في كتابيهما ، وسيف بن عمر في كتاب الردة والفتوح ، والزبير بن بكار في الموفقيات ، وثابت بن قاسم في الدلائل ، وابن حجر العسقلاني في ترجمة مالك من أصابته ، وابن الشحنة في روضة المناظر ، وأبو الفداء في المختصر ، وخلق كثير من المتقدمين والمتأخرين ، والكل ذكروا اعتذار ابي بكر عن خالد بأنه تأول فأخطأ .

واذا كان أبو بكر أول من نص على معذرة المتأولين ، فمن ذا يرتاب في ذلك من جمهور المسلمين .

وليت شعري متى كان التأول في الفروع شيئاً نكراً أم كيف لا يكون عند الله والمؤمنين عذراً ، وقد تأول السلف كثيراً من ظواهر الأدلة لأمر وظنوا فيها صلاح الملة ، فبغ لتأولهم جمهور المسلمين ، وانقطع اليهم في كل ما يتعلق بالدين ، تقديساً لتأولهم واجتهادهم ، وتنزيهاً لغرضهم ومرادهم ، وإليك مضافاً إلى ما تلوناه تلميحاً إلى بعض تأولاتهم وإشارة إلى اليسير من اجتهاداتهم ، أذكر ذلك مختصراً في العبارة والحر تكفيه الإشارة .

فمنها تأولهم في الطلاق الثلاث وحكمهم فيه بخلاف ما كان عليه زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر كما هو مقرر معلوم .

ففي باب طلاق الثلاث من كتاب الطلاق من صحيح مسلم في صفحة ٥٧٤ من جزئه الأول عن ابن عباس بطرق مختلفة قال : كان الطلاق على عهد

ففعّل ثم رجع فأخبر النبي (ص) فقال : أصبت وأحسن .
هذا ما نقله جميع المؤرخين وكل من ترجم خالداً ، حتى قال ابن عبد البر بعد أن ذكر هذا الخبر عنه في ترجمته من الاستيعاب ، ما هذا لفظه : وخبره في ذلك من صحيح الآثار .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر وستين من خلافة عمر طلاق
 الثلاث واحدة • قال : فقال عمر بن الخطاب إن الناس قد استعجلوا في أمر
 قد كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم • قال : فأمضاه عليهم اه •
 ونقله قاسم بك أمين في صفحة ١٧٣ من كتابه « تحرير المرأة » عن
 صحيح البخاري ونقله الفاضل الرشيد في صفحة ٢١٠ من المجلد الرابع من
 مناره عن أبي داود والنسائي والحاكم والبيهقي ثم قال ما هذا لفظه : ومن
 قضاء النبي بخلافه ما أخرجه البيهقي عن ابن عباس ^(١٥) قال : طلق ركانة
 امرأته ثلاثاً في مجلس واحد فحزن عليها حزناً شديداً ، فسأله رسول الله صلى
 الله عليه وآله كيف طلقها ؟ قال : ثلاثاً • قال : في مجلس واحد ؟ قال : نعم •
 قال : فانما تلك واحدة فارجعها إن شئت اه •

قلت : وهذا مذهبنا في المسألة، ويدل عليه مضافاً الى ما سمعت ^(١٦) وكونه
 مقتضى الأصل قوله تعالى « الطلاق » الذي تحل المطلقة من بعده انما هو
 « مرتان » فان طلقها مرتين فالواجب عليه بعد ذلك ما أشار اليه سبحانه بقوله
 « فامسك » بعد التطليقتين المتفرقتين « بمعروف أو تسريح » حينئذ « باحسان »

(١٥) وذكره ابن اسحاق في صفحة ١٩١ من الجزء ٢ •
 (١٦) ويدل عليه أيضاً ما نقله قاسم بك أمين في صفحة ١٧٢ من كتابه
 تحرير المرأة عن النسائي والقرطبي والزيلعي بالاسناد الى ابن عباس قال :
 أخبر رسول الله (ص) عن رجل طلق امرأته ثلاثاً جمعاً ، فقام غضبان ثم قال :
 أتلعبون بكتاب الله وأنا بين أظهركم اه ، قلت : وفي تفسير سورة الطلاق من
 الكشف نحوه ، وربما قيل إن هذا الحديث دال على فساد الطلاق الثلاث
 بالمرّة لكونه لعباً ، وبذلك قال سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين ، لكن
 الحق ان اللعب إنما هو في قوله ثلاثاً فيلغى واما قوله أنت طالق فيؤثر أثره
 إذ لا لعب فيه كما هو واضح •

الى ان قال عز اسمه : « فان طلقها » أي مرة ثالثة بعد المرتين المنفرتين « فلا تحل له من بعد » ذلك التطليق الثالث « حتى تنكح زوجا غيره » .
وعلى هذا فلو قال لزوجته « انت طالق ثلاثا » ولم يكن طلقها من قبل أصلا ، أو كان قد طلقها مرة واحدة فلا مانع لهما ان يتراجعا وان لم ينكحها غيره ، لأن المنفي في الآية إنما هو حل ارجاعها من بعد التطليق الثالث المسبوق بتطليقتين كما لا يخفى . بيد أن أبا حفص (رض) تأول الآية وسائر أدلة المسألة (١٧) عقوبة للمستعجلين وردعا لأهل الطيش والجاهلين ، وهذا كاف لك في معذرة المتأولين . فتدبر ولا تكن من الغافلين .
ومنها تأولهم في متعة الحج ومتعة النساء وحكمهم فيهما بخلاف ما كانتا عليه أيام النبي (ص) كما هو مقرر معلوم ، وبيان ذلك على التفصيل يستوجب مباحث :

« المبحث الاول »

في أصل مشروعيتها

اعلم أن هذا المقدار ثابت باجماع المسلمين ، وبكل من الكتاب والسنة :
اما الاجماع فلأن أهل القبلة كافة متفقون على ان الله تعالى قد شرع هاتين المتعتين في دين الاسلام ، وأهل التوحيد من هذه الأمة قاطبة متصافقون على ذلك ، بحيث لا ريب فيه لأحد من المتقدمين والمتأخرين من كافة المسلمين ، بل لعل ذلك ملحق لدى أهل العلم بالضروريات الثابتة عن سيد النبيين (ص) فلا ينكره أحد من أهل المذاهب الاسلامية مطلقا .

(١٧) وفي الصفحة ٢١٢ من المجلد ٤ من المنار تصريح بأن عمر قد اجتهد في هذه المسألة .

وأما الكتاب العزيز ففيه آيتان محكمتان : إحداهما في تشريع متعة الحج ، والاخرى في تشريع متعة النساء •

أما آية متعة الحج فهي قوله تعالى : « فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي » الى قوله عز اسمه : « ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام » إذ لا خلاف بين المسلمين في نزولها في متعة الحج كما لا يخفى •
أما آية متعة الحج فهي قوله تعالى : « فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما

(١) متعة النساء (التي هي موضوع الخلاف بين الشيعة والسنة) أن تزوجك المرأة نفسها حيث لا يكون لك مانع في دين الاسلام عن نكاحها من نسب أو سبب أو رضاع أو احصان أو عدة أو غير ذلك من الموانع الشرعية ، ككونها منكوحة لأبيك ، أو كونها اختاً لزوجتك ، أو غير ذلك - تزوجك نفسها بمهر معلوم الى أجل مسمى ، بعقد نكاح جامع لشرائط الصحة الاسلامية ، فتقول لك بعد الاتفاق والتراضي : « زوجتك ، أو انكحتك ، أو متعتك نفسي ، بمهر قدره كذا يوماً أو شهراً أو سنة أو تذكر مدة أخرى معينة على الضبط ، فتقول أنت لها على الفور : « قبلت » • وتجوز الوكالة في هذا العقد كغيره من العقود ، وبتمامه تكون زوجة لك ، وأنت تكون زوجاً لها الى منتهى الأجل المسمى في العقد ، وبمجرد انتهائه تبين من غير طلاق كالاجارة ، وللزوج فراقها قبل انتهائه بهبة المدة المعينة لا بالطلاق عملاً بالنصوص الخاصة الدالة على ذلك ، ويجب عليها مع الدخول وعدم بلوغها سن اليأس أن تعتد بعد هبة المدة أو انقضائها بقرعين اذا كانت ممن تحيض وإلا فخمسة وأربعين يوماً كالأمة عملاً بالأدلة الخاصة أيضاً ، فاذا وهبها المدة أو انقضت قبل أن يمسهما فماله عليها من عدة كالمطلقة قبل الدخول •

وولد المتعة ذكراً كان أو أنثى يلحق كغيره من الأبناء بأبيه ، فانه أشرف الأبوين ، ولا يدعى إلا له عملاً بقوله تعالى « ادعوهم لآبائهم » ، وله من الارث ما أوصى به الله سبحانه حيث يقول : « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » ولا فرق (عند مبحي المتعة) بين ولديك المولود أحدهما منها والآخر من النكاح المألوف بين عامة المسلمين ، وجميع العمومات الواردة

« فما استمتع به منهن فأتوهن أجورهن » حتى أن كلا من أبي بن كعب في الابناء والآباء والامهات شاملة لابناء المتعة وآبائهم وأمهاتهم ، وكذا القول في العمومات الواردة في الأخوة والأخوات وأبنائهما والأعمام والعمات والاخوال والخالات وأبنائهم « وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض » مطلقاً .
نعم عقد نكاح المتعة لا يوجب توارثاً بين الزوجين المتمتعين ولا ليلة ولا نفقة للمتمتع بها ، وللزوج أن يعزل عنها عملاً بالأدلة الخاصة المخصصة للعمومات الواردة في أحكام الزوجات .

هذه هي متعة النساء التي فهم الامامية من الكتاب والسنة دوام اباحتها ، وأهل المذاهب الأربعة قالوا بتحريمها مع اعترافهم بأن الله تعالى شرعها في دين الاسلام ، وليس عندنا متعة نساء غيرها بحكم الضرورة الأولية من مذهبنا المدون في الوف من مصنفات علمائنا المنتشرة بفضل الطبع في أكثر بلاد الاسلام لكن محمود شكري الألوسي غفر الله له وفق رسالة بذيئة شحنها بإفكه الواضح وبهتانه الفاضح ، وقد وقفت عليها في الجزء ٦ من المجلد ٢٩ من المنار فإذا هي كذب وسباب وتنازع بالألقاب نعوذ بالله السميع العليم من الأفك الأثيم ، إذ يقول غير متأثم : إن عند الشيعة متعة أخرى يسمونها المتعة الدورية ويروون في فضلها ما يروون ، وهي ان يتمتع جماعة بامرأة واحدة فتقول لهم من الصبح الى الضحى في متعة هذا ومن الضحى الى الظهر في متعة هذا ومن الظهر الى العصر في متعة هذا ومن العصر الى المغرب في متعة هذا ومن المغرب الى العشاء في متعة هذا ومن العشاء الى نصف الليل في متعة هذا ومن نصف الليل الى الصبح في متعة هذا ... الى آخر بهتانه المبين فراجع في صفحة ٤٤١ من المجلد ٢٩ من المنار .

وليت المنار سأل هذا المرجف المجحف فقال له : من الذي سماها من الشيعة بهذا الاسم وأي راوٍ منهم روى في فضلها شيئاً أو أتى في رواياته على ذكرها ، وما تلك الروايات التي زعمت أنهم روهها في فضلها ، ومن أخرج تلك الروايات من محدثيهم ، وأي عالم أو جاهل منهم اقتى بها أو ذكرها ، وأي كتاب من كتب حديثهم أو فقههم أو تفسيرهم يشتمل على ذكرها ؟؟

ولو تقدم المنار بهذا السؤال لعرف حقيقة الحال ، ونحن الآن نحيله على مصنفات الامامية في الفقه والحديث والتفسير وسائر الفنون ، وقد اتشر

وابن عباس^(٢) وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم كانوا يقرؤونها: «فما استمتعتم

منها بفضل المطابع عشرات الألوف مختصرة ومطولة متوناً وشروحاً بعضها للمتقدمين وبعضها للمتأخرين ، فليستبعها المنار كتاباً كتاباً وليتصفحها حرفاً حرفاً ليعلم ان الآلوسى وأمثاله من المرجفين الظالمين لأحياء المؤمنين ولأمواتهم ، وقد بهت السلف الصالح بما تستك به المسامع وترتعد منه الفرائص :

من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليله

(ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وان تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) •

(٢) ارسل الزمخشري في كشفه هذه القراءة عن ابن عباس ارسل المسلمات ، والرازي ذكر في تفسير الآية أنه روى عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ « فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى فاتوهن اجورهن » • قال : وهذا أيضاً هو قراءة ابن عباس • قال : والأمة ما أنكروا عليهما في هذه القراءة • قال : فكان ذلك اجماعاً من الأمة على صحة هذه القراءة — هذا كلامه بلفظه فراجع في صفحة ٢٠١ من الجزء ٣ من تفسيره الكبير •

ونقل القاضي عياض عن المازري (كما في أول باب نكاح المتعة من شرح صحيح مسلم للفاضل النووي) ان ابن مسعود قرأ « فما استمتعتم به منهن الى أجل » والأخبار في ذلك كثيرة • وصرح عمران بن حصين الصحابي بنزول هذه الآية في المتعة وأنها لم تنسخ حتى قال رجل فيها برأيه ما شاء •

ونص على نزول الآية في المتعة مجاهد أيضاً فيما أخرجه عنه الطبري في تفسيره باسناده اليه ، فراجع الصفحة ٩ من الجزء ٥ من تفسيره الكبير • ويشهد لنزولها في ذلك بالخصوص ان الله سبحانه قد أبان في أوائل السورة حكم نكاح الدائم بقوله تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » الى أن قال : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » فلو كانت هذه الآية في بيان الدائم أيضاً للزم تكرار ذلك في سورة واحدة ، اما اذا كانت لبيان المتعة المشروعة بالاجماع فانها تكون لبيان معنى جديد •

وأهل النظر ممن تدبر القرآن الحكيم يعلمون ان السورة قد اشتملت على بيان الانكحة الاسلامية كلها ، فالدائم وملك اليمين تبينا بقوله تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم أن لا تعدلوا

به منهن الى أجل مسمى » أخرج ذلك عنهم الامام الطبري في تفسير الآية من أوائل الجزء الخامس من تفسيره الكبير ، ورواه عنهم وعن ابن مسعود جماعة كثيرون من ثقة الامة وحفظتها ، لا يسعنا استقصاؤهم ♦

وأما نصوص السنة في أصل مشروعية المتعنتين فمتواترة ، ولا سيما من طريقنا عن العترة الطاهرة ، وحسبك في ثبوت متعة الحج واستمرارها ما أخرجه الشيخان (البخاري ومسلم) في التمتع والافراد والقران من كتاب الحج من صحيحهما فراجع ♦

على أن متعة الحج قد انعقد الاجماع بعد الخليفة الثاني على استمرارها ولم يعملوا بنهيها عنها ، فهي مما لا كلام في دوامه ، وانما الكلام في متعة النساء ، وقد أخرج الشيخان في أصل مشروعيتهما أحاديث في صحيحهما كثيرة عن كل من سلمة بن الأكوع ، وجابر بن عبدالله ، وعبد الله بن مسعود ، وابن عباس ، وسبرة بن معبد الجهني ، وأبي ذر الغفاري ، ومعران بن حصين ، والاكوع بن عبدالله الاسلمي ، وأخرجها أحمد بن حنبل في مسنده من حديث هؤلاء كلهم ، ومن حديث عبدالله بن عمر ، وأخرج مسلم في باب نكاح المتعة من كتاب النكاح من الجزء الأول من صحيحه عن جابر بن عبدالله ، وسلمة بن الأكوع ، قالا : خرج علينا منادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إن رسول الله أذن لكم أن تستمتعوا يعني متعة النساء اه ♦ والصحيح في هذا المعنى كثيرة وفيما أشرنا اليه كفاية ♦

فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » ♦ والمتعة مبينة بآيتها هذه « فما استمتعتم به منهن » ونكاح الائمة مبين بقوله تعالى : « ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ » الى أن قال : « وآتوهن أجورهن بالمعروف » ♦

« المبحث الثاني » في دوام حلها واستمرار إباحتها

وقد ذهب الى ذلك أئمتنا الاثنا عشر من أهل البيت (وأهل البيت أدري بالذي فيه) وتبعهم في ذلك شيعتهم وأولياؤهم ، وحسبك حجة لهم ما قد سمعته من إجماع المسلمين على أن الله تعالى شرعها في دينه القويم وصدع بإباحتها في الذكر الحكيم ، وأدّٰن في الاذن بها منادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يثبت نسخها عن الله تعالى ، ولا عن رسوله (ص) حتى انقطع الوحي باختيار الله تعالى لنبيه دار كرامته ومأوى أصفائه ، بل ثبت عدم نسخها بحكم صحاحنا المتواترة من طريق العترة الطاهرة ، فراجعها في كتاب وسائل الشيعة الى أحكام الشريعة .

وإن ابتغيت صحاحاً سواها فإليك ما أخرجه محدثوك « أيها القائل بتحريمها » انقله اليك بعين ألفاظهم فأقول :

أخرج مسلم في باب نكاح المتعة من صحيحه ^(١) عن عطاء قال : قدم جابر بن عبدالله معتمراً ، فجئناه في منزله فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة ، فقال : نعم ، استمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر اه .

وأخرج مسلم في الباب المذكور أيضاً عن أبي نضرة قال : كنت عند جابر بن عبدالله فأناّه أت فقال : ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين . فقال جابر : فعلناهما مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم نهانا عنهما عمر ، فلم نعدلهما اه .

(١) في صفحة ٥٣٥ من جزئه الأول .

وأخرج مسلم في الباب المذكور أيضا عن أبي الزبير قال : سمعت جابر ابن عبد الله يقول : كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الايام على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث اهـ • وأنت تعلم ان ليس المراد من قول جابر في هذه الاحاديث استمتعنا على عهد رسول الله (ص) مرة ، وفعلناها مع رسول الله (ص) أخرى ، وكنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول الله (ص) تارة ، إلا بيان أنهم كانوا يستمتعون بمرأى منه صلى الله عليه وآله وسلم ومسمع ، فيقرهم على ذلك وأنه لم ينههم عنها حتى اختار الله له لقاءه • وناهيك بهذا برهانا على دوام الاباحة • واذا نظرت الى قوله تمتعنا واستمتعنا ، وكنا نستمتع ، وفعلناها مع رسول الله (ص) تجده اظهرا في نسبة فعلهما أيام النبي (ص) وبكر الى عموم الصحابة لا الى نفسه بالخصوص ، ولو كان ثمة ناسخ ما فعلوهما بعد النبي (ص) ولا يجوز أن يخفى الناسخ عليهم مع ملازمتهم للرسول في حضره وسفره ليلا ونهارا ، وكيف يخفى عليهم ، ثم يظهر للمتأخرين عنهم • على أن قول جابر « حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث » صريح بأن النهي عنها لم يكن من الله تعالى ولا من رسوله (ص) وانما كان من عمر لقضية وقعت من عمرو بن حريث - وقوله ثم نهانا عمر دال على أن النهي كان متوجها منه الى كافة الصحابة لا الى شخص منهم مخصوص ، وأما قوله « فلم نعد لهما » فانما هو للتقية والخوف من العقوبة ، والأخبار الدالة على دوام إباحة المتعة واستمرار حلها لا تستقصى في هذه العجالة ، وسأتلو عليك في المبحث الرابع والمبحث الخامس لمعة من الصحاح تدل على ذلك أيضا •

« المبحث الثالث »

في الأحاديث التي زعموا أنها ناسخة لحكم المتعة

أمعنا النظر فيها فوجدناها أحاديث ملفقة وضعها المتأخرون عن زمن الخلفاء الأربعة تصحيحاً لرأي من حرّمها ، وقد استقصيناها في رسالتنا الموسومة بالنجعة في أحكام المتعة ، فأثبتنا من طريق خصومنا تضعيف تلك الأحاديث وإن أخرجها الشيخان ، وقلنا كلمات البعض من أئمتهم في الجرح والتعديل الدالة على ذلك ، على أن تلك الأحاديث الملفقة تناقض صحاحنا المتواترة من طريق العترة الطاهرة ، بل تناقض ما سمعته من صحاحهم الدالة على دوام حلها واستمرار إباحتها ، ومن تدبرها وجدها تناقض نفسها بنفسها ، وقد فصلنا ذلك كله في نجعتنا بما لا مزيد عليه .

وأنت هداك الله سمعت النص من جابر بن عبد الله على أن التحريم والنهي إنما كان من عمر في بادرة بدرت من ابن حريث ، وستسمع كلام عمران بن حصين ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وأمير المؤمنين ، فتراه صريحاً بأن التحريم لم يكن بناسخ شرعي وإنما كان بنهي الخليفة الثاني ، ومحال أن يكون ثمة ناسخ فيجهلونه ، وهم من علمت منزلتهم من رسول الله وملازماتهم له (ص) وحرصهم على أخذ العلم منه .

على أنه لو كان هناك ناسخ لنبههم اليه بعض المطلعين عليه ، وحيث لم يعارضهم أحد من الصحابة فيما كانوا ينسبونه من التحريم إلى عمر علمنا أنهم أجمع معترفون بذلك ، مقرون بأن لا ناسخ من الله تعالى ، ولا من رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما لا يخفى .

على أن عمر نفسه لم يدع النسخ كما ستسمع من كلامه الصريح في اسناد التحريم والنهي الى نفسه ، ولو كان هناك ناسخ لأسند التحريم الى الله تعالى أو الى الرسول (ص) فان ذلك أبلغ في الزجر وأولى بالذكر •

ومن غرائب الأمور دعواهم النسخ بقوله تعالى : « والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيماهم » بزعم انها ليست بزوجة ولا ملك يمين • قالوا : أما كونها ليست بملك يمين فمسلّم ، وأما كونها ليست بزوجة فلأنها لا نفقة لها ولا إرث ولا ليلة • والجواب أنها زوجة شرعية بعقد نكاح شرعي ، أما عدم النفقة والارث والليلة فانما هو بأدلة خاصة تخصص العمومات الواردة في أحكام الزوجات ، كما بيناه فيما علناه على صفحة ٥٤ من هذه الفصول • على ان هذه الآية مكية نزلت قبل الهجرة بالاتفاق ، فلا يمكن أن تكون ناسخة لاباحة المتعة المشروعة في المدينة بعد الهجرة بالاجماع • ومن عجيب أمر هؤلاء المتكلفين ان يقولوا بأن آية (المؤمنون) ناسخة للمتعة ، إذ ليست بزوجة ولا ملك يمين ، فاذا قلنا لهم ولم لا تكون ناسخة لنكاح الاماء المملوكات لغير النكاح ، وهو لسن زوجات للنكاح ولا ملك يمين له ، قالوا حينئذ : إن آية المؤمنين ونكاح الاماء المذكورات انما شرع بقوله تعالى في سورة النساء وهي مدنية : « فمن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات فاما ملكت أيماكنهم » الآية ، والمكبي لا يمكن أن يكون ناسخاً للمدني لوجوب تقدم المنسوخ على الناسخ ، يقولون هذا وينسون أن المتعة إنما شرعت في المدينة بقوله تعالى في سورة النساء أيضاً : « فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن » وقد مينا بقوم لا يتدبرون فانا لله وإنا اليه راجعون •

« المبحث الرابع »

في سير من الأحاديث الدالة على ان التحريم إنما كان من الخليفة الثاني رضي الله عنه •

أخرج مسلم في باب المتعة بالحج والعمرة من صحيحه ^(١) بالاسناد الى أبي نضرة قال : كان ابن عباس يأمر بالمتعة ، وكان ابن الزبير ينهى عنها ، فذكرت ذلك لجابر فقال : على يدي دار الحديث ، تمتعنا مع رسول الله (ص) فلما قام عمر قال : إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء ، فأتوا الحج والعمرة ، وأتوا انكاح هذه النساء ، فلن أوتى برجل نكح امرأة الى أجل إلا رجمته بالحجارة اه •

وهذا كما ترى صريح بما قلناه ، ولا تنس ما ذكرناه في المبحث الثاني من حديث جابر فانه صريح بذلك أيضاً فراجعه وتأمل •

وقد استفاض قول الخليفة الثاني وهو على المنبر : « متعتان كاتتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما : متعة الحج ومتعة النساء » حتى نقل الرازي هذا القول عنه محتجاً به على حرمة متعة النساء ، فراجع تفسير آيتهما من تفسيره الكبير •

والذي قلناه متكلم الاشاعرة وحكيهم الامام القوشجي في اواخر مبحث الامامة من شرح التجريد أن عمر قال وهو على المنبر : أيها الناس ثلاث كن على عهد رسول الله (ص) وأنا انهى عنهن وأحرمهن وأعاقب عليهن : متعة النساء ، ومتعة الحج ، وحي على خير العمل • ثم اعتذر عنه بأن هذا إنما

(١) في صفحة ٦٧ من جزئه الأول •

كان منه على تأول واجتهاد ، والأخبار في ذلك كثيرة تضيق هذه الفصول عن استقصائها •

وقد استمتع في أيامه ربيعة بن أمية بن خلف القرشي الجمحي (وهو أخو صفوان) فيما أخرجه الامام مالك في باب نكاح المتعة من موطأه عن عروة بن الزبير : أن خولة بنت حكيم السلمية دخلت على عمر فقالت : إن ربيعة بن أمية استمتع بامرأة فحملت منه ، فخرج عمر يجر رداءه (من العجلة والغضب) فقال : هذه المتعة ولو كنت تقدمت فيها لرجمت اهـ • أي لو كنت تقدمت في تحريمها والانداز برجم فاعلها قبل هذا لرجمت ، إذ كان هذا القول منه قبل نهيه عنها ، نصّ على ذلك ابن عبد البر كما في شرح الزرقاني لهذا الحديث من الموطأ ، وربما يكون المراد بقوله : « لو كنت تقدمت فيها لرجمت » أنه لو تقدم باقامة الحجّة من الكتاب والسنة على نسخها لرجم ، وحيث لا حجة على تحريمها فلا رجم •

وكيف كان فكلّامه هذا ظاهر بأن التصرف في حكمها إنما هو منه لا من سواه ، وخطبته تلك على المنبر نص صريح بذلك ، حيث روى كون المتعتين كاتتا على عهد النبي (ص) ولم يرو نهيه عنهما ، بل أسند النهي عنهما الى نفسه ، فقال : « وأنا أنهى عنهما » مقدماً للمسند اليه ليكون النهي عنهما مقصوراً عليه ، ولو كان هناك ناسخ لذكره كما لا يخفى •

« المبحث الخامس »

في الإشارة الى يسير ممن تسنى لهم أن ييؤخوا ببعض ما تكنه نفوسهم من الانكار على تحريمها وهم كثيرون •
فمنهم جابر بن عبدالله الانصاري وقد سمعت حديثه •

ومنهم أمير المؤمنين عليه السلام فيما أخرجه الامامان الطبري والثعلبي عند بلوغهما في تفسيريهما الكبيرين الى آية المتعة من سورة النساء بالاسناد الى علي^(١) قال : لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي ، وهذا المعنى متواتر عنه من طريق أبنائه الميامين •

ومنهم عبدالله بن عباس حيث قال : ما كانت المتعة إلا رحمة رحم الله بها أمة محمد (ص) لولا نهيه (يعني عمر) عنها ما احتاج الى الزنى إلا شقي ، أي إلا قليل من الناس • نقل ذلك عنه ابن الأثير في مادة « شفى » من النهاية ، ورواه عنه خلق كثير • وقوله في إباحة المتعة والانكار على من حرّمها متواتر ، وله في ذلك مع ابن الزبير وغيره نواذر يطول المقام بذكرها ، وقد أخرج مسلم بعضها عن جابر فراجع صفحتي ٥٨ و ٦١ من كتابنا هذا •

ومنهم عبدالله بن عمر كما هو ثابت عنه • أخرج الامام احمد في صفحة ٩٥ من الجزء الثاني من مسنده من حديث عبدالله بن عمر قال : سأل رجل ابن عمر عن متعة النساء فقال : والله ما كنا على عهد رسول الله (ص) زانين ولا مسافحين • ثم قال : والله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول : ليكون قبل يوم القيامة المسيح الدجال وكذابون ثلاثون أو أكثر اه •

ونقل العلامة في نهج الصدق والشهيد الثاني في نكاح المتعة من روضته البهية عن صحيح الترمذي أن رجلا من أهل الشام سأل ابن عمر عن متعة النساء فقال : هي حلال • فقال : إن أباك قد نهى عنها • فقال ابن عمر : أرايت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله (ص) أترك السنة وتتبع قول أبي؟ اه • ومنهم عبدالله بن مسعود ، كما هو مقرر معلوم ، أخرج البخاري ومسلم

(١) ونقله الرازي في صفحة ٢٠ من الجزء ٣ من تفسيره عن تفسير الطبري •

في الصحيحين ، واللفظ للأول في الصفحة الثانية أو الثالثة من كتاب النكاح عن عبد الله « ابن مسعود » قال : كنا نغزو مع رسول الله (ص) وليس لنا شيء ^(٢) فقلنا : ألا نستخصي ؟ فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا ان نكح المرأة بالثوب ، ثم قرأ علينا « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » اه .

وأنت تعلم ان استشهاده بالآية دال على قوله باباحة المتعة وإنكاره على من حرمها كما صرح به كل من شرح صحيح البخاري .

ومنهم عمران بن حصين فيما صح عنه ، وقد نقل فخر الدين الرازي أثناء بحثه عن حكم متعة النساء في تفسير آيتها من تفسيره الكبير عن عمران ابن حصين قال : انزل الله في المتعة آية وما نسخها بآية أخرى ، وامرنا رسول الله «ص» بالمتعة وما نهانا عنها ، ثم قال رجل برأيه ما شاء « قال الرازي » يريد عمر اه .

وأخرج البخاري عن عمران بن حصين قال : نزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله (ص) ولم ينزل قرآن يحرمها ولم ينه عنها حتى مات (ص) قال رجل برأيه ما شاء اه .

وأخرج أحمد ^(٣) في مسنده من طريق عمران القصير عن أبي رجاء عن

(٢) يعني ليس لنا شيء من المال ، ولفظه في صحيح مسلم « وليس لنا نساء » فيكون الظاهر من رواية البخاري أن المرخص به إنما هو كون الثوب أجرة المتعة بدلا عن النقود ، وتكون المتعة مشروعة قبل ذلك ، والظاهر من رواية مسلم أن المرخص به نفس المتعة ، ويمكن دعوى ظهور الروایتين بهذا المعنى .

(٣) في صفحة ٤٣٦ من الجزء ٤ — وأخرج أيضاً في صفحة ٤٣٨ من الجزء

٤ من طريق حميد عن الحسن عن عمران مثله .

عمران بن حصين قال : نزلت آية المتعة في كتاب الله تبارك وتعالى ، وعملنا بها مع رسول الله (ص) فلم تنزل آية تنسخها ولم ينعها النبي حتى مات (ص) اه
وأمر المأمون أيام خلافته فنودي بتحليل المتعة ، فدخل عليه محمد بن منصور وأبو العيناء فوجداه يستاك ويقول (٤) وهو متغيظ « متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) وعلى عهد أبي بكر وأنا أنهي عنهما ومن أنت يا جعل حتى تنهي عما فعله رسول الله (ص) وأبو بكر » فأراد محمد بن منصور أن يكلمه فأوماً اليه أبو العيناء وقال : رجل يقول في عمر بن الخطاب ما يقول نكلمه نحن فلم يكلماه ، ودخل عليه يحيى بن أكثم فخوفه من الفتنة وذكر له ان الناس يرونه قد أحدث في الاسلام بسبب هذا النداء حدثاً عظيماً ، لا ترتضيه الخاصة ولا تصبر عليه العامة ، إذ لا فرق عندهم بين النداء باباحة المتعة والنداء باباحة الزنى ، ولم يزل به حتى صرف غزيمته احتياطاً على ملكه واشفاقاً على نفسه ♦

خاتمة

قال العسكري « فيما نقله السيوطي عنه في ترجمة عمر من كتابه تاريخ الخلفاء » هو أول من سمي أمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ من الهجرة ، وأول من اتخذ بيت المال ، وأول من سن قيام شهر رمضان « بالتراويح » ، وأول من عس بالليل ، وأول من عاقب على الهجاء ، وأول من ضرب في الخمر ثمانين ، وأول من حرم المتعة الخ ♦

والذين صرحوا بهذا من أعلام السلف والخلف لا يحيط بهم هذا الاملاء ، وفي هذا القدر كفاية إذ تبين به أن تحريم المتعتين إنما كان عن اجتهاد محض (٤) فيما نقله ابن خلكان في ترجمة يحيى بن أكثم من وفيات الاعيان ، لكنه لم ينقل حديث يحيى بن أكثم مع المأمون على وجهه والصحيح ما نقلناه ♦

وتأول صرف ، وقد قوبل بالاذعان ولم يندد به من الجمهور انسان ، فثبت ما أردناه في هذه العجالة وتم ما أفردنا له هذه الرسالة من معذرة المجتهدين ونجاة المتأولين من المسلمين والحمد لله رب العالمين .

ولنرجع الى ما كنا فيه من موارد تأولهم فنقول عطفاً على ما سبق . ومنها تأولهم في أذان الصبح حيث تصرفوا فيه فنظموا في سلك فصوله فصلا لم يكن أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ألا وهو نداء مؤذنيهم « الصلاة خير من النوم » بل لم يكن أيام أبي بكر وانما أمر به الخليفة الثاني فيما دلت عليه الأحاديث المتواترة من طريق العترة الطاهرة ، وحسبك من غيرها ما أخرجه الامام مالك في باب ما جاء في النداء للصلاة من موطأه من أنه بلغه ان المؤذن جاء الى عمر بن الخطاب يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائماً فقال : الصلاة خير من النوم ، فأمره عمر ان يجعلها في نداء الصبح انتهى بلفظه . وقال العلامة الزرقاني عند بلوغه الى هذا الحديث من شرح الموطأ ما هذا لفظه : هذا البلاغ اخرج الدارقطني في السنن من طريق وكيع في مصنفه عن العمري عن نافع عن ابن عمر عن عمر . (قال) وأخرج عن سفيان عن محمد ابن عجلان عن نافع ابن عمر عن عمر انه قال لمؤذنه : اذا بلغت حي على الفلاح في الفجر فقل « الصلاة خير من النوم ، الصلاة خير من النوم » اهـ . قلت : وأخرجه ابن ابي شيبة من حديث هشام بن عروة ، ورواه جماعة آخرون يطول المقام بذكرهم .

وأنت تعلم أن لا عين ولا أثر لهذه الكلمة فيما هو مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كيفية الأذان ، فراجع إن شئت كتاب الأذان في الجزء الأول من صحيح البخاري ، وباب صفة الأذان وهو في أول كتاب

الصلاة من صحيح مسلم ، تعلم حقيقة ما نقول •
 وأيضاً ذكروا في أصل مشروعية الأذان ^(١) قضية تمنعها الامامية حاصلها
 أن عبدالله بن زيد بن ثعلبة الأنصاري رأى ليلة فيما يراه النائم شخصاً علمه
 الأذان والاقامة ، فلما انتبه قبل الفجر وقص الرؤيا على النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم أمره أن يلقي بلالاً ما حفظه في تلك الرؤيا ، وأمر بلالاً أن ينادي
 به أول الفجر ، ففعلاً ذلك وشرع الأذان بهذا الطيف فيما زعموا • ونحن
 نظرنا فيما نقلوه من تلقين عبدالله لبلال فلم نجد فيه مع كونه أذاناً للفجر
 « الصلاة خير من النوم » والأدلة على كون هذه الكلمة ليست من الله تعالى
 ولا من رسوله (ص) كثيرة ، وما ذكرناه كاف لإثبات تأولهم في الأذان واف
 بمعذرة المتأولين في كل زمان •

ومنها تأولهم في إسقاط « حيّ على خير العمل » من الأذان والاقامة ،
 وذلك انهم كانوا يرغبون في إعلام العامة بأن خير العمل إنما هو الجهاد في
 سبيل الله ليشتاقوا اليه وتعكف همهم عليه ، والنداء على الصلاة بخير العمل
 في كل يوم خمس مرات ^(٢) ينافي ذلك •

بل ربما رأوا أن في بقاء هذه الكلمة في الأذان والاقامة تشييطاً للعامة
 عن الجهاد ، اذ لو عرفوا أن الصلاة خير العمل مع ما فيها من الدعة والسلامة
 لاقتصروا في ابتغاء الثواب عليها ، وأعرضوا عن خطر الجهاد المفضول بالنسبة

(١) ذكر هذه القضية مالك في موطأه على سبيل الاجمال ، وفصلها كل
 من ابن عبدالبر والزرقاني في شرحيهما ، وأوردها الحلبي في باب بدء الأذان
 ومشروعيته من الجزء الثاني من سيرته ، وكل من ذكر عبدالله بن زيد من أهل
 التراجم أشار الى هذه القضية وربما سموه صاحب الأذان ، وأصحابنا
 ينكرونها ويعدونها من المحال •

(٢) بل كل مسلم ملتزم بالسنة يقولها كل يوم عشر مرات •

اليها ، وكانت همهم ولي الأمر يومئذ « عمر بن الخطاب (رض) » مصروفة الى الاستيلاء على ممالك الأرض ، وعزائمه مقصورة على امتلاكها في الطول والعرض .

وفتح الممالك لا يكون إلا بتشويق الجند الى التورط في سبيله بالمهالك ، بحيث يشربون في قلوبهم الجهاد حتى يعتقدوا أنه خير عمل يرجونه يوم المعاد . ولذا ترجح في نظره اسقاط هذه الكلمة تقديماً لتلك المصلحة على التعبد بما جاء به الشرع الأقدس ، فقال وهو على المنبر « كما نص عليه القوشجي أواخر مباحث الامامة من شرح التجريد وهو من أئمة المتكلمين على مذهب الاشاعرة » : ثلاث كنّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أنهى عنهن وأحرمهن وأعاقب عليهن : متعة النساء ، ومتعة الحج ، وحي على خير العمل ^(٣) .

وتبعه في اسقاطها عامة من تأخر عنه من المسلمين ، حاشا أهل البيت ومن يرى رأيهم ، فان حي على خير العمل من شعارهم ، كما هو بديهي من مذهبهم حتى ان شهيد فخر الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن أمير المؤمنين عليهم السلام لما ظهر بالمدينة أيام الهادي ^(٤) من ملوك العباسيين ، أمر المؤذن أن ينادي بها ففعل ، نصّ على ذلك أبو الفرج الاصفهاني حيث ذكر صاحب فخر ومقتله في كتابه مقاتل الطالبين . وذكر العلامة الحلبي في باب بدء الاذان ومشروعاته في صفحة ١١٠ من الجزء الثاني من سيرته أن ابن عمر (رض) والامام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام كانا يقولان في الأذان بعد حي على الفلاح حي على خير العمل اهـ .

(٣) واعتذر بعد أن أرسله عنه إرسال المسلمين بأنه قد اجتهد في ذلك .

(٤) مضل الناس قد سموه هاد كما قد سمي الأعمى بصيرا

قلت : وهذا متواتر عن أئمة أهل البيت ، فراجع حديثهم في كتاب وسائل الشيعة الى أحكام الشريعة لتكون على بصيرة من مذهبهم •
ونحن الآن في أن السلف تأولوا ، فأسقطوا فصلاً من الأذان والاقامة فلم يقدح ذلك عند الجمهور في تبوئهم منصة الخلافة وأريكة الامامة ، فكيف لا يكون المتأول بعدهم معذوراً ، أم كيف لا يكون مثاباً مأجوراً ، فاحكموا بالعدل أيها المنصفون •

ومنها صلاة التراويح ^(٥) إذ لم تكن أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا في ولاية أبي بكر ، وإنما سنّها الخليفة الثاني سنة ١٤ للهجرة بالاجماع ، نصّ العسكري على ذلك في أوائله ، ونقله السيوطي في الفصل الذي عقده لخلافة عمر من كتابه تاريخ الخلفاء ^(٦) •

وقال ابن عبد البر في ترجمة عمر من الاستيعاب : وهو الذي نوّر شهر الصوم بصلاة الاشفاق فيه •

وقال العلامة أبو الوليد محمد بن الشحنة ، حيث ذكر وفاة عمر في حوادث سنة ٢٣ من تاريخه « روضة المناظر » ^(٧) هو أول من نهى عن بيع امهات الأولاد ، وجمع الناس على أربع تكبيرات في صلاة الجنائز ، وأول من جمع الناس على امام يصلي بهم التراويح الخ •

ولما ذكر السيوطي في كتابه « تاريخ الخلفاء » أوليات عمر تقلا عن

(٥) هي نافلة رمضان جماعة ، وإنما سميت تراويح للاستراحة فيها بعد كل أربع ركعات ، ونحن نصلي نافلة رمضان فرادى كما كانت على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم •

(٦) في صفحة ٥١ •

(٧) عرفت سابقاً أنه مطبوع في هامش ابن الأثير وما نقلناه عنه هنا موجود في صفحة ١٢٢ من جزء ١١ •

العسكري قال : هو أول من سمي أمير المؤمنين ، الى أن قال : وأول من سن قيام شهر رمضان « بالتراويح » ، وأول من حرم المتعة ، وأول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات الخ •

وقال محمد بن سعد « حيث ترجمة عمر في الجزء الثالث من الطبقات » وهو أول من سن قيام شهر رمضان « بالتراويح » وجمع الناس على ذلك وكتب به الى البلدان وذلك في شهر رمضان سنة أربع عشرة ، وجعل للناس بالمدينة قارئان يصلي « التراويح » بالرجال وقارئاً يصلي بالنساء • الخ • وأخرج البخاري « في أواخر الجزء الأول من صحيحه في كتاب صلاة التراويح » أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه • قال : فتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأمر على ذلك ، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وصدرأ من خلافة عمر اه •

وأخرج مسلم « في باب الترغيب في قيام رمضان من الجزء الأول من صحيحه » أن رسول الله (ص) كان يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة ، فيقول : من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، قال : فتوفي (ص) والأمر على ذلك ، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدرأ من خلافة عمر على ذلك اه •

وأخرج البخاري في كتاب صلاة التراويح من صحيحه عن عبد الرحمن بن عبد القاري^(٨) قال : خرجت مع عمر ليلة في رمضان الى المسجد ، فاذا

(٨) « عبد القاري » بتوين عبد وتشديد ياء القاري نسبة الى قاره ، وهو ابن ديش بن محلم بن غالب المدني • كان عبد الرحمن هذا عامل عمر على بيت المال وهو حليف بني زهرة روى عن عمر ، وأبي طلحة ، وأبي أيوب ،

الناس أوزاع متفرقون *** الى أن قال : فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد كان أمثل • ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب • « قال » ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر (رض) نعمت البدعة هذه — الحديث •

وقال العلامة القسطلاني « في أول الصفحة الرابعة من الجزء الخامس من ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري عند بلوغه الى قول عمر في هذا الحديث « نعمت البدعة هذه » ما هذا نصه : سماها بدعة لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يسن لهم الاجتماع لها ، ولا كانت في زمن الصديق ، ولا أول الليل ، ولا كل ليلة ، ولا هذا العدد الخ • وفي تحفة الباري مثله فراجع • وهذا أمر لا يناقش فيه أحد من المسلمين ، وحسبك به دليلا على معذرة المتأولين •

ومنها تأولهم آية الزكاة ، إذ أسقطوا منها سهم المؤلفة قلوبهم مع نص الكتاب والسنة على ثبوته ، وكونه معلوماً بحكم الضرورة من دين الاسلام ، وقد أجمعت كلمة المسلمين واتفقت جميع طوائفهم على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعطيهم منها حتى لحق بربه عز وجل ، وأنه لم يعهد الى أحد من بعده باسقاط سهمهم ، وقد ذكر ^(٩) صاحب كتاب الجوهرة وأبي هريرة ، وروى عنه ابنه ، محمد ، والزهري ، ويحيى بن جعدة بن هبيرة ، مات سنة ثمانين ، وله ثمان وسبعون سنة •

(٩) وذكر المؤرخون نظير هذه الحكاية أيضاً ، إذ قالوا جاء عيينة بن حصين والأقرع بن حابس الى أبي بكر ، فقالا له : إن عندنا أرضاً سبخة ليس فيها كلاً ولا منفعة ، فإن رأيت أن تقطعناها لعل الله أن ينفع بها بعد اليوم • فقال أبو بكر لمن حوله : ما تقولون ؟ قالوا : لا بأس ، فكتب لهما بها كتاباً فانطلقا الى عمر ليشهد لهما فيه ، فأخذه منهما ثم تقل قيه فمحاها ، فتذمرا

النيرة على مختصر القدوري ^(١٠) في الفقه الحنفي في صفحة ١٦٤ من جزئه الأول : أن المؤلفه قلوبهم جاءوا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى أبي بكر رضي الله عنه ليكتب لهم بعادتهم ، فكتب لهم بذلك فذهبوا بالكتاب الى عمر (رض) ليأخذوا خطه على الصحيفة ، فمزقها وقال : لا حاجة لنا بكم فقد أعز الله الاسلام وأغنى عنكم ، فان أسلمتم وإلا فالسيف بيننا وبينكم فرجعوا الى أبي بكر فقالوا له : أنت الخليفة أم هو ؟ فقال : بل هو إن شاء الله وأمضى ما فعله عمر واستقر الأمر من يومها عند الجمهور على اسقاط هذا السهم ، بحيث لا تبرأ الذمة عندهم باعطاء المؤلفه قلوبهم من الزكاة ♦

ومنها تأولهم آية الخمس ، وهي قوله تعالى في سورة الأنفال : « واعلموا انما غنمتم ^(١١) من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى

وقالا له مقالة سيئة ، ثم ذهب الى أبي بكر وهما يتذمران فقالا : والله ما ندري أنت الخليفة أم عمر ؟ فقال : بل هو ، وجاء عمر حتى وقف على أبي بكر وهو مغضب فقال : اخبرني عن هذه الارض التي اقطعها هذين أهني لك خاصة أم بين المسلمين ؟ فقال : بل بين المسلمين ♦ فقال : ما حملك على ان تخص بها هذين ؟ قال : استشرت الذين حولي ♦ فقال : اوكل المسلمين وسعتهم مشورة ورضا ؟ فقال أبو بكر (رض) : فقد كنت قلت لك انك أقوى على هذا الأمر مني لكنك غلبتني ♦

نقل هذه القضية ابن أبي الحديد في الجزء الثاني عشر من شرح النهج في صفحة ١٠٨ من المجلد الثالث ، والعسقلاني في ترجمة عيينة من اصابته وغيرهما ♦ وليته كان يوم السقيفة وسع كل المسلمين مشورة ، ويا حبذا لو تأنى حتى يفرغ بنو هاشم من أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ♦
(١٠) هو من أشهر الكتب الحنفية يتبركون به ، ولمصنفه شأن عظيم ، وما تقلناه هنا عنه مصرح به في كلمات المحدثين والفقهاء كما لا يخفى ♦
(١١) الغنيمة لغة هي الفوز بالشئ ، وذلك أعم من غنائم دار الحرب ، وبهذا تعلم دلالة الآية على مذهبنا في الخمس ♦

والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله (١٢) وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير » حيث صرفوا الخمس الى خلاف منطوقها .

فذهب الامام مالك « كما هو معلوم من مذهبه » الى أن الخمس بأسره مفوض الى السلطان يصرفه كيف شاء وأنه لا حق لأحد بالمطالبة فيه ، وذهب الامام أبو حنيفة « كما هو بديهي من مذهبه » الى أنه يقسم ثلاثة أسهم : فيعطى لمطلق أيتام المسلمين سهم ، ولمطلق مساكينهم سهم ، ولمطلق أبناء السبيل منهم سهم ، ولا فرق عنده في ذلك بين ذي القربى منهم وغيره .

وأنت ترى نص الكتاب قد فرض لذي القربى في الخمس حقاً قصره عليهم ، وتعلم ان السنة المطهرة قد جعلت لهم فيه سهماً لن تبرأ الذمة إلا بدفعه اليهم ، وقد أجمع كافة أهل القبلة من أهل كل مذهب منهم ونحلة على أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يختص بسهم من الخمس ويخص منه أقاربه بسهم آخر ، ولم يعهد بتغيير ذلك الى أحد حتى لحق بربه عز وجل ، فلما ولي أبو بكر (رض) تأول الأدلة فأسقط سهم النبي صلى الله عليه وآله وسهم ذوي القربى ، ومنع « كما في تفسير هذه الآية من الكشاف وغيره » بني هاشم من الخمس .

وفي أواخر باب غزوة خيبر من صحيح البخاري في صفحة ٣٦ من جزئه الثالث أن فاطمة أرسلت الى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله (ص) مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر ، فأبى أبو بكر أن يدفع (١٢) معنى هذا الشرط أن الخمس مصروف الى هذه الوجوه الستة فاقطعوا عنه اطماعكم وأدوه لأربابه ان كنتم آمنتم بالله ، وفيه من البعث على أداء الخمس والإنذار لتاركه ما لا تسع بيانه عبارة .

اليها شيئاً ، فوجدت عليه فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد النبي (ص) ستة أشهر ، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ، ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها - الحديث • وهو موجود أيضاً في باب قول النبي « لا نورث ما تركناه فهو صدقة » من صحيح مسلم في صفحة ٧٢ من جزئه

الثاني ، وفي مواضع آخر من الصحيحين كما لا يخفى •

وأخرج مسلم في أواخر كتاب الجهاد والسير من الجزء الثاني من صحيحه عن قيس بن سعد عن يزيد بن هرمز قال : كتب نجدة بن عامر (الحروري الخارجي) الى ابن عباس قال (يزيد بن هرمز) فشهدت ابن عباس حين قرأ كتابه وحين كتب جوابه • قال : فقال ابن عباس : والله لولا أن أردّه عن تترّيق فيه ما كتبت اليه ولا نعمة عين • قال : فكتب اليه إنك سألت عن سهم ذي القربى الذين ذكر الله من هم ؟ وإنا كنا نرى أن قرابة رسول الله (ص) هم نحن ، فأبى ذلك علينا قومنا - الحديث (١٣) •

وأخرجه أيضاً الامام أحمد من حديث ابن عباس في أواخر صفحة ٢٩٤ من الجزء الأول من مسنده ، ورواه المحدثون بطرق كلها صحيحة ، وهذا هو مذهب أهل البيت والمتواتر عن أئمتهم عليهم السلام •

ومنها اقتصارهم في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات ، كما هو معلوم من فقه أهل المذاهب الأربعة وسيرتهم ، وأول من جمع الناس على ذلك عمر ابن الخطاب (رض) كما نص عليه جماعة كثيرون ، منهم السيوطي حيث ذكر أوّليات عمر في تاريخ الخلفاء ، وابن الشحنة حيث ذكر وفاة عمر في حوادث

(١٣) فراجع في أول صفحة ١٠٥ من ج ٢ من صحيح مسلم المطبوع

سنة ١٣٢٧ على نفقة الحلبي واخويه •

سنة ٢٣ من تاريخه روضة المناظر (١٤) وغيرهما من أهل الأخبار .
ويدلك على تأولهم في هذه المسألة ما أخرجه الامام احمد بن حنبل من
حديث زيد بن أرقم في صفحة ٣٧٠ من الجزء الرابع من مسنده عن عبد الاعلى
قال : صليت خلف زيد بن أرقم على جنازة فكبر خمسا ، فقام اليه أبو عيسى
عبدالرحمن بن لابي ليلى فأخذ بيده فقال : نسيت ؟ قال لا ولكن صليت خلف
أبي القاسم خليلي صلى الله عليه وآله وسلم فكبر خمسا فلا أتركها أبداً هـ .
ومنها تأولهم في البكاء على الميت حيث حرمه الخليفة الثاني ، حتى أخرج
الطبري عند ذكر وفاة ابي بكر في حوادث سنة ١٣ من الجزء الرابع من تاريخه
بالاسناد الى سعيد بن المسيب قال : لما توفي أبو بكر اقامت عليه عائشة النوح ،
فأقبل عمر بن الخطاب حتى قام ببابها فنهاهن عن البكاء على أبي بكر فأبين أن
ينتهين فقال عمر لهشام بن الوليد : ادخل فأخرج إلي ابنة أبي قحافة . فقالت
عائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر : اني اخرج عليك بيتي . فقال عمر
لهشام : ادخل فقد أذنت لك . فدخل هشام فأخرج أم فروة اخت ابي بكر
الى عمر فعلاها بالدرة فضربها ضربات فتفرق النوح حين سمعوا ذلك هـ .
هذا مع ما أخرجه الامام أحمد من حديث ابن عباس في صفحة ٣٣٥ من
الجزء الأول من مسنده من جملة حديث ذكر فيه موت رقية بنت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وبكاء النساء عليها قال : فجعل عمر يضربهن بسوطه
فقال النبي دعهن يبكين ، وقعد على شفير القبر وفاطمة الى جنبه تبكي . قال :
فجعل النبي يمسح عين فاطمة بشو به رحمة لها هـ .

وأخرج أحمد أيضاً من حديث ابي هريرة في صفحة ٣٣٣ من الجزء

(١٤) وهو مطبوع في هامش ابن الاثير وما نلقناه عنه هنا موجود في
صفحة ١٢٢ من جزء ١١ .

الثاني من مسنده حديثاً جاء فيه انه : مر على رسول الله جنازة معها بواكي فنهرهن عمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : دعهن فان النفس مصابة والعين دامعة .

وأخرج الامام احمد من حديث ابن عمر في صفحة ٤ من مسنده قال : رجع رسول الله من أحد فجعلت نساء الانصار يبكين على من قتل من أزواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ولكن حمزة لا بواكي له . قال : ثم نام فاتتبه وهن يبكين حمزة قال : فهن اليوم اذا بكين يندبن حمزة اهـ وهذا الحديث مستفيض بين المسلمين ، وقد ذكره ابن جرير ، وابن الاثير ، وصاحب العقد الفريد ، وجميع أهل السير والاخبار .

وفي ترجمة حمزة من الاستيعاب نقلاً عن الواقدي ، قال : لم تبك امرأة من الانصار على ميت بعد قول رسول الله « لكن حمزة لا بواكي له » الى اليوم إلا بدأت بالبكاء على حمزة . وذكر ابن عبد البر في ترجمة جعفر من استيعابه قال : لما جاء النبي (ص) نعي جعفر أتى امرأته اسماء بنت عيسى فعزاها . قال ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول وا عماء ، فقال رسول الله (ص) على مثل جعفر فلتبك البواكي .

وأخرج البخاري في الصفحة الثالثة من أبواب الجنائز من صحيحه انه صلى الله عليه وآله وسلم بكى على زيد وجعفر ، وذكر ابن عبد البر في ترجمة زيد من استيعابه انه صلى الله عليه وآله وسلم بكى على جعفر وزيد ، وقال : أخواي ومؤنساى ومحدثاي . وبكى على ولده ابراهيم فقال له عبدالرحمن ابن عوف (كما في الجزء الاول من صحيح البخاري) وأنت يا رسول الله ؟ قال : يابن عوف انها رحمة ، ثم اتبعها — يعني عبرته — بأخرى فقال : إن

العين تدمع والقلب يحزن ، ولا تقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا ابراهيم
لمحزونون .

وقد علم الناس كافة بكاءه على عمه حمزة حتى قال ابن عبد البر في
ترجمته من الاستيعاب : لما رأى النبي حمزة قتيلا بكى ، فلما رأى ما مثل
به شفق .

وذكر الواقدي (كما في أواخر صفحة ٣٨٧ من المجلد الثالث من شرح
النهج أن النبي (ص) كان يومئذ اذا بكت صفية يبكي واذا نشجت ينشج .
قال : وجعلت فاطمة تبكي فلما بكت بكى رسول الله .

وبكى صلى الله عليه وآله على صبي مات لاحدى بناته ، فقال له سعد :
(كما في صحيح البخاري ومسلم) ما هذا يا رسول الله ؟ قال : هذه رحمة
جعلها الله في قلوب عباده ، وانما يرحم الله من عباده الرحماء اهـ - الى
ما لا يحصى من قبيل هذه الاحاديث المشهورة ، مما لا يمكن استقصاؤه وفي
هذا المقدار كفاية .

وأما ما جاء في الصحيحين من أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، وفي
رواية ببعض بكاء أهله عليه ، وفي رواية ببكاء الحي ، وفي رواية يعذب في
قبره بما نوح عليه ، وفي رواية من يبكي عليه يعذب ، فانه خطأ من الراوي
بحكم العقل والنقل .

قال الفاضل النووي (عند ذكر هذه الروايات في باب الميت يعذب
ببكاء أهله عليه من شرح صحيح مسلم) : هذه الروايات كلها من رواية عمر
ابن الخطاب وابنه عبدالله . قال : وانكرت عائشة عليهما ، ونسبتهما الى
النسيان والاشتباه واحتجت بقوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » .

قلت : وأنكر هذه الروايات أيضاً ابن عباس واحتج على خطأ راويها ،
والتفصيل في الصحيحين وشروحهما ، وما زالت عائشة وعمر في هذه المسألة
على طرفي تقيض حتى ناحت على أبيها يوم مات ، فكان بينها وبين عمر ما
قد سمعت ، والتفصيل في رسالتنا « الأساليب البديعة في رجحان مآتم
الشيعة » وفي مقدمة مجالسنا الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة (١٥) .

وللسلف تأولات غير الذي ذكرناه كتأخيرهم مقام ابراهيم الى موضعه
اليوم (١٦) وكان ملصقاً بالبيت ، وتوسعتهم المسجد الحرام سنة ١٧ للهجرة
بإضافة دور جماعة من حوله اليه ، وكانوا أبوا بيعها فهدمها الخليفة الثاني
عليهم (١٧) ووضع أثمانها في بيت المال حتى أخذوها ، وكحكمه على اليمانيين
بديّة أبي خراش الهذلي الشاعر الصحابي المشهور (١٨) إذ باتوا ضيوفاً عنده ،
فذهب يستقي لهم فمات من حية نهشته في الطريق ، وكفنيه نصر بن الحجاج
ابن علابط السلمي الى البصرة (١٩) إذ تغنت به امرأة في دارها وكان في غاية

(١٥) المطبوعة سنة ١٣٣٢ .

(١٦) آخره الخليفة الثاني كما هو مستفيض عنه فراجع صفحة ١١٣ من
المجلد الثالث من شرح النهج الحديدي طبع مصر ، ومادة « الديك » من
حياة الحيوان للفاضل الدميري . وقال ابن سعد في ترجمة عمر من طبقاته
ما هذا لفظه : وهو الذي آخر مقام ابراهيم الى موضعه اليوم وكان ملصقاً
بالبيت اهـ - ونقل السيوطي ذلك في احوال عمر من تاريخ الخلفاء .
(١٧) نص على ذلك جميع أرباب السير كابن الأثير في حوادث تلك
السنة من كامله وغيره .

(١٨) ذكر هذه القضية ابن عبد البر في ترجمة أبي خراش من كتاب الكنى
من الاستيعاب ، ونقلها عنه الدميري في مادة « الحية » من كتاب حياة الحيوان .
(١٩) هذه القضية مستفيضة فراجع صفحة ٩٩ من المجلد الثالث من شرح
ابن أبي الحديد طبع مصر تجد تفصيلها ، وقد ذكرها ابن خلكان في ترجمة
نصر بن الحجاج من وفياته تفصيلاً .

من الحسن والجمال (٢٠) وكفذاياه المختلفة في ميراث الجد مع الأخوة (٢١) حتى رجع الى رأي زيد بن ثابت الأنصاري •

وكتأوله آية التجسس ، إذ رأى فيه صلاح المملكة ونفع الرعية ، فكان يتجسس نهائراً ويعس ليلاً ، حتى ذكر الغزالي في احياء العلوم (٢٢) انه سمع وهو يعس بالمدينة صوت رجل يتغنى في بيته فتسور عليه ، فوجد عنده امرأة وعنده خمر فقال : يا عدو الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته ؟ فقال : إن كنت عصيتُ الله في واحدة فقد عصيته أنت في ثلاث • قال الله : « ولا تجسسوا » وقد تجسست ، وقال : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » وقد تسورت عليّ ، وقال : « لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم » الآية ، وقد دخلت بيتي بغير إذن ولا سلام • فقال عمر (رض) : هل عندك من خير إن عفوتُ عنك ؟ قال : نعم فتركه وخرج ، الى غير ذلك من مصاديق اجتهاداته وموارد تأولاته التي عدل بها عن ظواهر الأدلة حرصاً على توطيد دعائم السياسة وابتغاء تنظيم شؤونها ، وتقديم مصلحة المملكة ، وإشاراً لتقوية الشوكة من وضعه الخراج على السواد ، وكيفية ترتيبه للجزية وعهده بالشورى على الوجه المعلوم ، وقوله (٢٣) يومئذ : « لو كان سالم (ابن معقل مولى

(٢٠) وكنفيه ضبيع التميمي الى البصرة أيضاً بعد ضربه الضرب المبرح إذ سألته عن تفسير آية من القرآن في قضية ذكرها ابن أبي الحديد في صفحة ١٢٢ من المجلد الثالث من شرح نهج البلاغة •

(٢١) روى ذلك طارق بن شهاب الزهري ، والتفصيل في مادة « الحية » من حياة الحيوان للدميري •

(٢٢) في صفحة ١٧٣ من الجزء الثاني المطبوع في هامشه كتاب عوارف المعارف •

(٢٣) هذا القول متواتر عنه ، وهو موجود في كامل ابن الأثير وغيره من كتب السير والأخبار حتى صرح ابن عبد البر ، حيث أورد هذه المقالة في

أبي حذيفة (حيًا استخلفته) « مع انعقاد الإجماع »^(٢٤) نصًا وفتوى على عدم جواز عقد الإمامة لمثله ، ضرورة أنه من أهل فارس ، إما من اصطخر أو من كرمد ، استرقته زوجة أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكانت من الأنصار ♦

تنبیه

أفادتنا سيرة بعض الصحابة أنهم إنما كانوا يتعبدون بالنصوص ويجمدون عليها إذا كانت متحضمة للدين مختصة بالشؤون الأخروية ، كنصه صلى الله عليه وآله وسلم على صوم شهر رمضان دون غيره ، واستقبال القبلة في الصلاة لا غيرها ، ونحو ذلك من أوامره المتحضمة للنفع الأخروي ، أما ما كان منها متعلقًا بالسياسة كالولايات والتأميرات وتدير قواعد الدولة وتقدير شؤون المملكة وتسريب الجيش ، فانهم لم يكونوا يرون التعبد به والالتزام في جميع الأحوال بالعمل على مقتضاه ، بل جعلوا الأفكارهم فيه مسرحًا للبحث ومجالًا للنظر والاجتهاد ، فكانوا إذا رأوا في خلافه رفعًا لكيانهم أو نفعًا في سلطانهم عدلوا عنه إلى ما يرفعون به كيانهم أو ينتفعون به في سلطانهم ، ولذلك عدل هؤلاء في الخلافة عن وليها المنصوص عليه من نبيها فجعلوها ترجمة سالم من استيعابه بأنها عن رأي رآه عمر واجتهاد أدى إليه نظره ، وأخرج أحمد من حديث عمر في صفحة ٢٠ من مسنده أنه قال : لو أدركني أحد رجلين لو تفتت به سالم مولى أبي حذيفة وأبو عبيدة ♦

(٢٤) صرح بانعقاد الإجماع على ذلك جماعة كثيرون ، منهم النووي في أول كتاب الإمارة من شرحه لصحيح مسلم ، ولو راجعت ذلك الكتاب في صحيح مسلم لازددت بصيرة في أئمتك الاثنى عشر عليهم السلام ♦

للخلفاء الثلاثة (رضي الله عنهم) واحداً بعد واحد ، مع عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها الى أخيه ووليه ، ووارثه ووصيه أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام .

لم يكونوا غائبين عن عهد النبي بها اليه ، ولا جاهلين بنصوصه (١) المتواترة عليه ، وكانت ترى من مبدأ أمره بأبي هو وأمي الى آخر عمره ، كما أوضحناه في مراجعاتنا الازهرية وفي سبيل المؤمنين ، وانما غلب على ظنهم أن العرب لا تخضع لعلي ولا ترتضيه مالكا لأزمة الحكم عليها ، حيث أنه وترها في سبيل الله وسفك دماءها بسيفه في إعلاء كلمة الله ، وكشف القناع منابذاً لها في نصره الحق حتى ظهر أمر الله على رغم كل عات كفور .

فهم لا يطيعونه إلا عنوة ولا يخضعون لامامته إلا بالقوة ، وقد عصبوا به كل دم أرافقه الاسلام أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم جرياً على عادتهم في أمثال ذلك ، إذ لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عشيرته أحد يستحق ان تعصب به تلك الدماء عند العرب غيره ، لأنه الامثل في عشيرته والافضل في قبيلته ، ولذلك تربصوا به الدوائر وقلبوا له الامور واضمروا له ولذريته كل حسيكة ووثبوا عليهم كل وثبة ، وكان ما كان مما طار في الاجواء وطبق رزؤه الارض والسماء .

وأيضاً فان قريشاً خاصة والعرب عامة كانت تنقم من علي شدة وطأته على أعداء الله ونكال وقعته فيمن يتعدى حدود الله أو يهتك حرماته عز وجل ، وكانت ترهب من أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، وتخشى عدله في الرعية

(١) لم نذكر شيئاً من هذه النصوص هنا اكتفاء بمراجعاتنا الازهرية ومناظراتنا المصرية ، وقد استقصتها باسانيدها المعتبرة عند أهل السنة ، وسنطبع تلك المناظرات وكل قريب آت إلا أن يشاء الله تعالى .

ومساواته بين الناس في كل قضية ، ولم يكن لها فيه مطمع ولا لأحد عنده
هوادة ، فالقوي العزيز عنده ضعيف ذليل حتى يأخذ منه الحق ، والضعيف
الذليل عنده قوي عزيز حتى يأخذ له بحقه ، فمتى تخضع الاعراب لمثله (وهم
أشد كفراً ونفاقاً واجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) ، (ومن
أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم) وفيها بطانة لا يألوها خبالاً .
على أن قريشا وسائر العرب كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من فضله ،
حيث بلغ في علمه وعمله رتبة عند الله ورسوله تقاصر عنها الاقران وتراجع
عنها الاكفاء ، ونال من الله ورسوله بسوابقه وخصائصه منزلة تشرئب اليها
أعناق الاماني وشأواً تنقطع دونه هوادي المطامع ، وبذلك دبت عقارب الحسد
له في قلوب المنافقين واجتمعت على نقض مجده كلمة الفاسقين والناكثين
والفاسطين والمارقين ، فاتخذوا النص ظهرياً وكان لديهم نسياً منسياً .

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

على أن قريشا وسائر العرب كانوا قد تشوفوا الى تداول الخلافة بين
قبائلهم واشترأت الى ذلك أطماعهم ، فامضوا نياتهم عليه ووجهوا عزائمهم
اليه ، فتصافقوا على تناسي النص وعدم ذكره بالمرّة ، وتبايعوا على صرف
الخلافة من أول أيامها عن وليها المنصوص عليه من نبيها ، فجعلوها بالاختيار
والانتخاب ليكون لكل حي من أحيائهم أمل في الوصول اليها ولو بعد حين ،
ولو عملوا بالنص فقدموا عليها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما
خرجت الخلافة من عترته الطاهرة ، حيث قرن لها يوم الغدير وغيره بمحكم
الكتاب وجعلها قدوة لأولي الالباب الى يوم الحساب ، وما كانت العرب
لتصبر على حصر الخلافة في بيت مخصوص بعد أن طمحت اليها الابصار من

كافة قبائلها وحامت عليها النفوس من جميع أحيائها •
وقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى استامها كل مفلس
ومن ألمّ بتاريخ قريش والعرب في صدر الاسلام يعلم أنهم لم يخضعوا
للنبوة الهاشمية إلا بعد أن تهشموا ولم يبق فيهم من رفق ، فكيف يرضون
باجتماع النبوة والخلافة في بني هاشم وقد قال الخليفة الثاني لابن عباس في
كلام دار بينهما : إن قريشاً كرهت أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة فتحجفون
على الناس •

والسلف الصالح لم يتسنّ له أن يقهرهم يومئذ على التعبد بالنص
فرقا من انقلابهم اذا قاومهم وخشية من سوء عواقب الاختلاف في تلك الحال،
وقد ظهر النفاق بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقويت بفقده
شوكة المنافقين وعتت نفوس الكافرين وتضعضت أركان الدين وانخلعت
قلوب المسلمين ، حيث صاروا بعده كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية بين ذئاب
كاسرة ووحوش ضارية ، وقد ارتدت طوائف من العرب وهمت بالردة أخرى
وعظم قلق السلف الصالح على الاسلام واشتد فرقههم على أمة سيد الانام ،
فصبروا على مخالفة النص بقيا على المسلمين واحتياطا على الدين - صبروا
وفي أعينهم من ذلك قذى وفي حلوقهم منه شجى كما قالوا عليهم السلام -
وأشفق علي أمير المؤمنين أن يظهر إرادة القيام بأمر الناس مخافة البائقة
وفساد العاجلة والآجلة ، والقلوب على ما وصفنا والمنافقون على ما ذكرنا ،
يعضون عليهم الانامل من الغيظ وأهل الردة على ما بينا والانصار قد خالفوا
المهاجرين ، وانحازوا عنهم يقولون منا أمير ومنكم أمير و • و • فدعاه النظر
للدين الى الكف عن الاظهار والتجافي عن الامور ، وعلم أن طلب الخلافة

والحال هذه يستوجب التغرير في الدين والخطر بالأمة ، فاختار الكف ضنا بالدين وإيثاراً للأجلة على العاجلة .

غير أنه قعد في بيته (ولم يبايع حتى أخرجوه كرهاً) احتفاظاً بحقه واحتجاجاً على من عدل عنه ، ولو أسرع الى البيعة ما تمت له حجة ولا سطع له برهان ، لكنه جمع فيما فعل بين حفظ الدين والاحتفاظ بحقه من إمرة المؤمنين ، فدل ذلك على إصالة رأيه ورجاحة علمه وسعة صدره وشدة زهده وفرط سماحه وقلة حرصه ، ومتى سخت نفس امرئ عن هذا الخطب الجليل والامر الجزيل ينزل من الله تعالى بغاية منازل الدين ، وانما كانت غايته مما فعل أربح الحالين له وأعود المقصودين عليه .

أما الخليفة الأول وأتباعه رضي الله تعالى عنهم أجمعين فقد تأولوا النص عليه بالخلافة للأسباب التي قدمناها ، ولا عجب منه في ذلك بعد الذي نبهناك اليه من عدم تعبدهم بما كان من نصوصه صلى الله عليه وآله وسلم ، متعلقا بالسياسات والتأميرات وتدير قواعد الدولة وتقرير شؤون المملكة ، واليك مضافا الى ما تلوناه نبذة من موارد تأولهم تكون نموذجاً لرأيهم في تلك النصوص ، وحسبك بها أدلة على معذرة المتأولين ، وهي كثيرة :

فمنها سرية اسامة بن زيد بن حارثة الى غزو الروم ، وهي آخر السرايا على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد اهتم فيها بأبي هو وأمي اهتماماً عظيماً ، فأمر أصحابه بالتهيؤ لها وحضهم على ذلك ، ثم عبأهم بنفسه الزكية ارهافا لعزائهم واستنهاضاً لهممهم ، فلم يثبق أحداً من وجوه المهاجرين والانصار كأبي بكر وعمر (٢) وأبي عبيدة وسعد وأمثالهم إلا وقد عبأه (٢) أجمع أهل السير والخبار على ان أبا بكر وعمر كانا في الجيش ،

بالجيش (٣) وكان ذلك لأربع ليال يقين من صفر سنة احدى عشرة للهجرة (٤) فلما كان من الغد دعا اسامة فقال له : سر الى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل ، فقد وليتك هذا الجيش فانز صباحا على أهل أبنى (٥) وحرق عليهم ، وأسرع السير لتسبق الاخبار ، فان أظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع معك . فلما كان يوم الثامن والعشرين من صفر بدأ به صلى الله عليه وآله وسلم مرض الموت فحمَّ بأبي هو وامي

وأرسلوا ذلك في كتبهم ارسال المسلمات ، وهذا مما لم يختلفوا فيه ، فراجع ما شئت من الكتب المشتملة على هذه السرية كطبقات ابن سعد وتاريخي الطبري وابن الأثير والسيرة الحلبية والسيرة الدحلانية وغيرها لتعلم ذلك ، وقد أورد الحلبي حيث ذكر هذه السرية في الجزء الثالث من سيرته حكاية ظريفة نوردها بعين لفظه . قال : ان الخليفة المهدي لما دخل البصرة رأى اياس ابن معاوية الذي يضرب به المثل في الذكاء وهو صبي وخلفه أربعمائة من العلماء واصحاب الطيالة فقال المهدي : أف لهذه العثانين — أي اللحى — أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث ؟ ثم التفت اليه المهدي وقال : كم سنك يا فتى ؟ فقال : سني اطلال الله بقاء أمير المؤمنين سن اسامة بن زيد ابن حارثة لما ولاه رسول الله (ص) حبشا فيه أبو بكر وعمر . فقال : تقدم بارك الله فيك . قال الحلبي : وكان سنه سبع عشرة سنة اه .

(٣) كان عمر يقول لاسامة : مات رسول الله (ص) وانت على أمير . نقل ذلك عنه جماعة من الاعلام كالحلبي في سرية اسامة من سيرته الحلبية وغير واحد من المحدثين والمؤرخين .

(٤) هذا بناء على ما صرح به كثير من اعلام السنة كابن سعد في سرية اسامة من طبقاته والحلبي والدحلاني في هذه السرية من سيرتهما ، وقد اعتمدنا في شؤون هذه السرية على هاتين السيرتين .

(٥) أبنى بضم الهمزة وسكون الباء ثم نون مفتوحة بعدها الف مقصورة ناحية بالبلقاء من أرض سوريا بين عسقلان والرملة ، وهي قرب موتة التي استشهد عندها زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب ذو الجناحين في الجنة (ع) .

وصدع ، فلما أصبح يوم التاسع والعشرين ووجدتهم مثقلين خرج اليهم فحضرهم على السير وعقد صلى الله عليه وآله وسلم اللواء لأسامة بيده الشريفة تحريكا لحميتهم وإرهاقا لعزيمتهم ، ثم قال : اغز بسم الله وفي سبيل الله وقاتل من كفر بالله ، فخرج بلوائه معقوداً فدفعه الى بريدة وعسكر بالجرف ثم تناقلوا هناك فلم يبرحوا — مع ما وعوه ورأوه من النصوص الصريحة في وجوب اسراعهم كقوله صلى الله عليه وآله وسلم « اغز صباحا على أهل أبنى » وقوله « واسرع السير لتسبق الاخبار » الى كثير من أمثال هذه الاوامر التي لم يعملوا بها في تلك السرية — وطعن قوم منهم في تأمير اسامة كما طعنوا من قبل في تأمير أبيه ، وقالوا في ذلك فأكثروا مع ما شاهدوه من عهد النبي له بالامارة وقوله صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ « فقد وليتك هذا الجيش » ورأوه يعقد له لواء الامارة وهو محموم بيده الشريفة فلم يمنعهم ذلك من الطعن في تأميره حتى غضب صلى الله عليه وآله وسلم من طعنهم غضبا شديداً فخرج بأبي هو وامي معصب الرأس ^(٦) مدثراً بقطيفته محموماً ألماً ، وكان ذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الاول قبل وفاته بأبي هو وامي بيومين ^(٧) فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال فيما أجمع أهل الاخبار

(٦) كل من ذكر هذه السرية من المحدثين وأهل السير والاخبار نقل طعنهم في تأمير اسامة وأنه صلى الله عليه وآله وسلم غضب غضبا شديداً فخرج على الكيفية التي ذكرناها فخطب الخطبة التي أوردناها ، فراجع سرية اسامة من طبقات ابن سعد وسيرتي الحلبي والدحلاني وغيرها من المؤلفات في هذا الموضوع .

(٧) هذا بناء على ما ذكره الحلبي والدحلاني في سيرتيهما ورواه المحدثون من أهل السنة كابن سعد في سرية اسامة من طبقاته ، وهي في آخر القسم الاول من الجزء الثاني من الطبقات .

على ثقله واتفق أولو العلم على صدوره : أيها الناس ، ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأمري اسامة ، ولئن طعنتم في تأمري اسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله ، وأيم الله ان كان لخليقا بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بها •• وحضهم على المبادرة الى السير فجعلوا يودعونه ويخرجون الى العسكر بالجرف وهو يحضهم على التعجيل ، ثم ثقل (بأبي هو وأمي) في مرضه فجعل يقول جهزوا جيش اسامة أنفذوا جيش اسامة أرسلوا بعث اسامة — يكرر ذلك وهم مشاقلون ، فلما كان يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول دخل اسامة من معسكره على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأمره بالسير قائلا له أغد على بركة الله تعالى ، فودعه وخرج الى العسكر ، ثم رجع ومعه عمر وأبو عبيدة فانتخوا اليه بأبي هو وأمي وهو يجود بنفسه فتوفي (روحي وأرواح العالمين له الفداء) في ذلك اليوم ^(٨) فرجع الجيش باللواء الى المدينة الطيبة ، ثم عزموا على الغاء البعث بالمرة ، وكلموا أبا بكر في ذلك وأصروا عليه غاية الاصرار ، مع ما رأوه بعيونهم من اهتمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في انقاذه وعنايته التامة في تعجيل إرساله ونصوصه المتوالية في الاسراع به على وجه يسبق الاخبار وبذله الوسع في ذلك منذ عبأه بنفسه وعهد الى اسامة في أمره وعقد لواءه بيده الى أن احتضر بأبي هو وأمي فقال «إغد على بركة الله تعالى» كما سمعت ، ولولا الخليفة لأجمعوا يومئذ على رد البعث وحل اللواء لكنه أبى عليهم ذلك ، فلما رأوا منه العزم على ارسال البعث جاءه عمر ابن الخطاب حينئذ يلتمس منه بلسان الانصار أن يعزل اسامة ويولي غيره •

(٨) وهذا أيضا بناء على ما في سيرتي الحلبي والدحلاني ورواية المحدثين من أهل السنة كابن سعد وغيره ، والمأثور عندنا انه توفي (ص) ليلتين بقيتا من صفر •

هذا ولم يطل العهد منهم بغضب النبي وانزعاجه من طعنهم في تأمير اسامة ، ولا بخروجه من بيته بسبب ذلك محمومًا مألومًا معصبا مدثرًا يرسف في مشيته ورجله لا تكاد تقله مما كان به من لغوب ، فصعد المنبر وهو يتنفس الصعداء ويعالج البرحاء فقال : أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري اسامة ، ولئن طعنتم في تأميري اسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله ، وايم والله ان كان لخليقا بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بها ، فأكد صلى الله عليه وآله وسلم الحكم بالقسم وان واسمية الجملة ولام التأكيد ليقلعوا عما كانوا عليه فلم يقلعوا ، لكن الخليفة أبى أن يجيهم الى عزل اسامة ، كما أبى أن يجيهم الى الغاء البعث ، ووثب فأخذ بلحية عمر ^(٩) فقال : ثكلتك أمك وعدمتك يابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتأمرني أن أنزعه •

ولما سيروا الجيش — وما كادوا يفعلون — خرج اسامة في ثلاثة آلاف مقاتل فيهم ألف فرس ^(١٠) وتخلف عنه جماعة ممن عبأهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جيشه ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « جهزوا جيش اسامة لعن الله من تخلف عنه ^(١١) » •

(٩) نقله الحلبي والدحلاني في سيرتهما وابن جرير الطبري في احداث سنة ١١ من تاريخه وغير واحد من أهل الاخبار •

(١٠) فشن الغارة على أهل أبني فحرق منازلهم وقطع نخلمهم وأجال الخيل في عرصاتهم وقتل من قتل منهم واسر من اسر ، وقتل يومئذ قاتل ابيه ولم يقتل والحمد لله رب العالمين من المسلمين أحد ، وكان اسامة يومئذ على فرس أبيه شعارهم يا منصور امت — وهو شعار النبي (ص) يوم بدر — وأسهم للفارس سهمين وللمرآجل سهمًا واحدًا وأخذ لنفسه مثل ذلك •

(١١) أرسل هذه الكلمة ارسال المسلمات جماعة من أعلام الاثبات

وانت تعلم أنهم انما تشاقلوا عن السير أولاً وتخلفوا عن الجيش أخيراً ،
ليحكموا قواعد سياستهم ، وقيموا عمدها ترجيحاً منهم لذلك على التعبد
بالنص ، حيث رآوه أولى بالمحافظة وأحق بالرعاية ، اذ لا يفوت البعث بشاقلهم
عن السير ، ولا بتخلف من تخلف منهم عن الجيش • أما الخلافة فانها تنصرف
عنهم لا محالة ، اذا انصرفوا الى الغزوة قبل وفاته صلى الله عليه وآله وسلم
وكان بأبي هو وأمي أراد أن تخلو منهم العاصمة ، فيصفو الامر من بعده
لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب على سكون وطمأنينة ، فاذا رجعوا وقد أبرم
عهد الخلافة وأحكم لعلي عقدها ، كانوا عن المنازعة والخلاف أبعد •

وانما أمر عليهم اسامة وهو ابن سبع عشرة سنة (١٢) لياً لأعنة البعض
ورداً لجماح أهل الجماح منهم واحتياطاً على الأمن في المستقبل من نزاع أهل
التنافس لو أمّر أحدهم كما لا يخفى ، لكنهم فطنوا الى كل ما دبر (ص)
فطعنوا في تأمير اسامة وتشاقلوا عن السير معه ، فلم يبرحوا من الجرف حتى
لحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بربه ، فهموا حينئذ بالغاء البعث وحل
اللواء تارة وبغزل اسامة أخرى ، ثم تخلف كثير منهم عن الجيش كما سمعت •
فهذه خمسة مأور في هذه السرية لم يتعبدوا فيها بالنصوص الجلية إشاراً
لرأيهم في الامور السياسية وترجيحاً لاجتهادهم فيها على التعبد بنصوصه

كالامام ابي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في المقدمة الرابعة من
المقدمات التي ذكرها في أوائل كتابه الملل والنحل ، وأخرجها أبو بكر احمد
ابن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة بالاسناد المرفوع الى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ، ونقلها عنه جماعة من أهل الاخبار كالعلامة المعتزلي
الحنفي في آخر صفحة ٢٠ من المجلد ٢ من شرحه لنهج البلاغة طبع مصر •

(١٢) على الاظهر ، وقيل كان ابن ثمان عشرة سنة ، وقيل ابن تسع عشرة
سنة ، وقيل ابن عشرين سنة ، ولا قائل بأن عمره كان أكثر من ذلك •

صلى الله عليه وآله وسلم •

ومنها رزية يوم الخميس ، وهي من الرزايا الفادحة والقضايا الثابتة نقلها أهل السير والاخبار ، وأخرجها المحدثون كافة بالطرق المجمع على صحتها وحسبك منها ما أخرجه البخاري في باب قول المريض « قوموا عني » من كتاب المرضى من صحيحه (١٣) بسنده الى عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : لما حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي (ص) : هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا (١٤) بعده فقال عمر : ان النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله ، فاختلف أهل البيت فاختصموا ، منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي كتابا لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي (ص) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قوموا • قال عبيد الله : فكان ابن عباس يقول : ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولعظهم — اه •

وهذا الحديث مما لا كلام في صحته ، وقد أورده البخاري في كتاب العلم أيضا من صحيحه (١٥) ، وفي مواضع آخر يعرفها المستمعون • وأخرجه مسلم في آخر الوصية من صحيحه (١٦) ورواه احمد من حديث ابن عباس في مسنده (٧١) وسائر المحدثين ، وقد تصرفوا فيه إذ نقلوه بالمعنى ولفظه الثابت عن عمر رضي الله عنه « ان النبي يهجر » لكنهم ذكروا أنه قال

- (١٣) راجع صفحة ٥ من الجزء ٤ من الصحيح •
- (١٤) بحذف النون مجزوما لكونه جوابا ثانيا لهم •
- (١٥) في صفحة ٢٢ من جزئه الاول •
- (١٦) في صفحة ١٤ من جزئه الثاني •
- (١٧) راجع صفحة ٣٢ من جزئه الاول •

« ان النبي قد غلب عليه الوجع » تهذيبا للعبارة وتقليلا لما يستهجن منها ، ويدل على ذلك ما أخرجه أبو بكر احمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتاب السقيفة ^(١٨) بالاسناد الى عبدالله بن عباس قال : لما حضرت رسول الله الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال رسول الله (ص) : ائتوني بدواة وصحيفة أكتب كتابا لا تضلوا بعده . قال : فقال عمر كلمة معناها أن الوجع قد غلب على رسول الله (ص) ثم قال : عندنا القرآن حسبنا كتاب الله ، فاختلف من في البيت واختصموا فمن قائل قربوا يكتب لكم النبي ومن قائل ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغط واللعو والاختلاف غضب صلى الله عليه وآله وسلم فقال : قوموا — الحديث .

وتراه صريحا بأنهم انما نقلوا معارضة عمر بالمعنى لا بعين لفظه ، ويدل على هذا أيضا أن المحدثين حيث لم يصرحوا باسم المعارض يومئذ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقلوا الحديث بعين لفظه . قال البخاري في باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير من صحيحه ^(١٩) : حدثنا قبيصة حدثنا ابن عيينة عن سلمان الاحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : يوم الخميس وما يوم الخميس ، ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء فقال : اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعه يوم الخميس فقال : ائتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبداً ، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا : هجر رسول الله (ص) قال : دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني اليه . قال : وأوصى عند موته بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، (١٨) كما في صفحة ٢٠ من المجلد الثاني من شرح النهج للعلامة المعتزلي

طبع مصر .

(١٩) في صفحة ١١٨ من جزئه الثاني .

وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم • قال : ونسيت الثالثة (٢٠) • وهذا الحديث أخرجه مسلم أيضا في آخر كتاب الوصية من صحيحه ، واحمد من حديث ابن عباس في مسنده (٢١) ونقله كافة المحدثين •

وأخرج مسلم في كتاب الوصية من الصحيح عن سعيد بن جبير من طريق آخر عن ابن عباس أنه قال : يوم الخميس وما يوم الخميس ، ثم جعل تسيل دموعه حتى رؤيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ قال : قال رسول الله (ص) اتئوني بالكثف والدواة ، أو اللوح والدواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا • فقالوا : ان رسول الله (ص) يهجر اه (٢٢) •

ومن ألمَّ بمجموع ما حول هذه الرزية من الاحاديث يعلم أن أول من قال يومئذ هجر رسول الله (ص) انما هو الخليفة الثاني رضي الله عنه ، ثم نسج على منواله من الحاضرين من كانوا يرون رأيه ويؤثرون هواه ، كما يدل عليه الاحاديث الاول الذي رواه البخاري بسنده الى عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ، وقد سمعت قول ابن عباس فيه ، فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي كتابا لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر •

وكيف كان فانهم لم يتعبدوا هنا بنصه الذي لو تعبدوا به لأمنوا من

(٢٠) الثالثة ليست الا الامر الذي أراد - بأبي وأمي - أن يكتبه حفظا لهم من الضلال فصدوه عن كتابته ، وهو العهد لعلي بالخلافة من بعده ، لكن السياسة في تلك الاوقات اضطرت رواة الحديث الى القول بأنهم قد نسوا ذلك ، فانا لله وانا اليه راجعون •

(٢١) راجع صفحة ٢٢٢ من جزئه الاول •

(٢٢) وأخرج هذا الحديث بهذه الالفاظ احمد في صفحة ٣٥٥ من الجزء

الاول من مسنده وغير واحد من الاثبات •

الضلال ، بل لم يكتفوا بعدم الامتثال لأمره حتى ردوا عليه بقولهم « حسبنا كتاب الله » كما يزيّف أحدنا رأي الآخر ، كأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يعلم بمكان كتاب الله منهم ، أو أنهم أعلم منه بخواص كتاب الله وفوائده ، وليتهم اكتفوا بهذا كله ولم يفاجئوه بكلمتهم تلك وهو محتضر بأبي هو وأمي بينهم ، وأي كلمة كانت منهم وداعا له صلى الله عليه وآله وسلم ، وكأنهم حيث لم يأخذوا بهذا النص اكتفاء منهم بكتاب الله على ما زعموا لم يسمعوا هتاف الكتاب آناء الليل وأطراف النهار في أنديتهم قائلا : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وكأنهم حيث قالوا كلمتهم تلك لم يقرأوا قوله تعالى : « انه لقول رسول كريم * ذي قوة عند العرش مكين * مطاع ثم أمين * وما صاحبكم بمجنون » وقوله عز من قائل : « انه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين » وقوله سبحانه وتعالى : « ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علمه شديد القوى » الى كثير من هذه الآيات المحكمة المنصوص فيها على عصمة قوله من الهجر صلى الله عليه وآله وسلم .

على أن العقل يستقل بذلك ويحكم جازما به كما لا يخفى على أولي الألباب ، لكن القوم علموا أنه صلى الله عليه وآله وسلم يريد توثيق العهد الى علي بالخلافة وتأكيد النص بها عليه خاصة وعلى الائمة من عترته عامة احتياطا على أمتة ومبالغة في النصح لها واهتماما في شأن خلفائه بتسجيل عهده اليهم بالخلافة خطأ بعد أن أعلنه قولاً وفعلاً ، فصدوه عن هذه المهمة

بكلمتهم هذه، كما اعترف به الخليفة الثاني في كلام دار بينه وبين ابن عباس (٢٣) •
 وأنت هداك الله اذا تأملت في قوله (ص) : « ائتوني اكتب لكم كتابا
 لن تضلوا بعده » وقوله في حديث الثقلين « اني تارك فيكم ما ان تمسكتم
 به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي » تعلم ان المرمى في الحديثين واحد ،
 وأنه (ص) انما أراد في مرضه بأبي هو وأمي أن يكتب لهم تفصيل ما أوجبه
 عليهم في حديث الثقلين ، وانما عدل عن ذلك لأن كلمتهم التي فاجأوه بها
 اضطرته الى العدول ، اذا لم يبق بعدها أثر لكتابة الكتاب سوى اختلاف
 الأمة من بعده في أنه هجر فيما كتبه فيه (والعياذ بالله) أو لم يهجر ، كما
 اختلفوا في ذلك فاختصموا وأكثروا اللغط نصب عينيه ، فلم يتسن له يومئذ
 أكثر من طردهم من مجلسه ، فقال : « قوموا عني » كما سمعت •
 ولو أصر فكتب الكتاب للجوا في قولهم هجر ولأوغل أشياهم في اثبات
 هجره (والعياذ بالله) فسطروا به أساطيرهم وملأوا منه طواميرهم رداً على
 علي وشيعته اذا احتجوا بذلك الكتاب •

لهذا اقتضت حكمته البالغة أن يضرب صلى الله عليه وآله وسلم عن
 ذلك الكتاب صفحا لئلا يفتح هؤلاء المعارضون وأولياؤهم بابا الى الطعن
 في نبوته (نستجير بالله) وقد رأى صلى الله عليه وآله وسلم أن أولياء علي
 خاضعون لخلافته ، كتب ذلك الكتاب أو لم يكتب ، وغيرهم لا يعمل به ولا
 يعتبره ولو كتب ، فالحكمة والحال هذه توجب تركه اذ لا أثر له بعد تلك
 المعارضة سوى وقوع الفتنة كما لا يخفى • ومن تأمل احوالهم زمن النبي

(٢٣) راجع الجزء ١٢ من شرح النهج الحديدي تجد ذلك في السطر ٢٧
 من صفحة ١١٤ من المجلد ٣ طبع مصر •

صلى الله عليه وآله وسلم فضلا عن أيام خلافتهم علم أنهم كانوا كما نبهناك إليه •
 ألا تراه يوم تبوك كيف انكروا إذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 يومئذ بنحر بلهم وأكل لحومها ، إذ أملقوا في تلك الغزوة وجاعوا فانكر عمر
 رضي الله عنه ذلك وقال : ما بقاؤكم بعد ابلكم والقضية ثابتة معروفة ، اخرجها
 البخاري في باب حمل الزاد في الغزو من كتاب الجهاد والسير من الجزء الاول
 من صحيحه ، ورواها سائر المحدثين •

وأنكروا عليه صلح الحديبية بتلك العبارات المزعجة ، وكان صلى الله
 عليه وآله وسلم مأمورا به والحكمة كانت فيه بالغة ، إذ دخل بسببه في الدين
 اضعاف ما دخل فيه قبل ذلك ، فكان في الواقع فتحا مبينا ^(٢٤) ونصرا عزيزا
 بيد ان أبا حفص رضي الله عنه لم يدرك يومئذ حكمته واعتقده خطة خسف ،
 فأنكره جهرة وصادر به علانية ، والقضية مشهورة وحسبك منها ما أخرجه
 مسلم في باب صلح الحديبية من الجزء الاول من صحيحه ان عمر بن الخطاب
 قال يومئذ : ألسنا على حق وهم على باطل ؟ قال رسول الله (ص) : بلى •
 قال : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال : بلى • قال : ففيم نعطي
 الدنيا في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال (ص) : يا ابن الخطاب
 اني رسول الله ولن يضيعني الله أبدا • قال : فانطلق عمر (رض) فلم يصبر
 متغيضا ، فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال : يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على

(٢٤) وفيه أنزل الله تعالى « إنا فتحنا لك فتحا مبينا » عن الشعبي وغيره
 كما في الكشف وغيره • وعن موسى بن عقبة كما في الكشف أيضا أقبل
 رسول الله (ص) من الحديبية راجعا فقال رجل من أصحابه : ما هذا بفتح ، لقد
 صدونا عن البيت وصد هدينا ، فبلغ النبي (ص) ذلك فقال : بئس الكلام
 هذا ، بل هو أعظم الفتوح - الحديث •

باطل ؟ قال : بلى • قال : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال : بلى • قال : فعلى م نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال : ابن الخطاب انه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا - الحديث • واخرجه غير واحد من المحدثين بلهجة أشد مما سمعت •

وأخرج البخاري في آخر كتاب الشروط (٢٥) من صحيحه حديثا جاء فيه : أن عمر (رض) قال : فقلت ألسنت نبي الله حقا ؟ قال : بلى • قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى • قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذن ؟ قال (ص) : اني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري • قلت : أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : بلى أفأخبرتك أنا تأتية العام • قلت : لا قال : فانك آتية ومطوف به ؟ قال : فأتيت أبا بكر فقلت : أليس هذا نبي الله حقا ؟ قال : بلى • قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى • قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذن ؟ قال : أيها الرجل انه لرسول الله ، وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بعرزه (٥٦) فوالله انه على الحق • فقلت : أليس كان يحدثنا أن سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى أفأخبرك أنك تأتية العام • قلت : لا • قال : فانك آتية ومطوف به • قال عمر (رض) فعملت لذلك

(٢٥) في صفحة ٨١ من جزئه الثاني •

(٢٦) الغرز ركاب من جلد يضع الراكب رجله فيه ، فيكون المعنى اعتلق به وأمسكه واتبع قوله وفعله ولا تخالفه ، فاستعار له الغرز كالذي يمسك بركاب الراكب ويسير بسييره • وفي القاموس : غرز كسمع اطاع السلطان بعد عصيان ، وعلى هذا فلفظ غرزه هنا مصدر غرز فيكون المعنى استمسك بطاعته بعد العصيان •

أعمالاً (٢٧) قال : فلما فرغ رسول الله (ص) من قضية الكتاب (الذي كتبه يومئذ في الصلح) قال صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه : قوموا فانحروا ثم احلقوا • قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات - الحديث • وأخرجه الامام احمد من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في مسنده (٢٨) •

وذكر الحلبي في غزوة الحديبية من سيرته (٢٩) أن عمر (رض) جعل يرد على رسول الله (ص) الكلام ، فقال له أبو عبيدة بن الجراح : ألا تسمع يا بن الخطاب رسول الله (ص) يقول ما يقول ، نعوذ بالله من الشيطان الرجيم • قال الحلبي : وقال رسول الله (ص) يومئذ : يا عمر اني رضيت وتأبى • وقال الحلبي وغيره أن عمر (رض) كان بعد ذلك يقول : ما زلت اصوم وأتصدق واصلي وأعنت مخافة كلامي الذي تكلمت به ... الى آخر ما هو مأثور عنه في هذه القضية •

وأنكر رضي الله عنه يوم بدر أخذ الفداء من الاسرى واطلاق سراحهم ، وكان من رأيه أن يعمد حمزة الى أخيه العباس فيقتله ، ويأخذ علي أخاه عقيلاً فيقتله ، وهكذا كل مسلم له قرابة في أسرى المشركين يقتله بيده حتى لا يبقى منهم أحد ، فأعرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذا الرأي ، تبعداً بالوحي الموافق للرحمة والحكمة « وما ينطق عن الهوى • ان هو إلا

(٢٧) لا تخفى دلالة كلمته هذه على أن أعماله كانت عظيمة وبسببها لم يمتثلوا أمره اياهم بالنحر حتى أمرهم بذلك ثلاثاً كما ستسمعه في الاصل •
 (٢٨) راجع آخر الصفحة ٢٣٠ من جزئه الرابع •
 (٢٩) في الصفحة ١٩ من الجزء الثالث •

وحى يوحى • علمه شديد القوى» لكن الجاهلين بعصمته وحكمته «لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما » كان الحق في هذه الواقعة مع عمر (رض) ، معتمدين في ذلك على أحاديث أختلقها بعض المنافقين من أعداء الله ورسوله « وما أنزل الله بها من سلطان » ، « فما قدروا الله حق قدره » وقد أمعنوا في التيه وأوغلوا في الجهل وتسكعوا في تفسير قوله تعالى « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم • لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » حيث اشتبهت عليهم في هذه الآية معالم القصد وعميت لديهم فيها وجوه الرشد ، فقالوا بنزولها في التنديد برسول الله (ص) واصحابه ، حيث آثروا (بزعم هؤلاء الجهلاء) عرض الدنيا على الآخرة ، فاتخذوا الاسرى وأخذوا منهم الفداء قبل ان يثخنوا في الارض وزعموا انه لم يسلم يومئذ من الخطيئة الا عمر رضي الله عنه ، وأنه لو نزل العذاب لم يفلت منه الا ابن الخطاب ، ورووا في ذلك من الروايات الموضوعة ما شاء جهلهم ، واقتضاه نفاق الواضعين وعداوتهم •

وكذب من زعم انه (ص) اتخذ الاسرى واخذ منهم الفداء قبل أن يثخن في الارض ، فانه بأبي وأمي انما فعل ذلك بعد أن أثخن في الارض ، وقتل صناديد قريش وطواغيتها ، كأبي جهل وعتبة وشيبة والوليد وحنظلة الى سبعين من رؤس الكفر وزعماء الضلال ، كما هو معلوم بالضرورة الاولى ، فكيف يمكن بعد هذا أن يتناوله صلى الله عليه وآله وسلم اللوم المذكور في الآية (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا) ؟!

والصواب أن الآية انما نزلت في التنديد بالذين كانوا يودون العير

واصحابه على ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله في هذه الواقعة عز من قائل : « واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين » وكان صلى الله عليه وآله وسلم قد استشار اصحابه ، فقال لهم ^(٣٠) ان القوم قد خرجوا على كل صعب وذلول فما تقولون العير أحب اليكم أم النفير ؟ قالوا : بل العير أحب الينا من لقاء العدو ، وقال بعضهم حين رآه (ص) مصراً على القتال : هلا ذكرت لنا القتال لنتأهب له إنا خرجنا للعير لا للقتال ، فتغير وجه رسول الله (ص) فأنزل الله تعالى : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون » ♦

وحيث أراد الله عز وجل أن يقنعهم بمعذرة النبي (ص) في اصراره على القتال وعدم مبالاته بالعير واصحابه قال عز من قائل : « ما كان لنبي » من الانبياء المرسلين قبل نبيكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم « ان يكون له أسرى حتى يثخن في الارض » فنييكم لا يكون له اسرى حتى يثخن في الارض على سنن غيره من الانبياء عليهم السلام ، ولذلك لم يبال اذ فاته أسر أبي سفيان واصحابه حين هربوا بعيرهم الى مكة ، لكنكم انتم « تريدون » اذ تودون أخذ العير واسر اصحابه « عرض الدنيا والله يريد الآخرة » باستئصال ذات الشوكة من أعدائه « والله عزيز حكيم » والعزة والحكمة تقتضيان يومئذ اجتثاث عز العدو واطفاء جمرته ♦ ثم قال تنديداً بهم وتهديداً لهم « لولا ^(٣٠) كما في السيرتين الحلبية والدحلانية وغيرهما من الكتب المشتملة على ذكر هذه الواقعة ♦

كتاب من الله سبق » في علمه الازلي بأن يمنعكم من أخذ العير واسر اصحابه لأسرتم القوم واخذتم غيرهم ، ولو فعلتم ذلك « لمسكم فيما اخذتم » قبل أن تتخنوا في الارض « عذاب عظيم » هذا معنى الآية الكريمة (٣١) وحاشا لله ان يريد منها ما ذكره أولئك الجهلاء .

بقي هنا أمر ننبهك اليه لتكون على يقين بمعذرة المتأولين ، وهو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لاصحابه (٣٢) (يوم التقى الجمعان في بدر) قد عرفت رجالا من بني هاشم وغيرهم أخرجوا اكرها ، فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله ، فانه أخرج كرها . نهى عن قتل بني هاشم عموما وعن قتل العباس منهم بالخصوص حين كانوا في ساحة القتال لكونهم مكرهين على ذلك ، فالعجب ممن اقترح بعدها عليه بأبي هو وأمي أن يقتل العباس وعقيل بيدي أخويهما حمزة وعلي فهل هذا من مظاهر رفقته بالنبي وأهل بيته (ص) ، أو من موارد تعبه بنصوصه المقدسة ؟! كلا بل هو من الشواهد على أنه كان يؤثر رأيه على التعبد بها كما لا يخفى .

وقد استاء أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من نهى النبي (ص) عن قتل العباس وسائر بني هاشم حتى قال (كما في تاريخي ابن الاثير وابن جرير وسيرتي الحلبي والدحلاني وغيرهما) : أقتل آباءنا وابناءنا واخواننا وترك العباس ، والله لئن لقيته لألجمنه بالسيف ، فبلغ النبي ذلك فقال لعمر رضي

(٣١) يجوز أن يكون المعنى « لولا كتاب من الله سبق » في علمه الازلي بأن لا يعذبكم والنبي فيكم كما صرحت به محكمات الفرقان « لمسكم فيما اخذتم » به من الرأي والعزم في شأن العير واصحابه « عذاب عظيم » .

(٣٢) كما في تاريخي ابن جرير وابن الاثير وسيرتي الدحلاني والحلبي وغيرها .

الله عنه : يا أبا حفص أما تسمع قول أبي حذيفة ، أ يضرب وجه عم رسول الله بالسيف ؟ فانظر كيف استنجدته للدفاع عن عمه ، واعجب من اقتراحه بعد ذلك عليه قتله .

وقد ذكر المؤرخون كافة أنه لما أمسى العباس مأسورا بات رسول الله بأبي هو وأمي ساهرا ، فقال له الصحابة : يا رسول الله مالك لا تنام ؟ فقال : سمعت تضور العباس في وثاقه فمنع مني النوم ، فقاموا اليه فأطلقوه فنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وان رحمته (ص) للعالمين ورأفته بالمؤمنين واشفاقه على عشيرته الاقربين ، وخصوصا على أبي الفضل صنو أبيه والبقية من أهليه لما هو غني عن البيان ومن ذا يجهل حرصه يومئذ على سلامتهم ورغبته التامة في بقائهم ليفوزوا بعد ذلك بخدمته ، وكانوا في الواقع مؤمنين لكنهم لم يتمكنوا من الهجرة اليه فأكروهوا على الخروج كما نص عليه النبي (ص) فاقترح قتلهم والحال هذه أكبر شاهد على أنهم كانوا يؤثرون إراداتهم في مثل هذا المقام على التعبد بإرادته وأوامره عليه وآله الصلاة والسلام .

ولهم في أحد حالات تشهد بما قلناه ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد استقبل المدينة في هذه الغزوة وترك أحدا خلف ظهره وجعل الرماة وراءه وكانوا خمسين رجلا أمر عليهم عبدالله بن جبير رحمه الله وقال له (فيما نص عليه المؤرخون والمحدثون كافة) انفضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا واثبت (٣٣) مكانك ان كانت لنا أو علينا ، وحضهم على ذلك بما (٣٣) راجع تاريخي الطبري وابن الاثير وغيرهما تجد قوله (ص) هذا بعينه : وكل من أرخ وقعة أحد ذكره أو أشار اليه .

لا مزيد عليه وشدد عليهم الامر في طاعة أميرهم عبدالله - لكنهم (وأسفاه) لم يتعبدوا يؤمئذ بأوامره ونواهيه (ص) ترجيحاً لرائهم عليها ، وذلك حيث حمي الوطيس واشتد بأس المسلمين بسطوة حيدرة الكرار على فيالق المشركين وصولته على أصحاب لوائهم وهم ثمانية من بني عبد الدار ، كانوا أسود الوقائع واحلاس الخيل وتاسعهم عبدهم صواب كان من طينتهم وعلى شاكلتهم فقتلهم أمير المؤمنين (٣٤) واحداً بعد واحد وبقي لوائهم مطروحا على الارض لا يدنو منه أحد ، فانكشف الكفار حينئذ عن المسلمين هارين على غير انتظام ودخل المسلمون عسكرهم ينهون ما تركوه من أسلحة وامتعة وذخائر ومؤن فلما نظر الرماة الى المسلمين وقد اكبوا على الغنائم دفعهم الطمع في النهب الى مفارقة محلهم (٣٥) الذي أمروا أن لا يفارقوه فنهاهم أميرهم عبدالله بن جبير رضي الله عنه فلم ينتهوا وقالوا : ما مقامنا هاهنا وقد انهزم المشركون • فقال عبدالله (٣٦) والله لا أجاوز امر رسول الله (ص) وثبت مكانه مع اقل من عشرة ، فنظر خالد بن الوليد المخزومي الى قلة من في الجبل من الرماة فكر بالخيـل عليهم (٣٧) ومعه عكرمة بن أبي جهـل ، فقتلوهم ومثلوا بعـدالله بن جبير فأخرجوا حشوة بطنه وهجموا على المسلمين وهم غافلون وتنادوا بشعارهم يا للعزى يا لهبل ، ووضعوا السيوف في المسلمين وهم آمنون فكان البلاء ،

(٣٤) نص ابن الاثير في غزوة احد من كامله على أن الذي قتل اصحاب اللواء يؤمئذ علي بن ابي طالب ، وصرح بذلك غير واحد من المؤرخين والمحدثين •

(٣٥) كما في غزوة احد من تاريخ ابن الاثير وغيره من سائر كتب السير والاخبار •

(٣٦) كما في تاريخ ابن الاثير وغيره •

(٣٧) صرح بهذا كل من أرخ غزوة أحد فراجع ما شئت من كتب السير

والاخبار •

وقتل حمزة سيد الشهداء وسبعون من صناديد المهاجرين والانصار ، وأصيب النبي بأبي هو وأمى بجروح يقرح القلوب ذكرها ويهيج الاحزان بيانها ، فجزاه الله عنا خير ما جرى نبيا عن أمته ، وانما كان هذا البلاء كله بعدم تعبدتهم بأوامره ونواهيه المقدسة عفا الله تعالى عنهم •

ولهم ثمة واقعة ثانية قدموا فيها رأيهم أيضا ، وهي أعظم من الاولى ، وذلك أنه لما اشتد البلاء بهجوم خالد على المسلمين تركوا سيد الانبياء بين أولئك الاعداء ، واسلموه لأحقادهم البدرية وضغائنهم الكفرية ، وفروا مصعدين لا يلوون على احد والرسول يدعوهم في أصرارهم فلا يلبونه كما حكاه الله عز وجل حيث يقول (٣٨) « إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أصرارهم فأتانكم غمًا بغم » ولم يثبت معه إلا نفر يسير لا يزيدون على أربعة عشر رجلا (٣٩) يحمل لواءهم علي بن أبي طالب (٤٠) وله ثمة مواقف شكرها الله له ورسوله وجبرئيل والمؤمنون ، حيث قام في نصره النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ساقه وشد لها حيازيمة ، فحمل على جموع الاعداء حملته العظيمة فكشفهم عن النبي وقد أثخن بأبي هو وأمى فجعل تارة يدافع عن الاعداء وأخرى ينقل له الماء من المهراس في درقته فيغسل جرحه (٤١) ، وجعل صلى الله عليه وآله وسلم كلما أبصر جماعة من الاعداء (٣٨) أجمع المفسرون والمحدثون والمؤرخون على نزول هذه الآية في هذه الواقعة •

(٣٩) كما في تاريخ ابن الأثير وغيره •
(٤٠) لا كلام في ان حامل لواء المسلمين يوم أحد انما كان أولا مصعب ابن عمير ، فلما استشهد رحمه الله حمله علي باتفاق اهل الاخبار ، ولم يزل يومئذ حاملا له حتى انتهى القتال •
(٤١) كل من أرخ غزوة احد من الاولين والآخرين ذكر ثقل علي الماء

يقول : اكفنيهم يا علي (٤٢) ، فيشده عليهم بسيفه فلا يرجع حتى يفرق شملهم ويمزق جمعهم وقد عجبت بذلك ملائكة السماء من مواساته فقال جبرائيل عليه السلام (٤٣) : يا رسول الله هذه المواساة • فقال (ص) : انه مني وأنا منه فقال جبرائيل عليه السلام : وانا منكما • وسمعوا حينئذ مناديا ينادي لا سيف إلا ذو الفقار (٤٤) ولا فتى إلا علي •

شط بنا القلم عن المقصود فلنعد اليه فنقل : ان القوم اسلموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واوغلوا في الهرب حتى قال المحدثون والمؤرخون واللفظ لابن الأثير في كامله : قد انتهت الهزيمة بجماعة المسلمين وفيهم عثمان ابن عفان وغيره الى الاحوص ، فأقاموا به ثلاثا ثم أوتوا النبي (ص) فقال لهم حين رأيهم : لقد ذهبتم فيها عريضة •

هذا مع ما سمعوه من النواهي الصريحة في تحريم ذلك ، وحسبك منها قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار » الآية •

وهناك نص آخر عدل البعض عن العمل به أيضا ، وذلك انه لما اشتد البلاء وعظم الخطب بفرار المسلمين ارهف المشركون لقتل رسول الله (ص) غرار عزمهم وارصدوا لذلك جميع إهبعهم ، فتعاقد خمسة من شياطينهم على ذلك كانوا كالفدائية في هذا السبيل ، وهم عبدالله بن شهاب الزهري وعتبة ابن أبي وقاص وابن قمأة الليثي وأبي بن خلف وعبدالله بن حميد الاسدي

من المهراس بدرقته الى رسول الله (ص) فراجع •

(٤٢) راجع غزوة أحد من تاريخ ابن الأثير وغيره •

(٤٣) كما في تاريخ ابن الأثير وابن جرير وسيرتي الحلبي والدحلاني وغيرها •

(٤٤) راجع غزوة أحد من تاريخي ابن جرير وابن الأثير والسيرة الحلبية

وغيرها تجد هذا النداء •

القرشي لعنهم الله واخزاهم ، فأما ابن شهاب فأصاب جبهته الميمونة ، وأما غبطة فرماه (تبت يداه) بأربعة أحجار فكسر رباعيته وشق شفته ، وأما ابن قماة (قاتله الله) فكهم وجنته ودخل من حلق المغفر فيها ، وعلاه بالسيف (شلت يداه) فلم يطق أن يقطع فسقط صلى الله عليه وآله وسلم الى الأرض ، وما أبي بن خلف فشد عليه بحربته فأخذها رسول الله منه وقتله بها ، وأما عبد الله ابن حميد فقتله ابو دجانة الانصاري شكر الله سعيه واعلا في الجنان مقامه فإنه ممن أبلى يومئذ بلاء حسنا ، ثم حمل ابن قماة على مصعب بن عمير وهو يظنه رسول الله (ص) فقتله ورجع الى قريش يبشرهم بقتل محمد ، فجعل الناس يقولون قتل محمد قتل محمد ، فانخلعت قلوب المسلمين جزعاً وكادت نفوسهم أن تزهق هلعاً وأوغلوا في الهرب مدلهين مدهوشين لا يرتابون في قتل رسول الله (ص) وقد سقط في أيديهم ، وكان أول من عرف أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حي كعب بن مالك • قال (٤٥) فناديت يامعشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله حي لم يقتل ، فأشار اليه النبي (ص) أن انصت مخافة أن يسمعه العدو فيشب عليه ، فسكت الرجل ثم اشرف ابو سفيان على المسلمين فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تجيئوه (٤٦) مخافة أن يعرف أنه حي فيشد عليه بمن معه من أعداء الله ورسوله ثم نادى : أنشدك الله يا عمر اقتلنا محمداً ؟ فقال عمر (٤٧) اللهم لا وانه والله

(٤٥) كما في غزوة أحد من تاريخ ابن الاثير وغيره •

(٤٦) كما في غزوة احد من تاريخي ابن الاثير وابن جرير ومن طبقات ابن اسعد ومن السيرتين الحلبيه والدحلانية وسائر الكتب المشتملة على هذه الغزوة •

(٤٧) فيما رواه عنه كل من أرخ غزوة أحد كابن سعد في طبقاته وابن جرير وابن الاثير وسائر أهل السير والخبار •

للامام شرف الدين ١٠٧

ليسمع كلامك • فقال أبو سفيان : افت اصدق من ابن قمأة • وانت تراه قد أجاب ابا سفيان مع نهيه (ص) اياهم عن جوابه ، وما ذاك إلا لكونه متأولا وحسبك بهذا دليلا على معذرة المتأولين •

وأنكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم مات المنافق ابن ابي حيث جاء ابنه فقال : يا رسول الله أعطني قميصك اكفنه فيه وصل عليه واستغفر له ، فأعطاه قميصه وقال : اذا فرغت منه فأذنا • ولم يكن صلى الله عليه وآله وسلم حينئذ قد نهى عن الصلاة على المنافقين (٤٨) وكانت الحكمة فيما فعله صلى الله عليه وآله وسلم بالغة ، وقد قيل له (ص) (٤٩) لم وجهت قميصك اليه يكفن فيه ؟ فقال : ان قميصي لن تغني عنه من الله شيئا ، واني أؤمل أن يدخل بهذا السبب في الاسلام خلق كثير • فروي أنه أسلم بهذا السبب ألف من الخزرج (٥٠) ولكن عمر رضي الله عنه لم يدرك الحكمة فيما فعله رسول الله (ص) فانكر عليه فعله حتى جذبه بردائه وهو واقف للصلاة عليه ، والقضية ثابتة أخرجها البخاري في الصفحة الثانية من كتاب اللباس من صحيحه (٥١) ورواها كافة محدثي السنة ومؤرخيهم ، وقد بلغت القحمة هنا ببعض الجاهلين مبلغا لا يليق بذي دين ، والأولى بفصولنا الاعراض عن فضولهم •

(٤٨) فيما رواه اصحابنا عن أئمة الهدى من آل محمد (ص) ونقله صاحب مجمع البيان عن ابن عباس وجابر وقتادة •
(٤٩) في رواية ذكرها صاحب مجمع البيان في تفسير قوله تعالى « ولا تصل على أحد منهم مات ابدا » من سورة التوبة •
(٥٠) نقل الامام الطبرسي هذه الرواية في تفسير الآية من مجمع البيان عن الزجاج •

(٥١) في أول صفحة ١٨ من جزئه الرابع •

وأفكر عليه أمره صلى الله عليه وآله وسلم أبا هريرة أن يبشر بالجنة كل من لقيه من أهل التوحيد ، حيث اقتضت الحكمة يومئذ تنشيط الموحدين وتشويق الناس الى التوحيد وترغيبهم في الاسلام بتسهيل الامر عليهم ، وكانت الحاجة في تلك الاوقات الى ذلك شديدة ، فأفكر عمر ذلك وضرب أبا هريرة (وهو رسول النبي (ص) ردعا له عن أداء ما أمره به رسول الله) ضربة خربها الى الارض ، والقضية ثابتة فراجعها في صحيح مسلم (٥٢) .

وترك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما قتل رجل أمرهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتله واخبرهم أنه لو قتل ما اختلف بعده اثنان ، في قضية مستفيضة أخرجها المحدثون بأسانيدهم المعتبرة ونقلها أهل السير والاخبار . وحسبك منها ما أخرجه الامام احمد بن حنبل في صفحة ١٥ من الجزء الثالث من مسنده من حديث ابي سعيد الخدري قال : ان أبا بكر جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله اني مررت بوادي كذا وكذا فاذا رجل متخشع حسن الهيئة يصلي . فقال له النبي (ص) : اذهب اليه فاقتله قال : فذهب اليه أبو بكر فلما رآه على تلك الحال كره أن يقتله ، فرجع الى رسول الله (ص) قال : فقال النبي (ص) لعمر اذهب فاقتله ، فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه ابو بكر . قال : فكره أن يقتله . قال : فرجع فقال يا رسول الله اني رأيته يصلي متخشعا فكرهت أن اقتله . قال : يا علي اذهب فاقتله . قال : فذهب علي فلم يره ، فرجع علي فقال : يا رسول الله انه لم يره . قال : فقال النبي (ص) ان هذا واصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز

(٥٢) في باب من لقي الله بالايمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار ، وهو في أوائل الجزء الاول من الصحيح .

ترافقهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فوقه ، فاقتلوهم هم شر البرية اه •

و أخرج أبو يعلي في مسنده (كما في ترجمة ذي الندية من اصابة ابن حجر) عن انس قال : كان في عهد رسول الله رجل يعجبنا تعبده واجتهاده وقد ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باسمه فلم يعرفه ، فوصفناه بصفته فلم يعرفه ، فبينما نحن نذكره اذ طلع الرجل قلنا : هو هذا • قال : انكم لتخبروني عن رجل ان في وجهه لسفعة من الشيطان ، فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس ما في القوم أحد أفضل مني أو خير مني ؟ قال : اللهم نعم • ثم دخل يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من يقتل الرجل ؟ فقال : ابو بكر انا ، فدخل عليه فوجده يصلي ، فقال : سبحان الله اقتل رجلا يصلي ؟! فخرج فقال رسول الله (ص) : ما فعلت ؟ قال : كرهت أن أقتله وهو يصلي ، وانت قد نهيت عن قتل المصلين • قال : من يقتل الرجل ؟ قال عمر : انا ، فدخل فوجده واضعا جبهته فقال عمر : ابو بكر افضل مني ، فخرج فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : مهيم ؟ قال : وجدته واضعا جبهته لله فكرهت ان أقتله • فقال : من يقتل الرجل ؟ فقال علي : أنا • فقال صلى الله عليه وآله وسلم : انت ان ادركته ، فدخل عليه فوجده قد خرج ، فرجع الى رسول الله (ص) فقال : مهيم ؟ قال : وجدته قد خرج • قال : لو قتل ما اختلف من امتي رجالان - الحديث •

وأخرجه الحافظ محمد بن موسى الشيرازي في كتابه الذي استخرجه

من تفاسير يعقوب بن سفيان ومقاتل بن سليمان ويوسف القطان والقاسم بن سلام ومقاتل بن حيان وعلي بن حرب والسدي ومجاهد وقتادة ووكيعة وابن جريح . وارسله ارسال المسلمين جماعة من الاثبات ، كابن عبد ربه الاندلسي عند انتهائه الى القول في اصحاب الاهواء من الجزء الاول من عقده الفريد ، وقد جاء في آخر ما حكاه في هذه القضية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ان هذا الاول قرن يطلع في أمتي لو قتلتموه ما اختلف بعده اثنان ، ان بني اسرائيل افرقت اثنين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفرق ثلاثا وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا فرقة ^(٥٣) واحدة اه .

وقريب من هذه القضية ما أخرجه الامام احمد من حديث علي (في صفحة ١٥٥ من مسنده) قال : جاء النبي (ص) أناس من قریش فقالوا : يا محمد إنا جيرانك وحلفائك وان ناسا من عبيدنا قد أتوك ليس بهم رغبة في الدين ولا رغبة في الفقه انما فروا من ضياعنا واموالنا فارددهم الينا . فقال لأبي بكر : ما تقول ؟ قال : صدقوا انهم جيرانك . قال : فتغير وجه النبي (ص) ثم قال لعمر ما تقول ؟ قال : صدقوا انهم لجيرانك وحلفائك ، فتغير وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان بعضهم يلمزه في الصدقات قال الله تعالى : « ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون » واخرج البخاري ^(٥٤) عن عبد الله بن مسعود قال : قسم النبي (ص) قسمة كبعض ما كان يقسم فقال رجل من الانصار : والله انها لقسمة ما أريد بها وجهه ^(٥٣) فرقة وشيعة لفظان « بحساب الجمل » مترادفان لأن كلا منهما ٣٨٥ ، وهذا بما تتفأل به تلك الفرقة .

(٥٤) في باب الصبر على الاذى من كتاب الآداب في صفحة ٤٤ من

الله • قلت : أما أنا لأقولن للنبي (ص) ، فأتيته وهو في اصحابه فساررته فشق ذلك على النبي (ص) وتغير وجهه وغضب حتى وددت اني لم آكن اخبرته ، ثم قال : قد أؤذي موسى (ع) بأكثر من ذلك فصبر اه •

واخرج البخاري أيضا ^(٥٥) عن عبدالله قال : لما كان يوم حنين آثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أناسا في القسمة فأعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى أناسا من اشراف العرب فأثرهم في القسمة تألفا لقلوبهم وقلوب عشائهم وترغيبا لهم في الاسلام • فقال رجل : والله ان هذه القسمة ما عدل بها • فقلت : والله لأخبرن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأتيته فأخبرته فقال : فمن يعدل اذا لم يعدل الله ^(٥٦) ورسوله ، رحم الله موسى قد أؤذي بأكثر من هذا فصبر اه •

وأخرج الامام احمد من حديث عمر في صفحة ٢٠ من الجزء الاول من مسنده عن الاعمش عن شقيق سلمان بن ربيعة قال : سمعت عمر يقول : قسم رسول الله قسمة فقلت : يا رسول الله لغير هؤلاء احق منهم أهل الصفة • قال : فقال رسول الله انكم تسألوني بالفحش - الحديث •

وكان بعضهم يتنزه عن الشيء يرخص فيه رسول الله ويفعله صلى الله عليه وآله وسلم • • • اخرج البخاري ^(٥٧) عن عائشة قالت : صنع النبي (ص)

الجزء الرابع من صحيحه •

(٥٥) في أواخر كتاب الجهاد والسير في صفحة ١٣٢ من الجزء الثاني من صحيحه ، وهناك عدة أحاديث بهذا المعنى •

(٥٦) قوله اذا لم يعدل الله ورسوله نص بأنه بأبي هو وأمي كان مأمورا من الله تعالى بتلك القسمة التي أنكرها المنافقون الجاهلون بحكمته البالغة « ان هو الا وحي يوحى » •

(٥٧) في كتاب الآداب في صفحة ٤٤ من الجزء الرابع من صحيحه •

شيئاً فرخص فيه فتنزه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبي (ص) فخطب فحمد الله ثم قال : ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ، فوالله اني لأعلمهم بالله واشدهم له خشية اهـ ♦

وسأل رسول الله (ص) حاطب بن بلتعة حين ارسل صحيفته الى المشركين فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع بها عن أهلي ومالي ، وليس من أصحابك أحد إلا له هناك من قومه من يدفع الله به عن اهله وماله ♦ فقال رسول الله (ص) صدق لا تقولوا له الا خيراً ♦ فقال عمر : قد خان الله ورسوله والمؤمنين دعني فلاضرب عنقه — الحديث ♦ اخرجه البخاري في آخر كتاب استتابة المرتدين من الجزء الرابع من صحيحه ، وفي مواضع آخر من الصحيح ♦

ولا يخفى ما فيه من الدلالة على ما قلناه ♦ ولو اردنا استيفاء ما كان من هذا القبيل من موارد تأولهم في مقابل الدليل لطال الباب وخرجنا عن خطة الكتاب ، فعساك تقنع بعد هذا بمعذرة المتأولين وتقلع عما ابتدعه طغام المرجفين ♦

وان اردت المزيد وابتغيت التأكيد فخذ مني مضافا الى ما تلوناه وعلاوة على ما اسلفناه دليلاً قاطعاً وبرهاناً ساطعاً لا ترتاب بعده في معذرة المتأولين ولا تشك في نجاتهم يوم الدين ، وحاصله ان الجمهور أجمعوا على خلافة عثمان منذ بويع حتى قتل ، مع ما كان في أيامه من الاحداث التي لولا حملة فيها على التأول لبطلت امامته وسقط عن اريكة الخلافة ، وحسبك من تلك الاحداث ما هو معلوم بالتواتر وضرورة التاريخ ، وسأتلو عليك يسيراً منها

نقلا من كتاب الملل والنحل للشهرستاني بعين لفظه : قال (٥٨) منها رده الحكم ابن أمية الى المدينة بعد ان طرده النبي عليه السلام وكان يسمى طريد رسول الله ، وبعد ان تشفع الى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ايام خلافتيهما فما اجاباه الى ذلك ونفاه عمر من مقامه اربعين فرسخا • قال : ومنها نفيه ابا ذر الى الربذة ، وتزويجه مروان بن الحكم بنته ، وتسليمه خمس غنائم أفريقية له ، وقد بلغت مئتي الف دينار • قال : ومنها ايواؤه عبدالله بن سعيد بن ابي سرح ، بعد ان اهدر النبي عليه السلام دمه وتوليته اياه مصر بأعمالها ، وتوليته عبد الله بن عامر البصرة حتى احدث ما احدث ، الى غير ذلك مما تقوموا عليه اه •

قلت : كاحراقه المصاحف جمعا للناس على قراءة واحدة ، كما هو مقرر معلوم ، وقد نص عليه المؤرخون وارسله ابن الاثير في كامله ارسال المسلمين (٥٩) وكحماية الحمى ، واعطائه المقاتلة من مال الصدقة ، واشاره اهل بيته بالاموال وضربه عمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود ، وعدم اقامته الحدّ على عبيد الله ابن عمر قاتل الهرمزان ، وكتابه الى اهل مصر بقتل محمد بن ابي بكر وجماعة آخرين من فضلاء المسلمين •

ومن موارد تأوله أنه كان اذا خرج من مكة الى عرفات يتم فيها وفي منى صلاة الظهرين والعشاء ، مع أن النبي (ص) وأبا بكر وعمر كانوا اذا خرجوا اليها يقصرون صلاتهم فيهما ، بل كان عثمان أول أمارته يقصر أيضا ،

(٥٨) في أثناء الخلاف التاسع من الاختلافات التي أوردها في المقدمة الرابعة من المقدمات الخمس التي جعلها في أول كتابه « الملل والنحل » فراجع •
(٥٩) وذلك حيث ذكر غزوة حذيفة الباب وأمر المصاحف في صفحة ٤٢

• روى ذلك البخاري في باب الصلاة بمنى من كتاب الحج من صحيحه ^(٦٠) .
وأنت تعلم ان عذره في كل هذه الامور كونه متأولاً مجتهداً ، وبهذا
حفظت عندهم عدالته وامامته ، فمن بعدها لا يقول بمعذرة المتأولين ؟
والأبلغ من هذا كله في معذرة المتأولين اجماعهم على عدالة كثير من
المجلبين عليه ، كعائشة وطلحة والزبير وعمار بن ياسر وعمرو بن الحمق
الخزاعي وعمرو بن العاص وغيرهم ، ضرورة أنه لا يتسنى لهم الحكم بامامة
المقتول وعدالة من أمر بقتله ونبزه باسم اليهود « فقال اقتلوا نعثلاً قتل الله
نعثلاً اقتلوا نعثلاً فقد كفر » إلا بناء على ما قلناه •

وان أردت المزيد فأعتق رقبتك من رق التقليد وانظر فيما كان من
عائشة وطلحة أيام عثمان من تأليب الناس عليه ، وما كان منهما
بعد قتله ، وانعقاد البيعة لامير المؤمنين من الذهاب الى البصرة طلباً بثارعثمان
فهم غير مصيبين في احدى الحالين ، أو في كليهما قطعاً ، لكن الجمهور عذروهم
أولاً وآخرأ ، وذلك ليس الا لما قلناه وبه يتم ما أردناه •

وإن اوجست في نفسك ريبة فيما تقول فانظر الى ما كان من طلحة
والزبير وعائشة في البصرة مع عثمان بن حنيف الانصاري وحكيم بن جبلة
العبدى وغيرهما من شيعة علي عليه السلام مما لا يخلو منه كتاب من كتب
الاخبار ، وقد اشتهر اشتهار الشمس في رابعة النهار ، من القتل الذريع
والنهب الفظيع والمثلة بعثمان بن حنيف حياً ^(٦١) هذا كله قبل مجيء أمير المؤمنين
عليه السلام الى البصرة ثم جاء :

(٦٠) وأخرجه مسلم في باب قصر الصلاة بمنى من كتاب صلاة المسافرين
من الجزء الاول من صحيحه بأسانيد متعددة وطرق مختلفة •
(٦١) ان أردت التفصيل فعليك بتاريخ ابن جرير أو كامل ابن الاثير
أو ما شئت من كتب الاخبار •

فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر
 فهل تجد وجهاً للجزم بعدالة هؤلاء والقطع بمعذرتهم الا ما يذكره
 الجمهور من تأولهم في كل ما فعلوه ، وبه يتجلى لك عذر المتأولين •
 دع كل ما ذكرناه وعرج على رأي الجمهور في معاوية تجد هناك معذرة
 المتأولين قالبا حسيا ، وتلفها امامك شخصا مرئيا ، فانه لما كان متأولا على
 زعمهم ، لم يقدح في عدالته عندهم الحاقه زياداً بأبيه (ابي سفيان) بدعوى
 انه عاهر سمية وهي على فراش عبيد ، مستنداً في ذلك الى شهادة ابي مريم
 القواد الخمار مع قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الولد للفراش
 وللعاهر الحجر » (٦٢) •

وقوله من حديث (٦٣) ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ، وقوله
 تعالى : « أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » وكان فعله هذا أول عمل
 جاهلي عمل به في الاسلام علانية ، فلم يقدح مع ذلك عند الجمهور في عدالته
 ولم يمنع محمد بن اسماعيل البخاري عن الاحتجاج به في صحيحه (٦٤) •

(٦٢) هذا الحديث متواتر قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 حين ترفع اليه سعد بن ابي وقاص وعبد بن زمعة في غلام عهد عتبة بن ابي
 وقاص الى أخيه سعد انه ابنه بسفاح الجاهلية ، فقال سعد : يا رسول الله
 انه ابن اخي وقد عهد به الي وعليه شبهة • وقال عبد بن زمعة : انه اخي وابن
 أبي ولد على فراشه من جاريته • فنظر النبي (ص) الى الغلام فرأى عليه شبه
 عتبة بينا ولم يلحقه مع ذلك به وانما ألحقه بزمعة ، وقال « الولد للفراش
 وللعاهر الحجر » أخرج البخاري هذه القضية بهذه الكيفية في ثلاثة مواضع
 من كتاب البيوع في أول الجزء الثاني من صحيحه ، واخرجه مسلم بطرق
 مختلفة في باب الولد للفراش من كتاب الرضاع من صحيحه •

(٦٣) اخرجه البخاري في باب النجش من كتاب البيوع في صفحة ١٢
 من الجزء الثاني من صحيحه •
 (٦٤) جميع المحدثين من أهل السنة يحتجون بمعاوية ويعتمدون عليه

وأیضا لم یخدش فی وثاقته عندهم عهده بالخلافة الى ابنه یزید ، وهو صبي یشرب الشراب ویلعب بالكلاب ولا یعرف من الدین موطنه قدمه مع معرفته بلیله ونهاره واعلانه واسراره وعلمه بمنزلة الحسین علیه السلام من الله عز وجل ومكانته من رسول الله صلى الله علیه وآله وسلم ومحلّه فی نفوس المؤمنین ، علی انه كان یومئذ فی المهاجرین والانصار وبقية البدریین وأهل بیعة الرضوان جم غفیر وعدد کثیر کلهم قاریء للقرآن عالم بمواقع الاحکام خیر بالسیاسة حقیق علی رأي الجمهور بالخلافة والریاسة ، فلم یراع سابقتهم فی الاسلام ولا عناءهم فی تأیید الدین وأمر علیهم شریره المتهتك وسکیره المفضوح ، فكان منه فی طف کربلاء مع سید شباب أهل الجنة وخامس اصحاب الکساء ما اثكل النبیین وابکی الصخر الاصم دما ، ورمى المدينة الطیبة بمجرم ابن عقبة ، وكان أبوه معاویة قد عهد (٦٥) بذلك الیه كما نص علیه جماعة (٦٦) فكانت امور تکاد السماوات یتفطرن منها • وحسبك انهم اباحوا المدينة المنورة ثلاثة أيام حتی اقتض فیها الف عذراء من بنات المهاجرین فی مسانیدهم وصحاحهم ، أما البخاری فقد احتج به فی کتاب الجهاد والسير فی باب قوله تعالی « فان لله خمسة والمرسول » من صحیحته ، واحتج به أيضا فی أول باب وصل الشعر من کتاب اللباس ، وفی مواضع آخر لاتخفی علی المتتبع • (٦٥) غیر مبال بدعاء النبی صلى الله علیه وآله وسلم علی من أخاف أهل المدينة ، ولا مکترث بقوله (ص) « من اخاف أهل المدينة أخافه الله عز وجل وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعین لا یقبل الله منه یوم القيامة صرفا ولا عدلا » أخرجه احمد من حدیث السائب بن خلاد بطریقین فی صفحة ٥٦ من الجزء ٤ من مسنده •

(٦٦) منهم الامام ابن جریر الطبری فی الصفحة الاخرة من حوادث سنة ٦٣ فی أوائل الجزء ٧ من تاریخه ، وابن عبد ربہ المالکی حیث ذکر وقعة الحرة فی الجزء الثانی من العقد الفرید •

والانصار ، كما نص عليه السيوطي في تاريخ الخلفاء وعلمه جميع الناس^(٦٧) ، وقتل يومئذ من المهاجرين والانصار وأبناءهم وسائر المسلمين اللائذين بضريح سيد النبيين صلى الله عليه وآله وسلم ١٠٧٨٠ رجلا ، ولم يبق بعدها بدري^(٦٨) ، وقتل من النساء والصبيان عدد كثير ، وكان الجندي يأخذ برجل الرضيع فيجذبه من أمه ويضرب به الحائط فينتشر دماؤه على الارض وأمه تنظر اليه^(٦٩) ، ثم امروا بالبيعة ليزيد ، على أنهم خول وعبيد ان شاء استرق وان شاء اعتق ، فبايعوه على ذلك واموالهم مسلووبة ورحالهم منهوبة ودماؤهم مسفوكة ونساؤهم مهتوكة ، وبعث مجرم بن عقبة برؤوس أهل المدينة الى يزيد ، فلما القيت بين يديه قال :

(٦٧) حتى قال ابن الطقطقي في صفحة ١٠٧ من تاريخه المعروف بالفخري ما هذا لفظه : ف قيل ان الرجل من أهل المدينة بعد ذلك كان اذا زوج ابنته لا يضمن بكارتها ويقول لعلها افتضت في وقعة الحرة اه . وقال الفاضل الشبراوي في صفحة ٦٦ من كتابه الاتحاف : وافترض فيها نحو الف بكر وحمل فيها من النساء اللاتي لا أزواج لهن نحو من الف امرأة . وقال ابن خلكان وقد ذكر الحرة في ترجمة يزيد بن القعقاع القاريء المدني من وفياته ما هذا لفظه : كان يزيد بن معاوية في مدة ولايته قد سير الى المدينة جيشا مقدمه مسلم بن عقبة المري فنهبا واخرج اهلها الى هذه الحرة ، فكانت الوقعة بها وجرى فيها ما يطول شرحه ، وهو مسطور في التواريخ حتى قيل انه بعد وقعة الحرة ولدت أكثر من الف بكر من أهل المدينة بسبب ما جرى فيها من الفجور .

(٦٨) نص على ذلك ابن قتيبة في كتاب الامامة والسياسة وغير واحد من أهل الاخبار .

ليت اشيأخي ببدر شهدوا : الالبات (٧٠) •

ثم توجه مجرم لقتال ابن الزبير فهلك في الطريق ، وتآمر بعده الحصين ابن نمير بعهد من يزيد ، فأقبل حتى نزل على مكة المعظمة ونصب عليها العرادات والمجانيق (٧١) وفرض على اصحابه عشرة آلاف صخرة في كل يوم يرمونها بها ، فحاصروهم بقية المحرم وصفر وشهري ربيع يغدون على القتال ويروحون ، حتى جاءهم موت يزيد وكانت المجانيق اصابت جانب البيت فهدمته مع الحريق الذي اصابه •

وفظائع يزيد من أول عمره الى انتهاء أمره أكثر من ان تحويها الدفاتر ، أو تحصيها الاقلام والمحابر ، قد شوهدت وجه التاريخ وقبحت صحائف السير ، وكان ابوه يرى كلابه وقروده وصقوره وفهوده ويطلع على خموره وفجوره ، ويشاهد الفظائع من كل أموره ويعاين لعبه من الغواني ويعرف خبثه بكل المعاني ، ويعلم أنه ممن لا يؤتمن على فقير ولا يولي أمر قطمير ، فكيف رفعه والحال هذه الى أوج الخلافة وأحله عرش الملك والامامة وملكه رقاب المسلمين وسلطه على احكام الدنيا والدين ، فغش بذلك أمتة ولم ينصح رعيته وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فيما أخرجه البخاري في الورقة الأولى من كتاب الاحكام من صحيحه (٧٢) : ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة • وقال صلى الله عليه وآله

(٧٠) ارسال رؤوس أهل المدينة الى يزيد وانشاده ايات ابن الزبيري مشهور مستفيض ، وقد ذكره ابن عبد ربه في أواخر وقعة الحرة من العقد الفريد ، ونقل هناك اعتراف يزيد بارتداده عن الاسلام •
(٧١) ذكر ذلك ابن قتيبة في صفحة ٢١٤ من كتابه الامامة والسياسة •
(٧٢) في صفحة ٢٥٠ من جزئه الرابع •

وسلم فيما أخرجه احمد من حديث ابي بكر في صفحة ٦ من الجزء الاول من مسنده : من ولي من امور المسلمين شيئا فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم •

وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه البخاري في تلك الورقة أيضا : ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحفظها بنصيحة الا لم يجد رائحة الجنة • والجمهور يعذرونه في ذلك بناء على اجتهاده ، كما عذر بعضهم في وقعتي الطف والحرّة أكفر أولاده (٧٣) •

وعذروه أيضا في قتله عباد الله الصالحين كعمرو بن الحمق الخزاعي ، وكان بحيث ابلته العبادة ورأسه أول رأس حمل في الاسلام ، قتله (وهو من

(٧٣) بل اعتقد قوم من الجمهور أن يزيد كان من أولياء الله ، وان من توقف فيه وقفه الله على نار جهنم ، فراجع ما حكاه ابن تيمية عنهم في الرسالة ٧ من مجموعة الرسائل الكبرى في صفحة ٣٠٠ من جزئها الاول • ونقل القسطلاني في باب ما قيل في قتال الروم من كتاب الجهاد من ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري في صفحة ٢٣٠ من جزئه السادس عن المهلب انه كان يقول بشوت خلافة يزيد وانه من اهل الجنة • ونقل ابن خلدون في صفحة ٢٤١ أثناء الفصل الذي عقده في مقدمته لولاية العهد عن القاضي ابي بكر ابن العربي المالكي أنه قال في كتابه الذي سماه بالعواصم والقواصم ما معناه أن الحسين قتل بشرع جده (ص) • وذكر ابن الاثير في عده حوادث سنة ٥٨٣هـ في آخر ورقة من الجزء ١١ من كامله أن في تلك السنة مات عبد المغيث بن زهير ببغداد قال : وكان من أعيان الحنابلة قد سمع الحديث الكثير وصنف كتابا في فضائل يزيد بن معاوية أتى فيه بالعجائب ، وقد رد عليه أبو الفرج ابن الجوزي وكان بينهما عداوة اه • قلت : والذين عذروا يزيد من اوليائه واعتذروا عنه كثيرون ، منهم ابن تيمية فيما تقدمت اليه الاشارة من رسالته السابعة والغزالي في الآفة الثامنة من كتاب آفات اللسان من احياء العلوم في صفحة ١١٢ من جزئه الثالث •

خيار الصحابة) بحبه عليا عليه السلام ، وكحجر بن عدي الكندي وكان من فضلاء الصحابة أيضا ، قتله واصحابه البررة الاتقياء اذ لم يلعنوا له عليا عليه السلام ، ومعاوية هو الذي قتل الحسن سلام الله عليه بسم دسه اليه ، فسقته إياه بنت الاشعث عليها اللعنة ، علم بذلك كافة اهل البيت وشيعتهم واعترف به جماعة من غيرهم •

قال أبو الحسن المدائني (كما في أوائل الجزء ١٦ من شرح النهج لابن أبي الحديد في الصفحة ٤ من المجلد ٤ طبع مصر) : كانت وفاة الحسن سنة ٤٩ وكان مريضا • ٤ يوما وكان سنة ٤٧ سنة ، دس اليه معاوية سما على يد جعدة بنت الاشعث، وقال لها: ان قتلته بالسهم فلك مائة الف وازوجك يزيد ، فلما مات وفى لها بالمال ولم يزوجها من يزيد وقال : أخشى ان تصنعي بابني ما صنعت بابن رسول الله (ص) اه •

وقتل المدائني عن الحصين بن المنذر الرقاشي (كما في صفحة ٧ من المجلد الرابع من شرح النهج طبع مصر أيضا) : أنه كان يقول : والله ما وفى معاوية للحسن بشيء مما أعطاه قتل حجراً واصحابه وبائع لابنه يزيد ، وسهم الحسن اه •

وقال أبو الفرج الاصفهاني المرواني في كتابه مقاتل الطالبين حيث ذكر السبب في وفاة الحسن عليه السلام ما هذا لفظه : واراد معاوية البيعة لابنه يزيد ، فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص ، فدس اليهما سما فماتا منه الخ •

وفي صفحة ١٧ من المجلد ٤ من شرح ابن ابي الحديد طبع مصر ما يلفت الأنظار في هذا المقام فراجع له لتعلم ما قلناه •

وروى ابن عبد البر في ترجمة الحسن من استيعابه عن قتادة وابي بكر ابن حفص أن بنت الاشعث سقت الحسن بن علي السم ، ثم قال : وقالت طائفة كان ذلك منها بتدسيس معاوية اليها وما بذل لها في ذلك اه • والاخبار في ذلك لا تحتملها هذه العجالة •

ولو أردنا أن نستوفي من قتلهم معاوية من المصلحين وأولياء الله (٧٤) صبراً وابادهم غدرأ واستأصلهم عتوأ وطعنهم حربا وسمل أعينهم ظلما وقطع أيديهم وأرجلهم بغياً واستل السنة لهم تنطق بالحق عناداً واسقط شهاداتهم زوراً وتقوّل عليهم افتراء وطلق حلائلهم مكرأ واخذ أموالهم سلبا وصاح في حجراتهم نهبا وهدم دورهم عشيا واقصاهم نفيا واوسعهم ذلا وضيق عليهم حبسا ودفنهم أحياء ولعنهم على المنابر أمواتا — لأفئينا المحابر واستغرقنا الصحف والدفاتر ثم لم نبلغ غايتنا المقصودة ولم نظفر بضالتنا المنشودة • وكذلك لو أردنا أن نتصدي للأحكام التي بدّلها والحدود التي عطّلها والبواقي التي ارتكبتها والفواقر التي احتجبها والدواهي التي حدثت في زمانه والغاشمين للذين اشركهم في سلطانه كابن شعبة وابن العاص وابن سعيد وابن اربعة وابن جندب ومروان وابن السمط وزياد وابن مرجانة والوليد الذين فعلوا الافاعيل وقهروا الامة بالباطيل وساموا عباد الله سوء العذاب يذبجون

(٧٤) لم يقتصر معاوية على قتل أولياء الله في سبيل سياسته حتى قتل في ذلك اخص اوليائه به وأشدهم ملازمة له عبدالرحمن بن خالد بن الوليد ، حارب معه في صفين وحالفه على عداوة أمير المؤمنين ثم بعدها باعه بالثافه الزهيد وقتله مخافة ان ترغب الناس به عن يزيد ، وقصته مشهورة عند أهل الاخبار مستفيضة بين أهل السير والآثار ، فراجع ترجمة عبد الرحمن من الاستيعاب تجد التفصيل •

أبناءهم ويستحيون نساءهم ، وحسبك ما أجمع أهل الاخبار على نقله واتفق أهل العلم على صدوره من بعثه بسرّ سنة اربعين لاستئصال من في اليمن من عباد الله الصالحين ، فراجع ما شئت من كتب الاخبار ولا حظ ما يحضرك مما يشتمل على احداث تلك السنة من كتب الآثار ، لتعلم فظاعة هذه الواقعة وتعرف كنه ما كان يوم هذه الفاجعة ، من قتل الشيوخ الركن وذبح الاطفال الرضع ونهب الاموال وسبي العيال ، وما ينس فلا ينس ما فعله يومئذ بنساء همدان ، إذ سباهن فأقمن (كما في ترجمة بسر من الاستيعاب) في السوق ، وكشف عن سوقهن فأيتهن كانت أعظم ساقا اشتريت على عظم ساقها . قال في الاستيعاب : فكنّ أول مسلمات سبين في الاسلام ، وما أدري هذه افطع وأوجع أم ما فعله بطفلي عبيد الله بن العباس ، وكان عبيد الله يومئذ هاملا لأمير المؤمنين على اليمن فهرب اليه من بسر ، واستخلف عبد الله بن عبد المدان الحارثي وكان جد الطفلين لأمهما ، فقتله بسر فيمن قتلهم يومئذ من الالوف المؤلفة من خيار الناس وقتل ابنه ، وبحث عن الطفلين فوجدهما عند رجل من كنانة في البادية ، فلما أراد بسر قتلهما قال له الكناني (كما في تاريخ ابن الاثير) - لم تقتلهما وهما طفلان لا ذنب لهما ، فان كنت قاتلهما فاقتلني معهما ، فقتله ثم ذبحهما بين أيدي أمهما ^(٧٥) فهامت على وجهها جنونا مما نالها وكانت تأتي الموسم تشدهما فتقول :

يا من أحسّ بابنيّ اللذين هما	كالدريّن تشظى عنهما الصدف
يا من أحسّ بابنيّ اللذين هما	مخ العظام فمخي اليوم مزدهف
يا من أحسّ بابنيّ اللذين هما	قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختطف

(٧٥) كذا في ترجمة بسر من الاستيعاب .

من دل والهة حيرى مدلهة (٧٦) على صبيين ذلا-إذغدا السلف
 نبئت بسرا وما صدقت مازعموا من إفكهم ومن الاثم الذي اقترفوا
 انحى (٧٧) على ودجى ابني مرهفة مشحودة وكذلك الاثم يقترف
 وقالت له امرأة من كنانة لما ذبحهما (كما في تاريخ ابن الاثير) : يا هذا
 قتلت الرجال فعلى م تقتل هذين؟! والله ما كانوا يقتلون في الجاهلية والاسلام
 والله يا بن ابي ارطاة ان سلطانا لا يقوم الا بقتل الصبي الصغير والشيخ الكبير
 ونزع الرحمة وعقوق الارحام لسلطان السوء ♦
 قال ابن الاثير : فلما سمع أمير المؤمنين بقتلهما جزع جزعا شديداً
 ودعا على بسر فقال : اللهم اسلبه دينه وعقله ♦ قال : فأصابه ذلك فكان يهذي
 بالسيف فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه زق منفوخ فلا يزال يضربه،
 ولم يزل كذلك حتى مات اهـ الى غير ذلك من بوائق معاوية واعوانه وجرائم
 وزرائه ومقوية سلطانه ، وكان أحدهم يقتل الالوف من أفاضل الرجال ويعمل
 الاعمال التي يهتر منها عرش العظمة والجلال ثم لا يستعظم ما احتقب ولا
 يتأثم مما ارتكب ♦

أخرج الامام الطبري في احداث سنة خمسين من تاريخه (٧٨) بالاسناد
 الى محمد بن سليم قال : سألت أنس بن سيرين هل كان سمرة قتل أحداً ؟
 قال : وهل يحصى من قتلهم سمرة بن جندب ، استخلفه زياد على البصرة ستة
 أشهر حين كان واليا عليها وعلى الكوفة من قبل معاوية وأتى الكوفة فجاء
 وقد قتل ثمانية آلاف من الناس ♦ فقال له زياد : هل تخاف أن تكون قتلت

(٧٦) الذاهبة العقل ♦

(٧٧) كذا في رواية ابن الاثير وفي رواية الاستيعاب وابي الفداء انحى ♦

(٧٨) في صفحة ١٢٢ من جزئه السادس ♦

أحداً بريئاً ؟ قال : لو قتلت اليهم مثلهم ما خشيت اه ♦

وأخرج هناك أيضاً بالاسناد الى ابي سوار العدوي قال : قتل سمرة

من قومي في غداة سبعة واربعين رجلاً قد جمع القرآن اه ♦

وأخرج هناك أيضاً باسناده عن عوف قال : أقبل سمرة من المدينة ، فلما

كان عند دور بني أسد خرج رجل من بعض أزقتهم ففاجأ أول الخيل ، فحمل

عليه رجل من القوم فأوجره الحربة عبثاً وعتواً ♦ قال : ثم مضت الخيل فأتى

عليه سمرة بن جندب وهو متشطح بدمه فقال : ما هذا ؟ قيل : اصابته أوائل

خيل الامير ، قال عتواً واستكباراً : اذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا أستننا اه ♦

وهذه القضايا متفق على صدورها من سمرة نقلها كل من أرخ حوادث

سنة الخمسين ، كابن جرير وابن الاثير وامثالهما ♦ واذا كانت هذه أعمال

سمرة في ستة أشهر وهو ثقة البخاري ودليله على دين الباري قد احتج به في

الورقة الثالثة من كتاب بدء الخلق من صحيحه (٧٩) ♦

وجزم بعديته (٨٠) في ظاهر القول وصريحه ، فما ظنك بأعمال زياد بن

(٧٩) في آخر صفحة ١٣٨ من جزئه الثاني قبل باب ما جاء في صفة الجنة

بأربعة أحاديث ، واحتج به في موارد يعرفها المتتبع ، ونص الامام محمد بن

القيسراني في كتابه « الجمع بين كتابي ابي نصر الكلاباذي وابي بكر

الاصفهاني » على احتجاج البخاري ومسلم كليهما في سمرة بن جندب مع

ماله من الأعمال ، فراجع أحواله في الجزء الرابع من شرح النهج للعلامة ابن

ابي الحديد في السطر الاول من صفحة ٣٦٣ من المجلد الاول طبع مصر لتعلم

الحقيقة ، ولو سبرت من قبل تلك الصفحة الى ما بعدها بوريقات لعلمت

أحوال جملة من رجال البخاري كابن العاص والمغيرة ومروان وابي هريرة

وغيرهم من عمال معاوية وأوليائه ♦

(٨٠) مع ما ثبت عنه من المساويء التي من جملتها بيع الخمر على عهد

عمر فيما رواه المحدثون ، وأخرجه احمد بن حنبل من حديث عمر بن الخطاب

سمية الخبيث الفاسق باجماع البرية ، وقد ولاه معاوية (كما نص عليه الطبري ^(٨١)) في احداث سنة خمسين من تاريخه (اعمال الكوفة والبصرة والمشرق كله ، وسجستان وفارس والسند والهند ، فكم حرة في تلك الولاية هتكت ، وكم حرمة لله انتهكت ، وكم دماء زكية سفكت ، وكم شرعة اندرست وكم بدعة أسست ، وكم أعين سملت وايد ورجل قطعت و...و...؟! الى ما لا يحصى من الاعمال البربرية والفظائع الاموية التي تقشعر لها جلود البرية ويتصدع بها قلب الانسانية .

لكن الجمهور لما بنوا على اجتهد معاوية عذروه في اعمال عماله ، ولم يخذش في عدالته عندهم بوائقه ولا بوائق رجاله .

وعذروه أيضا في حربه عليا عليه السلام ، وهو أخو النبي ووصيه ونفسه في آية المباهلة ووليه بعد انعقاد البيعة له حتى قتل من المسلمين ألوف مؤلفة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه البخاري ^(٨٢) ومسلم في صحيحيهما «سباب المسلم فسق وقتاله كفر» ^(٨٣) وقال صلى الله عليه في صفحة ٢٥ من الجزء الاول من مسنده قال : ذكر لعمر أن سمرة باع خمراً . فقال : قاتل الله سمرة ان رسول الله قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها .

(٨١) في صفحة ١٣٤ من جزئه السادس .
(٨٢) راجع من صحيح البخاري باب قول النبي (ص) لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض من كتاب الفتن في الجزء الرابع وراجع من صحيح مسلم كتاب الايمان .

(٨٣) فان قلت : كيف قاتل علي عليه السلام كلا من أهل الشام والبصرة والنهروان وهم مسلمون ؟ قلت : انما قاتلهم عملاً بقوله تعالى « فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله » ولا ريب ببغي معاوية واصحابه بدليل قتلهم لعمار ، على ان بغيهم اوضح من النهار .

وآله وسلم يوم جلال عليا وفاطمة والحسن والحسين بالكساء فيما ذكره ابن حجر في صواعقه ^(٨٤) وابو بكر بن شهاب الدين في رشفته من جملة حديث : « أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم » ^(٨٥) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « حرب علي حربي وسلمه سلمي » الى غير ذلك من الصحاح التي لا حاجة الى ايرادها لتواترها بين المسلمين .

وعذروه أيضا في لعنه بقنوت الصلاة رجالا اذهب عنهم الرجس محكم التنزيل وهبط بتطهيرهم جبرائيل وباهل بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمر ربه الجليل ، أولئك الذين فرض الله مودتهم وواجب الرسول ولايتهم ، وهم احد الثقلين اللذين لا يضل من تمسك بهما ولا يهتدي الى الله من ضل عنهما ، ألا وهم أمير المؤمنين أخو الرسول ووليه وصاحب العناء بتأسيس دينه ووصيه ومن شهد الرسول بأنه يجب الله ورسوله ، وأنه منه بمنزلة

وأيضا أخرج مسلم في باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع من كتاب الإمارة من صحيحه عن عرفة قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : من اتاكم وامركم جميع على رجل واحد يريد ان يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه اه . وقال ابن عبد البر في ترجمة علي من الاستيعاب ما هذا لفظه : وروى من حديث علي ومن حديث ابن مسعود ومن حديث ابي ايوب الانصاري انه « يعني عليا » أمر بقتال الناكثين « يوم الجمل » والقاسطين « يوم صفين » والمارقين « يوم النهروان » قال: وروي عنه انه قال : ما وجدت الا القتال أو الكفر بما أنزل الله اه .

(٨٤) في الآية الاولى من الآيات التي أوردها في الفصل الاول من الباب الحادي عشر .

(٨٥) واخرج احمد بن حنبل من حديث ابي هريرة في صفحة ٤٤٢ من الجزء الثاني من مسنده ان رسول الله (ص) نظر الى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال : أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم .

هارون من موسى ، وولده سبطا رسول الله وريحانتاه الحسن والحسين سيدها
شباب أهل الجنة .

ولعن معهم عبدالله بن عباس حبر هذه الامة ، مع ما علم من وجوب
تعظيمهم بحكم الضرورة من دين الاسلام وما ثبت بالعيان من شرف مقامهم
لدى سيد الانام ، وكيف لا يكونون كذلك وهم أهل بيت النبوة وموضع
الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي ومعدن الرحمة .

وما اكتفى بذلك حتى أمر بلعن أمير المؤمنين عليه السلام في كل كورة
وترك ذلك سنة على أعوادها في كل عيد وجمعة ، وما زالت الخطباء في جميع
الانحاء تعد تلك البدعة المكفرة جزء من الخطبة الى سنة ٩٩ فأزالها خير بني
مروان عمر بن عبدالعزيز . وهذا كله معلوم بالضرورة مقطوع فيه بحكم
البداهة قد اجمع اهل العلم على صدوره واتفقت كلمة أهل السير على نقله ،
فراجع ما شئت من كتب الاخبار لتعلم ان المسألة كضوء النهار .

وكان الحسن قد شرط على معاوية اذ اصطلحا شروطا منها أن لا يشتم
أباه فلم يجبه الى هذه واجابه الى ما سواها ، فطلب الحسن أن لا يشتم عليا
وهو يسمع ، قال ابن الاثير وابن جرير وابو الفداء وابن الشحنة وكل من
ذكر صلح معاوية والحسن : فأجابه الى ذلك ثم لم يف له به اه .

بل شتم عليا والحسن على منبر الكوفة ، فقام الحسين ليرد عليه فأجلسه
الحسن عليهما السلام ، ثم قام بأبي هو وأمي ففضح معاوية وألقمه حجراً ،
وهذه القضية ذكرها أبو الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبين وكثير من أهل
السير والاخبار ، ولم يزل معاوية يلعن أمير المؤمنين أمام البر والفاجر ويحمل
عليها الاصاغر والاكابر حتى أمر سعد بن أبي وقاص فيما أخرجه مسلم في

باب فضائل علي من صحيحه بالاسناد الى عامر بن سعد قال : أمر معاوية بن أبي سفيان سعد بن أبي وقاص فقال : ما منعك أن تسب أبا تراب ؟ فقال : أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب الي من حمر النعم - الحديث (٨٦) •

وأمر الاخنف بن قيس فقال له كما نص عليه جماعة منهم أبو الفداء في احداث سنة ٦٧ من تاريخه : والله لتصعدن المنبر وتلعننه طوعا أو كرها ، فكان بينهما كلام أفضى الى خوف معاوية من الفضيحة اذا استوى الاخنف على المنبر فأعفاه من ذلك • وقد علم الناس كافة أن معاوية لم يقتل حجراً واصحابه الابدال إلا لامتناعهم عن لعن أمير المؤمنين وسيد الوصيين ، ولو أجابوه الى لعنه لحقنت دماؤهم ، فراجع مقتل حجر في أول الجزء ١٦ من كتاب الاغانى لأبي الفرج المرواني ، وفي احداث سنة ٥١ من تاريخ ابن جرير وابن الاثير وغيرهما لتعلم الحقيقة ، وتعرف ان عبدالرحمن بن حسان العنزي لما أبى وامتنع عن لعن علي عليه السلام في مجلس معاوية أرسله الى زياد وأمره أن يقتله شر قتلة ، فدفعه حيا ، وما زال يلعن عليا على رؤوس الاشهاد ، ويحمل على لعنه بالترهيب والترغيب كافة العباد في كافة البلاد • هذا مع ما صح من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من سب عليا فقد سبني » أخرجه الحاكم وصححه ، وهو عندنا من المتواترات ، وأخرج النسائي في صفحة ١٧ من الخصائص العلوية وابن حنبل في صفحة ٣٣٣ من الجزء السادس من مسنده من حديث أم سلمة عن عبدالله أو أبي عبدالله الجدلي قال : دخلت

(٨٦) وأخرجه النسائي في الصفحة الثانية من الخصائص العلوية ، وهو

منقول عن الترمذي وعن الجمع بين الصحيحين والجمع بين الصحاح الستة •

على أم سلمة فقالت لي أيسب رسول الله فيكم؟! قلت : معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها • قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من سب عليا فقد سبني (٨٧) اه •

وقال ابن عبد البر في ترجمة علي من استيعابه ما هذا لفظه : وقال صلى الله عليه وآله وسلم : من أحب عليا فقد أحبني ومن أبغض عليا فقد أبغضني ، ومن آذى عليا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله اه (٨٨) •

وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه الطبراني وغيره : ما بال أقوام ييغضون عليا ومن أبغض عليا فقد أبغضني ومن فارق عليا فقد فارقني ، ان عليا مني وأنا منه ، خلق من طينتي وخلقنت من طينة ابراهيم ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليهم • يا بريدة أما علمت أن لعلي أفضل من الجارية التي اخذ وهو وليكم بعدي •

وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما (كما في الفصل الثاني من الباب ٩ من الصواعق) عن عمران بن حصين أن رسول الله قال : ما تريدون من علي ما تريدون من علي ما تريدون من علي ، ان عليا مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن بعدي •

وفي ترجمة علي (ع) من الاستيعاب ما هذا نصه : وروى طائفة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي رضي الله عنه : لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق • قال : وكان علي رضي الله عنه يقول :

(٨٧) هذه الفضيلة من خصائص أمير المؤمنين ، ولذلك أوردها النسائي في خصائصه ، وبها وبأمثالها نكفر الخوارج واشباههم •
(٨٨) واخرج ابن خالويه في كتاب الآل عن ابن عباس وابو يعلي والبرزاز عن سعد بن أبي وقاص والطبراني عن أم سلمة نحوه •

والله انه لعهد النبي الأمي أنه لا يجنبي إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق اه ♦
قلت : وأخرجه مسلم في كتاب الايمان من صحيحه ، وقد تواتر قوله
صلى الله عليه وآله وسلم : « من كنت مولاه فعلي مولاه ^(٨٩) اللهم وال من
والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وادر الحق معه حيث
دار » اه ♦

ومقامنا لا يسع استقصاء ما جاء في وجوب موالاته ولا يفي باستيفاء
ما دل على تحريم معاداته ، فنلفت الراغب في ذلك من اخواننا المسلمين الى
ما أودعناه في كتابنا سبيل المؤمنين ، فانه متكفل بالتفصيل متعهد باقامة
البرهان والدليل على أن هذا المقدار كاف لأولي الابصار ، واذا صح اجتهاد
معاوية في مقابل هذه الاحاديث الصحيحة وجاز تأوله في عرض تلك النصوص
الصريحة ، فتأول من يستفرغ وسعه في التعبد بالادلة ويستغرق جهده في العمل
بقواعد الملة أولى بالصحة وأحق بالجواز على أن أفعاله لم تكن الا لطلب
الملك ^(٩٠) وانتزاعه من أهله وعداوته لعلي انما هي ناشئة عن الاحقاد البدرية
والضغائن الجاهلية ♦

(٨٩) قد اعترف به صاحب الفتاوي الحامدية بتواتره وعده من المتواترات
في رسالته المختصرة الموسومة بالصلاة الفاخرة بالاحاديث المتواترة ، وكذلك
الحافظ السيوطي وغيره ♦

(٩٠) وقد صرح معاوية به يوم النخيلة حيث قال من جملة خطبه خطبها
يومئذ : والله اني ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا
وانما قاتلتكم لأتأمر عليكم ، وقد اعطاني الله ذلك واتهم كارهون ♦
رواه الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن سويد ، وقله اهل الاخبار
وكان عبدالرحمن بن شريك اذا حدث بذلك يقول: هذا والله التهمتك — فراجع
صفحة ١٦ من المجلد ٤ من شرح النهج الحديدي المطبوع في مصر ♦

وأما المتأولة من فقراء المسلمين ومساكين أهل الدين فإنه لا طمع لهم بملك ، ولا أمل لهم بسلطان ولا ثار لهم يطلبونه ولا غرض لهم سوى الحق يقصدونه ، وقد اقتفوا أثر البرهان واتبعوا أدلة أهل الايمان فان أصابوا فمأجورون وان أخطأوا فمعذورون . وهذا آخر ما أردناه في هذا الفصل فاحكموا أيها المنصفون بالعدل . والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى ورحمة الله وبركاته .

فصل

٩

فيمن أفتى بكفر الشيعة وتفصيل ما استدل به على ذلك ، والغرض استئصال بذور الشقاق بايضاح خطأ واجتثاث ارومة الافتراق ببيان اشتباهه ، حرصا على أن لا يُكَلَّ بضاعه ، واتقاء من تصديقه واتباعه ، وقد اقتصرنا من ذلك على ما وجدناه في باب الردة والتعزير من الفتاوي الحامدية وتنقيحها بامضاء الشيخ نوح الحنفي لاشتهار هذين الكتابين ورجوع من بأيديهم منصب الفتوى في المملكة المحروسة اليهما .

قال في جواب من سأل عن السبب في وجوب مقاتلة الشيعة وجواز قتلهم : أعلم أسعدك الله أن هؤلاء الكفرة والبغاة الفجرة جمعوا بين أصناف الكفر والبغي والعناد وأنواع الفسق والزندقة والالحاد ، ومن توقف في كفرهم والحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم فهو كافر مثلهم .

قال : وسبب وجوب قتالهم وجواز قتلهم البغي والكفر معا ، أما البغي فانهم خرجوا عن طاعة الامام خلد الله تعالى ملكه الى يوم القيامة ، وقد قال الله تعالى : « فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله » ، والامر للوجوب

فينبغي للمسلمين اذا دعاهم الامام الى قتال هؤلاء الباغين الملعونين على لسان سيد المرسلين أن لا يتأخروا عنه بل يجب عليهم أن يعينوه ويقاتلوهم معه .
قال : وأما الكفر فمن وجوه : منها أنهم يستخفون بالدين ويستهزئون بالشرع المبين ، ومنها أنهم يهينون العلم والعلماء ، ومنها أنهم يستحلون المحرمات ويهتكون الحرمات ، ومنها أنهم ينكرون خلافة الشيخين ويريدون أن يوقعوا في الدين الشين ، ومنها أنهم يطولون ألسنتهم على عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها ويتكلمون في حقها مالا يليق بشأنها (من أمر الافك) مع أن الله تعالى أنزل عدة آيات في براءتها (قال والله يعلم أنه كاذب فيما قال) فهم كفرون بتكذيب القرآن العظيم وسابون النبي ضمنا بنسبتهم الى أهل بيته هذا الامر العظيم ، ومنها أنهم يسبون الشيخين سود الله وجوههم في الدارين ... الى أن قال : فيجب قتل هؤلاء الاشرار الكفار تابوا أو لم يتوبوا ، ثم حكم باسترقاق نسائهم وذرائعهم اه .

قلت : هذا الذي لا تبرك الابل على مثله ، هذا الذي لا تقوم السماء والارض بحمله ، هذا الذي لا يتسنى للغيور أن يقيم في أرض ينشر فيه ، هذا الذي لا يستطيع الحمي أن يستظل بسماء تشرق شمسها على معتقديه ، هذا الذي ما أنزل الله به من سلطان ، هذا الذي يأباه الله ورسوله وكل ذي وجدان ، هذا هو الاختلاف الذي ليس بعده ائتلاف ، هذا هو الافتراق الذي ليس بعده اتفاق ، هذا هو المحاربة التي ليس بعدها مصاحبة . هذا والله الافك والبهتان ، هذا والله الظلم والعدوان .

بجدك قل لي هل درى صاحب الفتوى أي دماء من أهل الشهادتين سفكها ، وأي حرائر قاتلات هتكها ، وأي حرمت الله عز وجل انتهكها ، وأي

صبية من بني الاسلام سلبها ، وأي أموال مزيكات نهبها ، وأي ديار معمورة بالصلاة وتلاوة القرآن خربها ، وأي كبد لرسول الله بذلك فراها ، وأي عين لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بفتواه أقذاها ، وأي فتنة بين المسلمين أججها ، وأي حرب بينهم ألجمها واسرجها ، وأي شوكة لهم بذلك كسرهما ، وأي دولة لأعدائهم أعزها ونصرها ، وأي مخالفة لحكم الله ارتكبتها ، وأي أوزار بتكفيره للمسلمين احتقبتها (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ؟!

ولو درى الى أي غاية بلغ الشيعة في المحافظة على قوانين الدين ونواميس الشريعة ، أو علم الى أي أوج ارتقوا في الاحتياط بالاحكام ، أو الى أي حد انتهوا في التمسك بثقلي سيد الانام ، أو الى أي مرتبة اخذوا بالسنة السنية أو الى أي مقدار اقتدوا بالعترة الطاهرة الزكية ، لدعا بالويل والشبور وتمنى أن يكون قبل هذه البائقة من أهل القبور ♦

ظن الرجل انه قضى على الشيعة بعداوته ، وزعم أنه اسقطهم بافكه وبهتانه فطاش سهمه وظلت مطيته ، بل كان كالباحث عن حتفه بظلفه ، والجادع مارن أنفه بكفه ♦

أجل والله ما قضى إلا على مروءته ولا أسقط بأكاذيبه غير أماته ، وقد افتضح بين علماء العالم واتضح تحامله بالزور لدى فضلاء بني آدم ، وكان كمبغضي الانبياء إذ سطوروا الاساطير افتراء عليهم وأعداء الاوصياء ، إذ ملأوا الطوامير في نسبة الاباطيل اليهم ، فما أثر ذلك فيهم الا رفعة ، ولا ازدادات شرائعهم الا عزاً ومنعة « سنة الله قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » كان العزم على أن نربأ عن مناقشته ولا نلوث اليراع بمحاسنته لوضوح

افترائه وظهور ظلمه واعتدائه ، لكن اقتدينا بالكتاب الكريم والذكر الحكيم ،
إذ تصدى للرد على كل أفاك أثيم فقال جل وعلا : « وقالت اليهود يد الله
مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء »
الى غير ذلك مما كان في التنزيل من هذا القليل .

ذكر الرجل لوجوب قتال الشيعة وجواز قتلهم سببين (البغي والكفر)
وقد علم الله ورسوله وأولو الفضل من عباده أنه ظلم الشيعة بذلك وبغى
عليهم ، كما افك اعداء الانبياء إذ نسبوا السحر والجنون اليهم ،
ونحن نناشدكم الله أيها الناس متى كانت الشيعة غير خاضعة
للسلطان ، وفي أي جهة من مملكته المحروسة كان ذلك منهم ، وبما بغوا عليه؟
أرايتموه تأخروا عن أداء الخراج ، أو توقفوا عن دفع الضرائب والاعشار
والاعانات ، أو تخلفوا عن جهاد عدوه ، أو قصروا عن طليعة عساكره ، أو
تقهقروا عن مقدمة جنوده ، أو خانوه في خدمة ، أو كفروا له نعمة؟! كلا والله
ما كان ذلك منهم ولا هو جائز عندهم ، والناصب الكاذب يعلم براءتهم منه^(١)
ويقطع بانهم في غاية البعد عنه ، وانما أراد اغراء السلطان بهم وحمله على
الوقية فيهم حرصا على استئصالهم ومبالغة في ابادتهم واحتياطا على أن
لا يكون لهم نصيب من مراحم الدولة ولا حصة من عدل القانون ولا سهم
من انصاف الولاة ولا حظ من معاشرة العامة (ولا تحسبن الله غافلا عما

(١) يعلم الناصب وغيره أن الشيعة والسنة في الخضوع للسلطان وعدمه
على حد سواء ، لأن من كان منهما في مملكته فهو مطيع بحكم الوجدان
والعيان ، ومن كان من كلا الطائفتين في ممالك الاجانب فهو ممنوع عن طاعته
وأما شيعة ايران فكأهل السنة في مراکش وأفغان فأبي فرق بين الشيعة والسنة
في هذا الامر يا مسلمون؟

يعمل الظالمون) ♦

وأما قوله بكفرهم فانه قول من لا يخاف من الله سطوة ولا يخشى منه
نقمة ، قول لم يرجع فيه الى دين ولا عمل فيه بما تواتر عن سيد النبيين
والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم من الحكم بالاسلام ، على كل من أقام
الصلاة وآتى الزكاة وصام الشهر وحج البيت من أهل الشهادتين والايامن
باليوم الآخر ♦

وقد أوردنا في أوائل هذه الرسالة فصلا لبيان معنى الاسلام والايامن ،
وهو الفصل الثاني منها وأوردنا فيه وفي الفصول الثلاثة التي بعده طائفة من
الصحاح الحاكمة بما قلناه ، وتكلمنا هناك بما يجدر بالباحث المدقق أن يقف
عليه ، فالمرجو ممن وقف على هذا الفصل مراجعة تلك الفصول ، ليعلم أن
قواعد الشريعة تحكم بايمان الشيعة ، ويعرف ان الصحاح المتواترة تقضي
باحترامهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة ♦

وأما الوجوه التي اعتمد الناصب عليها في التكفير فانها من أوضح أفراد
الافك وافضح أنواع التزوير ♦

إفك لا يكون من صبي يرجى فلاحه ، وزور لا تأتي به أمة وكعاء إلا
أن تكون مدخولة العقل ، ونحن نذكر تلك الوجوه (وهي ستة) وتكلم في
كل منها بما يوجب العلم وتقضي به الامانة :

الوجه الاول

زعم أن الشيعة تستخف بالدين وتهزأ بالشرع المبين ، وهذا قول لا يخفى
زوره وإفك لا يمتلظ ظهوره ، فان الشيعة أحوط الناس على الدين وأعظمهم

تقديساً للشرع المبين ، وتلك كتبهم في الاصول والفروع والتفسير والحديث تشهد (وقد ملأت ما بين الخافقين) لهم بذلك ، على ان هذا الامر غني عن البرهان بعد أن كان شاهده الحس والوجدان •

وإذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا وليته دلنا على الموارد التي استخف بها الشيعة من معالم الدين ، أو أخبرنا عن المقامات التي استهزؤا فيها بالشرع المبين • أتراهم استخفوا بالخالق تبارك وتعالى فشبهوه بخلقه تارة ، وجوزوا عليه القبيح أخرى ، أم استخفوا بالانبياء والاوصياء ، فنسبوا اليهم صلوات الله عليهم ما يليق بالاثقياء ، أم استخفوا بمقام سيد البشر فقالوا انه والعياذ بالله هجر ؟! •

كلا والله انهم لأعظم تقديسا لله واكبر تنزيها لانبيائه واكثر تعظيما لخلفائه ، واحكم قواعد في الاصول وأشد احتياطا في الفروع وأكثر تثبتا في قبول الحديث واحرز للواقع في كل ما يرجع للدين ، وانا ألفت الباحث الى أصول الامامية وفروعهم ليعلم الحقيقة ، على أن من ساح في بلادهم ، وجاس خلال ديارهم ير مواظبتهم على الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الواجبات في جميع الاحوال رجالا ونساء كبارا وصغارا أحرارا ومماليك ، بحيث لا يتسامح في ذلك منهم إلا من سرى اليه الداء من معاشرة غيرهم ، ومن ترك فريضة من الصلوات الخمس أو أفطر يوما من شهر رمضان بلا عذر ، يعزر عندهم بخمس وعشرين سوطا فان أعاد عزر ثانيا فان أعاد قتل ، والاحوط تأخير إعدامه الى المرة الرابعة ، ولا يؤخر الى الخامسة (لو لم تكن الحدود معطلة) باجماعهم •

هذا في غير المنكر أما المنكر لوجوب الصلاة أو الصوم أو الزكاة أو

الخمس أو الحج أو غيرها من الضروريات ، كحرمة الزنى واللواط والسرقه وشرب الخمر والغيبة والفساد في الارض واشباهها أو الشاك في شىء من ذلك فانه يقتل بمجرد الانكار أو الشك ، وقد امتازوا بالاستنابة عن الميت في الصلاة والصوم كما يستنيون عنه في الحج ، وأوجبوا على وليه قضاء ما فاته من الصلاة والصوم في الجملة ، ولو علموا أن في ذمته زكاة أو خمسا أو مظالم أخرجوها من أصل ماله وان لم يوص بها كسائر الديون ، وهكذا احتياطهم في جميع العبادات والمعاملات والايقاعات وسائر الشرعيات ، فكيف يتسنى للناصب بعد هذا أن يرميهم بالاستخفاف بالدين والاستهزاء بالشرع المبين ، نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل ، وبه نستجير من بوائق العثرة وسوء الخطل ، انه أرحم الراحمين •

الوجه الثاني

أنهم يهينون العلم والعلماء، سألتكم أيها المنصفون بالحقيقة التي ضيعها المرجفون هل سمعتم أوحش من هذا العدوان ، أو بلغكم أفحش من هذا البهتان ، أو رأيتم أحق من هذا الدليل ، أو حدثتم بأسخف من هذا الوجه الساقط الرذيل ؟ أالشيعية يقال ذلك ؟! وهم الذين أسسوا العلوم ومهدوها وأحكموا المعارف وشيدوها وسبقوا بالتأليف فلم يلحقوا وعرجوا الى أوج الفضل فحلّقوا ، فما من علم من العلوم الدينية إلا وهم أصله وفرعه ، وما من فن من الفنون الاسلامية إلا وهم معدنه ^(١) .

(١) من ابتغى تفصيل هذه الجملة والوقوف على حقيقتها فعليه بكتاب « تأسيس الشيعة » لمؤلفه شيخ المسلمين ومن انتهت اليه النوبة في الاستواء

وما أدري بأي شيء أهانوا العلم والمعارف بالمدارس التي عمروها ،
 أم بالاوطن التي رغبة في العلم هجروها ، أم بالاعمار التي على التعلم قصرها
 أم بالافكار التي في خدمة العلم حصروها ، أم بالاموال التي في سبيله اتلفوها
 أم بالقرى التي على طلابه وقفوها ، أم بالقواعد التي أحكموها ، والاصول
 التي أبرموها ، والاحكام التي اقاموا دليلها ، والغاية التي أوضحوا للعالمين
 سبيلها ؟؟؟

وما أدري كيف رماهم باهانة العلماء مع شهادة البر والفاجر بأنهم أشد
 الناس للعلماء تعظيما ، وأعظم العالمين لهم تبجيلا ، لا يرجعون في الحوادث
 إلا اليهم ، ولا يعولون في أمور الدنيا والدين إلا عليهم .

نعم هناك من قضاة الرشوة وشيوخ الزور وعلماء السوء والمرجفين في
 المسلمين والناصبين للمؤمنين ، من لا يسمع المؤمن تعظيمه ولا تباح له مولاته ،
 فاهاتته بالاعراض عنه وعدم اخذ الدين منه واجبة باجماع المسلمين وحكم
 الضرورة من الدين ، على أنا ننقض على الناصب بنفسه إذ أهان بهذه الفتوى
 جميع علماء الشيعة وكافة حفاظ الغريعة ، بل أهان بقوله : « ومن توقف في
 كفرهم وإلحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم فهو كافر مثلهم » جميع من

على دست آبائه الطيبين الطاهرين الامام الشريف آية الله ابى محمد الحسن
 من آل شرف الدين المشهور بالسيد حسن الصدر الموسوي العاملي الكاظمي ،
 فانه متع الله المسلمين بشريف وجوده تتبع العلوم الدينية ذكراً واستقصى
 الفنون الاسلامية سبراً واستوفى البحث عن مؤسسيها واستقرأ الكلام في
 طبقات المصنفين فيها ، فأثبت بذلك للعيان واظهر بالحس والوجدان سبق
 الامامية الى جميع الفنون الاسلامية ، وقد اختصر هذا السفر الثمين في كتاب
 وسمه بكتاب « الشيعة وفنون الاسلام » وهو من الكتب المنتشرة بفضل
 مطبعة العرفان .

توقف في هذه المسألة من أهل السنة وجميع من حكم من علمائهم بإسلام الشيعة ممن سمعت كلامهم في الفصل المختص بما افتى به علماء السنة كما لا يخفى ، ومن وقف على حكم هذا الرجل بكفر من توقف في تكفير الشيعة بعد مراجعة ذلك الفصل وهو الفصل ٦ من الفصول المتقدمة علم انه قد كفر اماميه أبا حنيفة والاشعري وكفر الامام الشافعي وسفيان الثوري وابن ابي ليلى وداود بن علي والحسن البصري وسعيد بن المسيب وابن عيينة وابن سيرين والزهري وأبا طاهر القزويني والامام السبكي وأبا المحاسن الروياني والقدماء من علماء بغداد قاطبة ، وكفر ابن حزم الظاهري والشيخ الكبير ابن العربي والعارف الشعرائي وصاحب فتح التقدير والملا علي الحنفي وابن تيمية وابن عابدين والمعاصر النبهاني وغيرهم ، اذ حكموا جميعاً بإسلام كافة أهل الأركان الخمسة من الشيعة وغيرهم فان كانت أهانة العلماء كفراً فالناصب من أكفر العالمين ، اذ أهان بهذه الفتوى جميع أئمة المسلمين وكافة علماء الموحدين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم •

الوجه الثالث

انهم يستحلون المحرمات ويهتكون الحرمات ، بالله عليك هل يكون في صفاقة الوجه ، وصلابة الخد ، وعدم الحياء ، والجرأة على الافك أكثر من هذا ؟ نعوذ بالله من الخذلان وبه نستجير من سوء عواقب الظلم والعدوان • سلوا أيها المسلمون كتب الامامية متونها وشروحها قديمها وحديثها تخبركم - وصاحب البيت أدري بالذي فيه - أنهم أبعد الناس عن المحرمات

واحوط العالمين على الحرمات ، ألم يحكم فقهمم بالجلد والرجم معا على كل من المحصن اذا زنى ببالغة عاقلة والمحصنة اذا زنى بها البالغ وان لم يكن عاقلا ؟ ألم يقض بالقتل على مطلق من زنى بالمرأة مكرها لها وعلى كل من زنى بمحارمه النسبية وعلى الذمي اذا زنى بالمسلمة مطلقا ، ألم يوجب مائة جلدة للمحصن اذا زنى بطفلة أو مجنونة وللزانية اذا لم تكن محصنة أو كانت محصنة لكن الزاني بها طفل ، ألم يعلن فقهمم بأقامة الحد على الذكر الحر غير المحصن اذا زنى بضربه مائة جلدة وجز رأسه ونفيه سنة كاملة ، ألم يصرح بضرب المملوك والمملوكة البالغين العاقلين خمسين جلدة اذا زنى أحدهما مطلقا ، ألم يعضوا في حد من تحرر بعضه فأوجبوا له من حد الاحرار بقدر ما فيه من الحرية ومن حد العبيد بقدر العبودية ، ألم يوجبوا لمن زنى في زمان معظم أو مكان شريف عقوبة زائدة على الحد لهتكه حرمة الزمان أو المكان ، ألم يحكموا على مطلق الحر البالغ اذا لاط بالقتل بالسيف أو بالرجم أو بالقائه من شاهق أو بهدم جدار عليه ؟ وهل عرفت انه يجوز إحراقه عندهم ، وهل بلغك أن هذا الحكم ثابت للمحصن وغيره ، ألم يحكموا بالقتل كذلك على المفعول به ان كان بالغا عاقلا مختاراً ، ألم يوجبوا تعزير الصبي فاعلا أو قابلا وتأديب المجنون فاعلا أو مفعولا ، ألم يعلنوا بالحكم بمائة جلدة على كل من الفاعل والقابل مع البلوغ والعقل والاختيار اذا حصل منهما مجرد التفخيذ أو بين الاليتين دون الايقاب ؟ ؟ ؟ (١) •

ألم يصرحوا بالحكم بمائة جلدة على كل واحدة من المساحقتين ، ألم يحكموا بخمس وسبعين جلدة على القيادة وثمانين على كل من القذف وتناول

(١) من غير فرق بين المحصن وغيره وقيل يرحم المحصن •

المسكر ولو حشيشة ، ألم يحكموا على السارق أول مرة بقطع الأربع من أصابع يده اليمنى ، فلو سرق ثانياً قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ، وفي الثالثة يجبس ابداً ، وفي الرابعة يقتل ؟؟ الى غير ذلك مما لا يسع المقام تفصيله من جزاء المفسد في الارض والمردد عن الاسلام وبقية الحدود وسائر التعزيرات ومن أراد التفصيل فعليه بأبوابها من فقه الامامية وحديثهم ، وقد أنتشر منها ببركة الطبع في ايران وفضل المطابع في الهند ألوف ومئات مختصرات ومطولات ، فراجعها لتعلم حال الشيعة في انكار المنكرات واستعظام المحرمات ولهم في أهل الكبائر حكم قد امتازوا به ، وذلك أن صاحب الكبيرة مطلقا اذا أقاموا عليه الحد مرتين قتلوه في الثالثة ، وربما احتاطوا بتأخيرته الى الرابعة ولا قائل منهم بتأخيرته الى الخامسة . هذا في غير المستحل أما المستحل فيقتل عندهم بمجرد الاستحلال .

ناشدتكم الله رب العالمين ، هل يجوز ديناً أم يسوغ مروءة ان ترمى الشيعة بعد هذا كله بأستحلال المحرمات وهتك الحرمات ؟ ! وليت الظالم دلنا على محرم أباحوه أو ارشدنا الى حرمة من حرمات الدين هتكوها . هيهات هيهات ، انهم أبر من أن يكون ذلك منهم وأجل من أن يؤثر شيء مما هو دونه عنهم ، وانما وصفهم الناصب بصفاته وألزمهم بذنوبه وموبقاته ، اذا أستحل بهذه الفتوى أنواعا من المحرمات وأستباح أقساما من الحرمات ، أستحل الكذب والبهتان ، أستحل الظلم والعدوان ، أستحل تكفير المؤمنين ، أستحل ايقاد الحرب بين المسلمين ، أستحل قتل المشيعة وهم ركن الاسلام ، أستحل نهب مالهم وهو الحرام ، أستحل سبي المسلمات الثقافات ، أستحل اطفال المسلمين وهتك الحرمات ، وقد أباد بهذه الفتوى من مؤمني حلب أربعين ألفاً

أو يزيدون وانتهبت اموالهم واخرج الباقون منهم من ديارهم الى نبل والنغولة وأم العمد والدلبوز والفوعة وقراها ، وهاجم الامير ملحم بن الامير حيدر « بسبب هذه الفتوى » جبل عامل سنة ١١٤٧ فأتتهك الحرمات واستباح الحرمات « يوم وقعة انصار » وقتل وسلب وخرّب ونهب واسر الفأ وأربع مائة من المؤمنين فلم يرجعوا حتى هلك في الكنيف ببيروت ، الى غير ذلك مما كان بسبب هذه الفتوى من الفظائع والفجائع • على أنها في ذاتها بائقة الدهر وفارقة الظهر ، الحكم لله والمصير اليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل •

الوجه الرابع

انهم ينكرون خلافة الشيخين ، ويريدون أن يوقعوا في الدين الشين (١) والجواب انه لا ينكر أستخلاف الشيخين رضى الله عنهما ذو شعور ، ولا يرتاب فيه ذو وجدان ، وقد أمتدت امارتهما من سنة ١١ الى سنة ٢٣ وفتحت بها الفتوحات وضرب الدين فيها بجرائه ، على أن خلافتهما من الشؤون السياسية التي خرجت بانقضائها وتصرمها عن محل الابتلاء ، فأى وجه لتنافر المسلمين اليوم بسببها وأى ثمرة عملية تترتب فعلا على الاعتقاد بها •

فهللوا يا قومنا للنظر في سياستنا الحاضرة وعرجوا عما كان من شؤون السياسة الغابرة ، فان الاحوال حرجة والمآزق ضيقة لا يناسبها نبش الدفائن ولا يليق بها اثارة الضغائن ، وقد آن للمسلمين ان يلتفتوا الى ما حل بهم من هذه المنابذات والمشاغبات التي غادرتهم طعمة الوحوش وفرائس الحشرات •

(١) لم يأت بهذه الفقرة « أعني قوله ويريدون أن يوقعوا في الدين الشين » الا لمجرد السجع والا فقد عرفت انهم احوط الناس على الدين •

وأي وجه لتكفير المسلمين بأفكار سياسة خالية وخلافة ماضية ؟ قد أجمع أهل القبلية على انها ليست من اصول الدين ، وتصافقوا على أنها ليست مما بني الاسلام عليه ، ونحن نظرنا فيما صح عند أهل السنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تفسير معنى الاسلام والايمان فلم نجد (٢) مقيدا بها ، وتتبعنا الامور التي جعلها صلى الله عليه وآله وسلم سببا في احترام الدماء والاعراض والاموال فلم تكن (٣) من جملتها ، واستقرأنا من نصوصه شرائط دخول الجنة فلم نجدها (٤) في زمرتها ، فأبي مانع بعد هذا من جريان الاجتهاد فيها ، وأي دليل على كفر المتأولين من منكريها ،

فإن القوم لم تكن بينهم وبين الحق عداوة وانما قادتهم الادلة الشرعية الى القطع بأشترط أمور في القائم مقام رسول الله صلى الله عليه وآله والمستوي على مرقاة الخلافة عنه ، كعدم سبق الكفر منه على الايمان وكعصمته والعهد اليه وعدم كونه مفضولا ، واستدلوا على هذه الشروط بأدلة من الكتاب والسنة والعقل كثيرة لا يسع المقام بيانها ، وقد أستقصيناها في كتابنا «سبيل المؤمنين» •

وهبها شبهها كما تقول لكنها توجب العذر لمن غلبت عليه لأنها من الكتاب والسنة ، وقد الجأت الى القطع بما صار اليه ، فإن كان مصيباً والا فقد أجمع المسلمون على معذرة من تأول في غير أصول الدين وان اخطأ كما سمعته في فصل المتأولين •

على أنه لا وجه للتكفير بأنكارها حتى لو فرضنا أنها من اصول الدين

(٢) راجع الفصل ٢ المعقود لبيان معنى الاسلام من هذه الرسالة •

(٣) راجع الفصل ٣ المختص باحترام الموحدين من هذه الرسالة •

(٤) راجع الفصل ٥ المتعلق بنجاة الموحدين من هذه الرسالة •

عندهم ، لأنها ليست من الضروريات التي يرجع انكارها الى تكذيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا هي في نظر منكريهما من الامور التي قد أعتقد الاجماع عليها ، وقد سبقوا بشبهة من الكتاب والسنة تمنعهم من الاعتقاد بها ، ألا ترى أن الشيعة لم تكفر أهل السنة بأنكارها إمامة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام مع أن امامتهم من اصول الدين على رأي الشيعة ، وكذلك العدلية من الشيعة والمعتزلة لم تكفر طائفة الاشاعرة بأنكارها العدل مع أنه من الاصول عندهم ايضاً •

وقد تأول في انكار هذه الخلافة سعد بن عباد وحباب بن المنذر الانصاريان وتخلف عنها جماعة وأكره عليها آخرون كما ذكرناه في فصل المتأولين ، فلم يكفر أحد من أولئك بما كان منه ولا فسق بما تواتر من القول والفعل عنه ، فكيف يكفر هؤلاء وحكم الله واحد يا أيها المنصفون ؟ على أن الاحاديث المتواترة من طريق العترة الطاهرة والصحيح الوافرة من طريق اهل السنة ، ألجأت هؤلاء الى القطع بعهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى علي من بعده ، فدانوا بما رأوا أنه الحق من دين الاسلام ، فهم معذورون بل مأجورون ان اصابوا بذلك وان اخطأوا بالاجماع •

قال ابن حزم حيث تكلم فيمن يكفر ولا يكفر في صفحة ٢٤٧ من الجزء الثالث من فصله ما هذا نصه : وذهبت طائفة الى انه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا ، وان كل من أجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى انه الحق فإنه مأجور على كل حال ، ان أصاب فأجران وان اخطأ فأجر واحد •

قال : وهذا قول ابن أبي ليلى وأبي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري

وداود بن علي ، وهو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة (رض) لا نعلم منهم خلافاً في ذلك أصلاً .

قلت : اجماع الصحابة وهؤلاء الأئمة يقطع دابر المشايخين وينقض اساس المجازفين ، ضرورة أن القائلين بخلافة علي والمنكرين لغيره لم يقولوا هذا القول ولم يعتقدوا هذا الامر الا بعد الاجتهاد التام واستفراغ الوسع والطاقة وبذل الجهد في الاستنباط من الكتاب والسنة ، ولقد عز عليهم فراق أخوانهم من اهل السنة في هذه المسألة ، وقاسوا في سبيلها من أنواع البلى واقسام المحن والرزايا ما قد علمه جميع الناس ، ولكن ما يصنعون فيما يرونه الحق ويقطعون بأنه عين الصواب ، وقد صرح بمعذرتهم وكونهم مأجورين جماعة من أفاضل المعاصرين كالعلامة القاسمي الدمشقي حيث قال في ميزان الجرح والتعديل بعد ذكر الشيعة واحتجاج مسلم بهم في صحيحه ما هذا لفظه : لأن مجتهدي كل فرقة من فرق الاسلام مأجورون أصابوا أم أخطأوا بنص الحديث النبوي اهـ

قلت : ومن راجع من هذه الرسالة الفصل المشتتل على فتاوى علماء السنة يجدهم مجمعين على ذلك ، ومن سبر فصل المتأولين لا يرتاب فيه . والحمد لله رب العالمين .

الوجه الخامس

أنهم يطولون ألسنتهم على عائشة الصديقة رضي الله عنها ويتكلمون في حقها من أمر الافك والعياذ بالله ما لا يليق بشأنها . . . الى آخر إفكه وبهتانه . والجواب أنها عند الامامية وفي نفس الامر والواقع أقي جيباً واطهر ثوباً

وأعلى نفساً وأعلى عرضاً وأمنع صوناً وأرفع جناباً وأعز خدراً واسمى مقاماً من أن يجوز عليها غير النزاهة أو يمكن في حقها إلا العفة والصيانة ، وكتب الإمامية قديمها وحديثها شاهد عدل بما أقول ، على أن أصولهم في عصمة الأنبياء تحيل ما بهتها به أهل الافك بتاتا ، وقواعدهم تسع وقوعه عقلاً ، ولذا صرح فقيه الطائفة وثقتها استأذننا المقدس الشيخ محمد طه النجفي أعلا الله مقامه وهو على منبر الدرس بوجوب عصمتها من مضمون الافك عملاً بما يستقل بحكمه العقل من وجوب نزاهة الأنبياء عن أقل عائبة ولزوم طهارة اعراضهم عن أدنى وصمة ، فنحن والله لا نحتاج في براءتها الى دليل ولا نجوز عليها ولا على غيرها من أزواج الأنبياء والأوصياء كل ما كان من هذا القبيل .

قال سيدنا الإمام الشريف المرتضى علم الهدى في المجلس ٣٨ من الجزء الثاني من أماليه رداً على من نسب الخنا الى امرأة نوح ما هذا لفظه : ان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجب عقلاً ان ينزهوا عن مثل هذه الحال لأنها تعر وتشين وتغض من القدر ، وقد جنب الله تعالى أنبياء عليهم الصلاة والسلام ما هو دون ذلك تعظيماً لهم وتوقيراً ونفياً لكل ما ينفر عن القبول منهم . . . الى آخر كلامه الدال وجوب نزاهة امرأة نوح وامرأة لوط من الخنا ، وعلى ذلك اجماع مفسري الشيعة ومتكلميهم وسائر علمائهم .

نعم نتقدم من أفعال أم المؤمنين خروجها من بيتها بعد قوله تعالى «وقرن في بيوتكن» ، وركوبها الجمل بعد تحذيرها من ذلك ومجيئها الى البصرة تقود جيشاً عرمرماً تطلب على زعمها بدم عثمان ، وهي التي أمالت حرفه وألبت عليه وقالت فيه ما قالت ، ونلومها على أفعالها في البصرة يوم الجمل الاصغر مع عثمان ابن حنيف وحكيم بن جبلة ، ونستنكر أعمالها يوم الجمل الاكبر مع

أمير المؤمنين ويوم البغل حيث ظنت أن بني هاشم يريدون دفن الحسن المجتبي عند جده (ص) فكان ما كان منها ومن مروان ، بل نعتب عليها في سائر سيرتها مع سائر أهل البيت عليهم السلام ، والناسب الكاذب بلغ في عداوة الشيعة الى حد لا يبلغه مسلم وتجشم في بغضائهم مسلكا لا يسلكه موحد ، اذ وصم الاسلام واهله بما أفتراه في هذا الوجه على الشيعة وهم نصف المسلمين وصمة أقر بها عيون الكافرين وفرى بها مرائر الموحدين وظلم بها أم المؤمنين وجميع المسلمين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

أنهم يسبون الشيخين رضي الله تعالى عنهما .
والجواب أن البحث يقع هنا في كل من صغرى هذا الوجه وكبراه ،
وبعبارة أخرى هي اوضح يقع البحث في مقامين :
« المقام الاول » في أنهم هل يسبون أو لا يسبون ؟ .
« والثاني » في أنه هل يكفر الساب (والعياذ بالله) أولا يكفر ، وقد رأيت البحث في المقام الاول عبثا صرفا ولغوا محضا ، اذ لا يمكن إذعان الخصم ببراءة الشيعة من هذا الامر ، ولو حلفنا له برب الكعبة ، بل لا يلتفت الى ثبوت براءتهم ولو جئناه بكل آية ، والامامية طالما اذنت فلم يسمع أذانها وشد ما أعلنت فلم يصنع لاعلانها ، فسد هذا الباب أقرب الى الصواب وأولى بأولي الالباب ولا حول ولا قوة الا بالله .

وأما المقام الثاني فالحق فيه عدم الكفر ، ولنا على ذلك أدلة قاطعة وبراهين

ساطعة نذكر منها ستة ثم نوكل الحكم بعدها لرأي المنصفين :

« الاول » الاصل مع عدم ما يدل على الكفر من عقل أو نقل أو اجماع .

« الثاني » أنا تتبعنا سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فما رأيناه

يكفر احدا بشتم واحد من أصحابه رضى الله عنهم ، وكان الصحابة يتنازعون

ويتشائمون على عهده فلم يؤثر عنه تكفير أحد منهم بسبب ذلك ، حتى تشاتموا

مرة أمامه وتضاربوا بالنعال (كما رواه البخاري عنهم في أول كتاب الصلح من

صحيحة وأخرجه مسلم في آخر باب دعاء النبي الى الله من كتاب الجهاد من

صحيحه) وتقاتل الاوس والخزرج مرة على عهده صلى الله عليه وآله وسلم ،

وأخذوا السلاح واصطفوا للقتال كما في آخر صفحة ١٠٧ من الجزء الثاني من

السيرة الحلبية وكذا في السيرة الدحلانية وغيرها ، فأصلح بينهم رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم ولم يكفر بذلك أحداً منهم ، وموارد اختلافهم وتشاتمهم

بل تقاتلهم وتحاربهم مسطورة في كتب الحديث والخبار . فهل بلغكم تكفير

النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأحدهم بهذا السبب ، أم هل سمعتم ذلك عن

أحد الصحابة رضي الله عنهم ؟ ؟ وإذا كان القوم ثم يشتوا لأنفسهم هذه المنزلة

فكيف أثبتها لهم المجازفون ؟

« الثالث » ما سمعته في الفصول الثلاثة المنعقدة لبيان معنى الايمان

واحترام الموحدين ونجاتهم من الاحاديث الصحيحة والنصوص المتواترة

الصريحة ، فراجعها لتعلم حكمها على مطلق أهل الاركان الخمسة بالايمان

والاحترام ودخول الجنة ولا يخفى على كل من لحظها بطرفه أو رمقها ببصره أو

سمع بيانها أو عرف لسانها أمتناع تقييدها واستحالة تخصيصها ، ولذا أجمع

المسلمون على عدم تخصيصها بما أخرجه مسلم في أوائل صحيحه من الاحاديث

الظاهرة بكفر التارك للصلاة من المسلمين والمقاتل منهم للمسلم والعبد الآبق والنائحة على الميت والطاعن في النسب ، بل قالوا ان الغرض من هذه الصحاح وأمثالها انما هو تغليظ الحرمة وتفظيع المعصية لا الكفر الحقيقي ، فلتكن الاخبار المتعلقة في السب مثلاً على فرض صحتها نظير هذه الصحاح ، ويوضح لك ما نقول اجماع الخلف والسلف من أهل السنة على أن من مات موحد أدخل الجنة ولو عمل من المعاصي ما عمل ، كما ستسمعه عن الفاضل النووي قريباً ان شاء الله تعالى .

« الرابع » ما أورده القاضي عياض في الباب الاول من القسم الرابع من كتاب الشفا ، أن رجلاً من المسلمين سب أباً بكر بمحضر منه رضي الله عنه فقال ابو برزة الاسلمي : خليفة رسول الله دعني أضرب عنقه . فقال : أجلس ليس ذلك لأحد الا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اه . وأخرجه الامام أحمد من حديث أبي بكر في صفحة ٩ من الجزء الاول من مسنده .

بالله عليك اذا كان هذا حكم الصديق فيمن واجهه بالسب وهذه فتواه فيمن تسور على مقامه بالشتيم فمن أين نحكم بعده بالتكفير ، وكيف تقضى بوجوب القتل أو نقتي بجواز التعزير ؟ ونحن أعرف منه بالاحكام أم أحرص على اقامة الحدود ؟ كلا ! بل لو ارتد ذلك الساب لاقام عليه حد المرتدين ، ولو كفر بها لرتب عليه آثار الكافرين ، وحاشا أباً بكر من تعطيل حدود الله أو تبديل أحكامه عز وجل .

وقد أقتدى به في ذلك الصالحون ، ونسج على منواله المتورعون كعمر بن عبد العزيز حيث كتب اليه عامله بالكوفة يستشيريه في قتل رجل سب عمر بن الخطاب (رض) فكتب اليه كما في الباب المتقدم ذكره من الشفا : لا يحل قتل

امرىء مسلم بسب أحد من الناس ، الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن سبه فقد حل دمه •

وأخرج محمد بن سعد في أحوال عمر بن عبد العزيز في صفحة ٢٧٩ من الجزء الخامس من طبقاته بسنده الى سهيل بن أبي صالح قال : ان عمر بن عبد العزيز قال : لا يقتل أحد في سب أحد الا في سب نبي - وأخرج احمد من حديث أبي هريرة في صفحة ٤٣٦ من الجزء الثاني من مسنده أن رجلا شتم أبا بكر والنبي (ص) جالس ، فجعل النبي (ص) يعجب ويتبسّم • • • الحديث « الخامس » اجماع فقهاءهم على أن مجرد السب لا يوجب الكفر ، وقد نقله من علماء السنة خلق كثير فمنهم فقيه الحنفية في عصره (الامين) ابن عابدين ، حيث جزم في كتابيه رد المختار وتنبيه الولاة بعدم كفر المتأولين في هذه المسألة ، وصرح في كليهما بأن القول بكفرهم مخالف لاجماع الفقهاء مناقض لما في متونهم وشروحهم ، فراجع من رد المختار صفحة ٣٠٢ من جزئها الثالث في باب المرتد لتعلم الحقيقة •

ومنهم صاحب الاختيار حيث قال - كما نص عليه ابن عابدين فيما أشرنا اليه من رد المختار - : أنفق الأئمة على تضليل أهل البدع أجمع وتخطئتهم وسب أحد من الصحابة وبغضه لا يكون كفرا لكن يضل اه •
ومنهم ابن المنذر حيث صرح - كما في رد المختار ايضاً - بما يقتضي نقل اجماع الفقهاء على عدم تكفير الخوارج ، وان أستحلوا دماء المسلمين وأموالهم وكفروا الصحابة رضى الله عنهم (١) •

(١) اذا كان هؤلاء مسلمين ، وقد مرقوا من الدين وأستحلوا ما حرم الله من دماء المسلمين فالامر في غيرهم سهل يسير ، وهذا الاجماع دال على ما هو أعم من المطلوب مثبت لما هو أعظم من المقصود كما لا يخفى •

ومنهم صاحب فتح القدير حيث قطع بعدم كفر أحد من أهل البدع ،
وان خالف ببدعته دليلاً قطعياً كالخوارج الذين يكفرون الصحابة ويسبونهم
مثلاً ، وذكر أن ما وقع في كلام أهل المذهب من تكفيرهم ليس من كلام الفقهاء
الذين هم المجتهدون وانما هو من كلام غيرهم ، قال : ولا عبرة بغير الفقهاء والمنقول
عن الفقهاء ما ذكرناه اهـ .

ومنهم ابن حجر حيث قال كما في خاتمة الصواعق ، فمذهبنا (فيمن
يسب) أنه لا يكفر بذلك اهـ .

ومنهم الشيخ ابو طاهر القزويني في كتابه سراج العقول حيث نقل القول
بعدم كفر أحد من أهل الاركان الخمسة من الروافض وغيرهم عن جمهور
العلماء والخلفاء من أيام الصحابة الى زمنه ، فراجع ما نقلناه عنه في الفصل
المعقود لفتاوى علماء السنة .

ومنهم العارف الشعرائي حيث قال في آخر المبحث ٥٨ من يواقيته ما هذا
لفظه : فقد علمت يا أخي أن جميع العلماء المتدينين أمسكوا عن القول بالتكفير
لأحد من أهل القبلة اهـ .

وقد أرسل ابن حزم عدم الكفر أرسال المسلمات ، فقال في صفحة ٢٥٧
من أواخر الجزء الثالث من فصله ما هذا لفظه : وأما من سب أحداً من الصحابة
فإن كان جاهلاً فمعذور وان قامت عليه الحجة فتمادى غير معاند فهو فاسق
كمن زنى أو سرق ، وان عاند الله تعالى ورسوله في ذلك فهو كافر . قال :
وقد قال عمر بحضرة النبي (ص) عن حاطب « وحاطب مهاجري بدر » : دعني
أضرب عنق هذا المنافق ، فما كان عمر بتكفيره حاطباً كافراً ، بل كان مخطئاً
متأولاً اهـ .

قلت : وحسبك في عدم كفر الموحدين بمجرد هذا ما هو معلوم بحكم
البداهة الاولى من أجماع اهل السنة على ان مطلق الموحدين يدخلون الجنة
على كل حال . قال الفاضل النووي « في باب الدليل على ان من مات على
التوحيد دخل الجنة قطعاً من شرح الصحيح » : وأعلم ان مذهب اهل السنة
وما عليه أهل الحق من الخلف والسلف أن من مات موحداً دخل الجنة
قطعاً . . . الى أن قال : فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل
من المعاصي ما عمل اه .

« السادس » أنه لا يفتى بالتكفير عندهم الا ان يكون الموجب للكفر
مجمعا على ايجابه ، لذلك قال في شرح تنوير الابصار : وأعلم انه لا يفتى
بكفر مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان في كفره خلاف ولو
كان ذلك رواية ضعيفة اه .

وقال الخير الرملي كما في صفحة ٣٩٨ من الجزء الثالث من رد المحتار :
ولو كانت « تلك الرواية » لغير أهل مذهبنا ، وأستدل على ذلك بأشترط
كون ما يوجب الكفر مجمعا على ايجابه لذلك .

قلت : اذا كان التكفير مشروطا بهذا فكيف يفتي بالكفر في مسائلتنا
مع ما سمعت من أنعقاد الاجماع على عدم الكفر فيها ؟ ولو أنكر الخصم ذلك
الاجماع فحسبه وجود القائل بعدم التكفير ، فإنه مما لا يمكن انكاره كما
لا يخفى . وقد أغرب الناصب اذ حكم بعدم قبول توبته مع أجماعهم على قبول
توبة من يسب الله عز وجل (٢) .

(٢) نسجوا في هذه الفتوى على منوال اليهود اذ اجمعت أibarهم على
ان من شتم الله تعالى يؤدب ومن شتم الابار يقتل ، وقد أنكر ذلك عليهم ابن
جزم اذ نقله عنهم في صفحة ٢٢١ من الجزء الاول من فصله قبل أنتهاء الجزء

فهل هذا الا تحامل قبيح وظلم صريح ، وجرأة على الله عز وجل في تبديل أحكامه واستخفاف فيما شرع الله سبحانه من حلاله وحرامه ، وما أراه الا مدفوعا على هذه الفتوى من ملوك الجور تحسیناً لافعالهم أو مستأجرا عليها من ولاية الجنف تصحيحا لاعمالهم ♦

ولا غرو فإن علماء السوء وقضاة الرشوة يبدلون أحكام الله بالتافه ويبيعون الامة بالنزر القليل ♦

فقاتل الله الحرص على الدنيا ، وقبح الله التهالك على الخسائس ، ما أشد ضررها وما أقطع خطرهما ، نبذ أولئك الدجالون حكم الله وراء ظهورهم طمعا في الوظائف ، وحكموا بما تقتضيه سياسة ملوكهم رغبة في المناصب ، وأرجفوا في المؤمنين وفرقوا كلمة المسلمين ، ولولاهم لتعارفت الارواح وائتلفت القلوب وامتزجت النفوس واتحدت العزائم ، فلم يطمع بالمسلمين طامع ولم يرمقهم من النواظر الا بصر خاشع ، ولكن وأأسفاه استحوذ عليهم أولئك المفسدون الذين ينحرون دين الله في سبيل الوظائف ويضحون عباده في طلب القضاء والافتاء ، فتناكرت بفتاويهم وجوه المسلمين وتباينت بأراجيفهم رغائب الموحدين ، حتى كان من تفرق آرائهم وتضارب اهوائهم ما تصاعدت به الزفرات وفاضت منه العبرات ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ♦

بورقتين ، ثم قال : فأعجبوا لهذا واعلموا أنهم ملحدون لا دين لهم اه — قلت : وهب ان الرافضي كافر فقد نشأ على مذهبه وتدين به من قبل البلوغ فلم لا تقبل توبته كما تقبل توبة المجوس والصابئة يا منصفون ♦

فصل

- ١٠ -

في الإشارة الى سير مما نسبته الكذابون الى الشيعة وبيان براءتهم منه ، والغرض من ذلك استئصال شأفة التنافر واقتلاع بذرة التدابر وأزالة كل عثرة في طريق الاجتماع ودك كل عقبة في سبيل الوئام ، وقبل الشروع في المقصود تقدم جملة لا تتم بدونها الفائدة ، حاصلها : أن في أهل السنة من رمى الامامية بدواهي وفواقر قد علم اليوم بفضل المطابع وبركة أنتشار الكتب وتقلص العصبيات وبزوغ الحقائق أنهم في غاية العبد عنها وتمام التقديس منها ، والرامون لهم بها على أربعة اقسام :

« القسم الاول » طائفة من العلماء حملهم على ذلك مجرد التزلف الى ملوك بني أمية وسلاطين بني العباس ، اذ كانت الشيعة بعد صفين والطف أعداء السياسة الاموية وأضداد الدولة العباسية ، يجتهدون في رفضها ويعملون على تقضها ، ففتكت بهم الحكام وقتلتهم تحت كل حجر ومدر ، ووازرهم على ذلك القراء المراءون والعلماء الدجالون ، فبلغوا في تسويد صحائف الشيعة كل مبلغ ، وألصقوا بهم كل عائبة ، تهجينا لمذهبهم وتقبيحا لمشربهم وتصحيحا لما كان يرتكبه بنو أمية من تقبيل أبنائهم واستحياء نسائهم ، وكانوا ينتظرون الفرج بسقوط الدولة الاموية ، فلما ملك بنو العباس نسجوا معهم على ذلك المنوال وعملوا مع أئمة أهل البيت افطع الاعمال ، حتى قضى (الكاظم) في سجونهم وتجرع (الرضا) كأس السم من يد مأمونهم ، وكربوا قبر الحسين عليه السلام ، وأبادوا نسل محمد صلى الله عليه وآله ، فعاد على شيعة أهل البيت ذلك البلاء وحملت بهم من ولادة الدولة العباسية وعلمائها تلك اللاواء ،

الولاية تفنيهم بسهامها وعلماء التزلف ترميهم بأقلامها ♦♦ بيد أن ظلم السيف لم يبق وظلم القلم مسجل ما بقيت كتب الضلال ، فالعاقل المثبت لا يصدق في حق الشيعة علماء تلك الدولتين ، ولا يعتنى بما كان في أيامهما من الارجيف فأنها أكاذيب أوجبتها سياسة الملك واقتضتها قواعد المظالمين ♦

« القسم الثاني » طائفة من العلماء حملهم على ذلك مجرد الخوف من ميل الناس الى الشيعة ، ومحض الحذر من أتباع سائر المسلمين لطريقتهم ، وكأنهم قد أستباحوا بذلك تنفير الناس عنهم بكل طريق ، فقالوا ما قالوا ونالوا ما نالوا ، على علم منهم بأن الامامية منزهون عما افتروه عليهم مقدسون عما نسبوه اليهم ، الا في مسألة واحدة تتعلق بمباحث الامامة والسياسة لا تتحاشى منها ، وهي على قواعد الخصم اهتماماً زائداً لو أنصفوا لانها ليست من الاصول عندهم كما لا يخفى ♦

« القسم الثالث » طائفة قد التبس الامر عليهم ، لان اسم الشيعة غير خاص بالامامية بل مشترك بينها وبين فرق كثيرة ، كالأغا خانية والكيسانية والناوسية والخطابية والقطعية والواقفية وغيرها ، فربما وجدوا أقوالاً منكراً ومذاهب مكفرة لاحدى تلك الفرق الضالة التي يطلق عليها لفظ الشيعة فظنوا أنه مذهب الجميع ، فأرسلوه عنهم أرسال المسلمات ، وأعانهم على ذلك وغر في صدورهم وغيظ في نفوسهم ، يمنعانهم عن التثبت في النقل ♦

ولله ورع الامامية وتثبتهم اذ يرون الكرامية وهم طائفة من أهل السنة يذهبون الى أن الله سبحانه وتعالى مستقر على العرش أستقراراً على الارض ، ويجدون آخرين يقولون بأنه تعالى بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة ، ويلفون الحائطية والحديثية (وهما فرقتان من المعتزلة) يقولون

بحلول الله عز وجل في بعض الانبياء مقالة النصارى في ابن مريم عليهما السلام نص على ذلك الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ، ومع ذلك لم ينسبوا القولين الاولين الى مطلق أهل السنة ، ولا ألحقوا المقالة الاخيرة بمطلق المعتزلة ، وانما نسبوا تلك الاقوال الى أربابها وقصروها على أصحابها ، فلم ينسب غيرهم مقالة الخطائية والناووسية مثلا الى مطلق الشيعة يا منصفون •

« القسم الرابع » جماعة قد أعتمدوا في نقل تلك الدواهي والطامات عن الشيعة على من تقدمهم من علماء سلفهم ، اذ رأوهم ينقلون شيئا فنقلوه ووجدوا أثرا فأتبعوه ، ولو رجعوا في معرفة أقوال الامامية الى علمائهم وأخذوا مذهبهم في الاصول والفروع من مؤلفاتهم ، لكان أقرب الى التثبت والورع • وما أدري كيف نبذوا في هذا المقام كتب الامامية على كثرتها وانتشارها وأعتمدوا على نقل أعدائهم المرجفين وخصمائهم المجازفين الذين تحكموا في تضليلهم ، وسلقوهم بالسنة الافتراء وهذا عصر لا يصغى فيه الى من يرسل نقله أرسال الكذابين ، أو يطلق كلامه اطلاق الموهين ، حتى يرشدنا الى المأخذ ويدلنا على المستند ، وقد طبع في أماكن من فارس والهند ألوف من مصنفات أصحابنا في الفقه والحديث والكلام والعقائد والتفسير والاصول والاوراد والاذكار والسلوك والاخلاق ، فليطلبها من أراد الاستبصار ولا يعول على كتب المهولين الذين بثوا روح البغضاء في جسم المسلمين ، ونقلوا عن الشيعة كل إفك مبین ، واليك منه ما عقد الفصل لذكره •

قال ابن حزم الظاهري في صفحة ١٨٢ من الجزء الرابع من الفصل ما هذا نصه : ومن الامامية من يجيز نكاح تسع نسوة ، ومنهم من يحرم الكرنب

(وهو نوع من السلق يشبه القنيط) لانه انما نبت على دم الحسين (١) ولم يكن قبل ذلك .

قلت : أما نكاح ما زاد على الاربع فأجماع الامامية قاطبة نصا وفتوى على حرمة ، وهذا الحكم من ضروريات مذهبهم بحيث لا يشتبه فيه أحد منهم ، وأما الكرب فليس له في كلام الامامية عنوان مخصوص وحكمه عندهم حكم الخس والفجل واللفت وأشباهاها ، وأنا أنشدكم أيها الباحثون بعزة الحقيقة وناموس العدل وشرف الانصاف أن تستقصوا فقه الامامية وأصولهم وتستقرئوا حديثهم وتفسيرهم وتصفحوا قديم كتبهم وحديثها مختصرها ومطولها متونها وشروحها ، فإن وجدتم أثرا لما قال فالشيعة ليست على شيء من الحق ، والا فابن حزم وأمثاله من أكذب الخلق ، وقد أرجف بالامامية في غير هذا المقام من فصله ارجافا لا يصدر من ذي دين ، وكذب عليهم أكاذيب لا تكون من ذي يقين ، وظلمهم ظلما لا يقدم عليه مؤمن بالمعاد ، وبهتهم بهتان من لا يخشى الله ولا يستحي من العباد . ونحن بسبب أنتشار كتب الامامية في غنى عن التصدي لتزييف أقاويله وتكذيب أباطيله ، على ان الرجل لم يقتصر في ظلمه على الشيعة خاصة بل ظلم أئمة اهل السنة وبهت علماء المعتزلة وكفر كثيرا من السلف ولم يكد أحد يسلم من لسانه حتى قال ابن العريف كما في ترجمة علي بن احمد بن حزم من الوفيات : كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين .

وحسبك ما نقله في شنع المرجئة عن الامام الاشعري وأصحابه ، من أن

(١) الامامية أجل من أن تعول في أحكام الله على الخرافات الباردة والترهات المسخنة كهذه الحكاية وأمثالها .

اعلان الكفر باللسان وعبادة الاصنام والاوثان بلا تقية ولا عذر لا ينافيان مقام
الولاية لله عز وجل ، فراجع صفحة ٢٠٤ من الجزء ٤ من الفصل ٠ ونقل في
الصفحة الاولى من الجزء ٤ أيضا عن الباقلاني القول بجواز كل فسق وكفر
على الانبياء ، حاشا الكذب في البلاغ ٠ ونقل في صفحة ٢٠٥ من الجزء ٤
ايضا عن بعض الاشاعرة القول بجواز الكذب في البلاغ على الانبياء ٠ ونقل
عن السمناني وهو من أئمة الاشاعرة في صفحة ٢٢٤ من الجزء الرابع تجويز
الكفر على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ٠ ونسب الى محمد بن
الحسن بن فورك وسليمان بن خلف الباجي - وهما من أئمة الاشعرية - أموراً
عظيمة يطول المقام بتعدادها ٠

والغرض أن الرجل لا يستحيي من الكذب ولا يتأثم من البهتان ، وقد
أجمع فقهاء عصره كما في ترجمته من الوفيات على تضليله ، وذكره ابن خلدون
في الفصل الذي عقده لعلم الفقه وما يتبعه من مقدمته الشهيرة فكان مما قال
فيه : وقم الناس عليه واوسعوا مذاهبه استهجاناً وانكاراً وتلقوا كتبه بالاغفال
والترك حتى أنه ليحظر بيعها في الاسواق ، وربما تمزق في بعض الاحيان اهـ .
فلا يغتر أحد بما ينقله عن الامامية وغيرهم « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم
فاسق نبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » على
أن الرجل من موالي يزيد بن معاوية ، فلاحظ نسبه في الوفيات ، ولذا فضل أم
حبيبة بنت أبي سفيان على أبي بكر وعمر وعثمان حيث تكلم في وجوه الفضل
والمفاضلة بين الصحابة ، وأختار تفضيل نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم على
جميع من عدا الانبياء من سائر الناس ، وأعتمد في ذلك على خز عبلاّت مسخنة
وترهات باردة وتشبث بسفاسف فاضحة وتمويهات واضحة ، فليراجعها كل

مغرور بأبن حزم في صفحة ١١٢ وما بعدها الى صفحة ١٣٤ من الجزء الرابع من الفصل وليعجب • وقد ظهر منه في تلك المقامات وما بعدها نصب عظيم لأمر المؤمنين وعداوة لاهل البيت بالغة ، حتى فضل صهيياً في صفحة ١٥٢ من الجزء الرابع على العباس وبنيه وعلى عقيل وبنيه وعلى سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام ، وانكر كل فضيلة لاهل البيت فراجع • ونسج على منواله في بهت الامامية جماعة كثيرين منهم الشهرستاني في الملل والنحل اذ ألحق بهم كل مستهجن وألصق فيهم كل قبيح • ذكر أنهم افترقوا بعد الامام أبي محمد الحسن العسكري إحدى عشرة فرقة ، والله يعلم أنهم لم يفترقوا في أصول الدين أو شيء من العقائد وانما أراد بتفريقهم اطفاء نورهم ، وليته أسند شيئاً من الاقاويل التي نقلها عن تلك الفرق الى كتاب يتلى أو شخص خلقه الله تعالى ، وليته أخبرنا عن بلاد واحدة من تلك الفرق أو زمانها أو اسمها ، فإنه قال : وليس لهم ألقاب مشهورة ولكننا نذكر أقاويلهم • بالله عليك هل سمعت بفرق متخاصمة ونحل آراؤها متعاركة لا يعرف لهم في الاحياء والاموات رجل ولا امرأة ولا يوجد في الخارج لهم مسمى ولا اسم ؟ • وقد نقل عن زرارة بن أعين وهشام بن الحكم (٢) ومؤمن الطاق محمد ابن النعمان وهشام بن سالم أموراً ترتعد منها الفرائص وتقشعر الجلود ، فلم يقدح ذلك في سمو مقامهم وعظيم خطرهم عند الله ورسوله والمؤمنين ، وما أدري كيف أختص الشهرستاني واصحابه بالاطلاع على أقوال هؤلاء الاعلام دوننا ، مع أنهم سلفنا وفرطنا قد بحثنا عن رأيهم وأخذنا من الدين بهديهم ،

(٢) قد أستوفينا الرد في هذه المسألة على الشهرستاني في كتابنا مختصر الكلام في مؤلفي الشيعة من صدر الاسلام فراجع ما نشر منه في صفحة ١٨٩ وفي صفحة ٢٣١ من المجلد الثاني من العرفان •

فنحن أعرف الناس بمذاهبهم وصحاحنا مشحونة من حديثهم وأسفارنا مملوءة من أقوالهم في الكلام والتفسير والفقه وأصوله ، وفي أيدينا جملة أحوالهم وتقاصيل أخبارهم ، فلا يجوز أن يخفى علينا من أحوالهم ما ظهر لغيرنا ، مع بعده عنهم في المشرب ومخالفته لهم في المذهب ، وكونهم ليسوا محلالات بتلائه في شيء من أمور الدنيا والدين ، ولو رأيناهم يذهبون الى ما عراه الشهرستاني اليهم لبرأنا منهم كما هي سنتنا فيمن نراه معوجا عن الحق أو منتهجا نهج الضلال .

وقد أعرضنا عن بعض أولاد أئمتنا مع شدة اخلاصنا لهذا البيت الطاهر ، وكفرنا جماعة ممن صحبهم وفسقنا آخرين وضعفنا قوما وأمسكنا عن قوم آخرين كما يشهد به الخبير بطريقتنا ، فلو كان هؤلاء كما ذكره الشهرستاني لم يعظم علينا تكفيرهم ولألقناهم بأبي الخطاب محمد بن مقلص الجندع وبالمغيرة بن سعد وعبد الله بن سبأ والمختار بن أبي عبيد وأمثالهم ، لكن أعداء أهل البيت عمدوا الى أكابر أصحابهم فرموهم بهذه الطامات كي يسقطوهم من أعين الناس حسدا منهم وبغيا ، ثم جاء الشهرستاني فرأى أثرا فأتبعه ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وقد بلغت القحّة ببعض المتعصين الى رمي المتأولة (وهم الامامية في عرف سوريا) بأنكار الصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر الواجبات ، حتى قل ذلك عنهم جودت باشا كما في صفحة ٣٦٦ من الجزء الاول من ترجمة كتابه المطبوع في بيروت سنة ١٣٠٨ (٣) فأعجبوا لهذه الاكاذيب الدالة على

(٣) ذكرنا في كتاب مؤلفي الشيعة كلام جودت وأستوفينا المقام في رده ، فراجع ما نشر منه في صفحة ١٩٠ من المجلد الثاني من العرفان ، وقد سمعت في الفصل السابق حال الامامية في ايجاب الواجبات وتحريم المحرمات فلا وجه للإعادة .

حقوق الكاذب وقلة حياته ، نعوذ بالله من الخذلان *
 وربما أفك بعض المخرفين فنسب إلى الشيعة أنهم لا يأكلون لحوم الابل ،
 هذا مع ما ينحر من الجزر كل يوم في مشاهد الأئمة عليهم السلام وغيرهم من
 بلاد الامامية ولا سيما في النجف الاشرف وهي عاصمة فقهاءهم ، على أن من
 راجع من فقههم باب الاطعمة والاشربة لا يجدهم يفتون بکراهة الابل كما يفتون
 بکراهة الخيل والبغال والحمير ، بل يذكرون الابل في غير المكروه قبل البقر
 والغنم والمعز ، وفي باب الذبابة يصرحون بأن تذكية الابل بنحرها في وهدة
 اللبة ، وهذا أمر من الضروريات لا يجمله أحد منهم أصلاً *

وأعجب من هذا نسبة بعض الآفكين إلى الشيعة عدم ايجاب العدة على
 النساء ، مع أنهم أحوط في هذه المسألة من غيرهم ، ضرورة أن المتوفى عنها
 زوجها تعتد بأربعة اشهر وعشر ليال مبدؤها نفس وفاته ، وتظهر الثمر فيما
 لو علمت اليوم أنه مات منذ أربعة اشهر وعشر ليال أو أكثر فأنها لا تتزوج على
 رأيهم حتى تتربص المدة وعند غيرهم تتزوج في تلك الساعة *

وأيضا اذا مات عنها وهي حامل تتربص عندهم بأبعد الاجلين من وضع
 الحمل ومضى المدة ، فلو مضت المدة قبل وضع الحمل لا تتزوج عندهم حتى
 تضع حملها ، وكذا لو وضعت قبل مضي المدة * * * وان أردت التفصيل فعليك
 بفقه الامامية وحديثهم وتفاسيرهم ، وقد ملأت أنحاء الهند وارجاء فارس
 واتشرت في العراقين وسوريا وسائر بلاد الاسلام ، وأنا ارشدك إلى أسماء
 بعض ما هو مطبوع منها إكمالا للفائدة وخدمة للعلم ، فمن الكتب الفقهية
 شرائع الاسلام وجواهر الكلام ومسالك الافهام ومدارك الاحكام وكشف
 اللثام ومفتاح الكرامة وتذكرة العلامة والبرهان الثاقب والمختصر النافع

والروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية وجامع المقاصد في شرح القواعد الى مالا يحصى من الكتب المطولة فضلا عن المختصرة ، وحسبك من حديثهم وسائل الشيعة الى أحكام الشريعة ، ومن تفاسيرهم مجمع البيان في تفسير القرآن فراجعها لتعلم الحقيقة والله المستعان على ما تصفون •

« فصل (١) »

١١

كنا نظن العصبية العمياء تقلصت وأيامها الوحشية تصرمت ، وان المسلمين أحسوا اليوم بما حل بهم من المنابذات والمشاغبات التي تركتهم طعمة الوحوش والحشرات ، وكنا نقول بزغت الحقائق بفضل المطابع وانتشار كتب الشيعة فلا أفاك ولا بهات ولا رامي لهم بعدها بهنات ، لكن النواصب أبوا الا إيقاف الفتنة النائمة وايقاد الحرب العوان (تفريقا بين المؤمنين وأرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد أنهم لكاذبون) • قام في سوريا من حثالة الامويين طغام دأبهم العهر والخمر يدعون الى سلفهم الفاجر يريدون ليعيدوها أموية يزيدية هيأما في مجاهل ضلالهم وتسكعوا في مفاوز محالهم ، ركبوا في ذلك رؤوسهم وأرخوا فيه أعنة أقلامهم ، فألحقوا بالشيعة كل مستهجن وبهتوهم بكل عائية « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا »

(١) انما عقدنا هذا الفصل وزدناه فيما في هذه الطبعة (أعنى الطبعة الثانية) تأثرا من هؤلاء النواصب الكذبة ، ولئن لم ينتهوا لنعذرنا الى الله عز وجل بهم •

ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » ♦

خط قرد يزيد في خطته وفي مجلة الامويين قوارص ترتعد منها الفرائص
لكن فتيان المؤمنين خصموه فخطموه وقدعوه فقمعوه لاشلت أيمانهم ♦
ونشب النشاشيبي منشب سوء فلم ينشب أن أبكم فأفحم وانكبح فأفترض،
والحمد لله رب العالمين ♦

وصوب النصولي نصوله على الامام فنصل بذلك من دين الاسلام، وقد
طاش سهمه وسفه رأيه وخولط في عقله فهو في (كتابه) أحقق دالغ (٢) ومن
شك فليراجع ♦

ومع ذلك فقد كال الكيالي بصاعه وانتظم في سلك أتباعه فثار ثأر هوجه
وهبت عواصف رعنه ، فبرهن بما كتب على اطفاء شعلة ذهنه وفلول شبابة عقله
« وخسر هنالك المبطلون » ♦ « ومن يضل الله فما له من هاد » ♦

ما لهؤلاء السفهاء والتطوع في هذا الجيش الوهمي ، وما كان أغناهم
عن ذلك الارجاف والاجفاف ، وما هذا الهوس الحزبي الذي أماتته السنون
يبعثه هؤلاء العادون ليشقوا عصا المسلمين ويلقوا بأسهم بينهم ♦

وان من عصب برأسه العار وخطم أنفه بالشنار وعافر المدام وعائق الغلام
وأضاع الصلاة واتبع الشهوات لجدير بالموبقات ، وحقيق بالمنديات المخزيات ♦

ولو أني بليت بهاشمي خولته بنو عبد المـ

لهان علي ما ألقى ولكن تعالوا وأنظروا بمن أبتلاني

ولقد أسرف منار الخوارج بما أرجف واجحف وبغى وطغى وبهت الشيعة

بهتاناً عظيماً » ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرمي به بريئاً فقد أحتمل بهتاناً

(٢) وهو الذي لا يزال دالغ اللسان وذلك غاية الحمق ♦

واثما مبينا « شنها في مجلده التاسع والعشرين غارة ملحاحا أوسعت قلب الدين وأهله جراحا إيقادا للفتنة وتمسكاً بقرن الشيطان وتزلفا لخوارج القرن الرابع عشر وبتغاء لعرض الدنيا « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » ♦

وتبا وترحاً لمن يتلوّن كالحرباء ويدين بالسياسة كيف تشاء، فيوما بحزوى ويوما بالعقيق وبالعذيب يوما ويوما بالخليصاء ♦

نشر المنار (٣) دعايته الى النصب والخرافات والتفريق بين المسلمين بالتمويه والترهات ، وادرج لذلك الناصب الكاذب رسالة خالية الوطاب الا من الافك والسباب ، فأين النهضة التي يزعم المنار قيامه بها على أساس الوحدة الاسلامية وأين ما يدعيه من مجاهدة البدع والخرافات ؟ ! هيهات هيهات (لقد حن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها) ربنا لا نتواخذنا بما فعل السفهاء منا ، ونعوذ بك من طغوى نفوسهم وسفه أحلامهم وعمه بصائرهم وبغي طعامهم ، ونبرأ اليك من نعرتهم المنقوطة وعصبيتهم الملعونة ، فقد شقوا بها عصا المسلمين وكان بسببها من الفشل وذهاب ريح الاسلام ما يفري المرائر ويمزق لفائف القلوب ♦

وهناك أفاضل نحملهم على الصحة في سوء ظنهم بالشيعي ونبزهم إياه بالرفض ونسبتهم الاباطيل اليه ، حيث أنسوا بناحية من تقدمهم ممن رأوه ينبز الشيعة ويلمزهم فنحوا نحوه وتلو في ذلك تلوه إخلاداً اليه بثقتهم واعتماداً

عليه في كل ما يقول ، فلا تشرب إذن على الوحيد الرافعي اذا قال (٤) ان الرافضة شكوا في نص القرآن وقالوا انه وقع فيه نقص وزيادة وتغيير وتبديل اهـ . ولا جناح علينا اذا سألناه فقلنا له من تعني هنا بالرافضة ، أتعني الامامية أم غيرهم ، فان عنيتم فقد كذبك من أغراك بهم وكل من نسب اليهم تحريف القرآن فانه مفتر عليهم ظالم لهم ، لان قداسة القرآن الحكيم من ضروريات دينهم الاسلامي ومذهبهم الامامي ، ومن شك فيها من المسلمين فهو مرتد باجماع الامامية ، فاذا ثبت عليه ذلك قتل ثم لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين . وظواهر القرآن فضلا عن نصوصه من أبلغ حجج الله تعالى وأقوى أدلة أهل الحق بحكم البدهة الاولى من مذهب الامامية ، ولذلك تراهم يضربون بظواهر الاحاديث المخالفة للقرآن عرض الجدار ولا يابھون بها وان كانت صحيحة ، وتلك كتبهم في الحديث والفقه والاصول صريحة بما تقول .

والقرآن الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه انما هو ما بين الدفتين ، وهو ما في أيدي الناس لا يزيد حرفا ولا ينقص حرفا ، ولا تبديل فيه لكلمة بكلمة ولا لحرف بحرف ، وكل حرف من حروفه متواتر في كل جيل تواتراً قطعياً الى عهد الوحي والنبوة ، وكان مجموعاً على ذلك العهد الاقدس مؤلفاً على ما هو عليه الآن ، وكان جبرائيل عليه السلام يعارض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن في كل عام مرة وقد عارضه به عام وفاته مرتين .

والصحابا كانوا يعرضونه ويتلونه على النبي حتى ختموه عليه صلى الله

(٤) في صفحة ١٦١ من كتابه (تحت راية القرآن) .

عليه وآله وسلم مراراً عديدة ، وهذا كله من الامور المعلومة الضرورية لدى المحققين من علماء الامامية ، ولا عبرة بالحشوية فانهم لا يفقهون •
 والباحثون من أهل السنة يعلمون أن شأن القرآن العزيز عند الامامية ليس الا ما ذكرناه والمنصفون منهم يصرحون بذلك •

قال الامام الهمام الباحث المتتبع رحمة الله الهندي رضي الله عنه في صفحة ٨٩ من النصف الثاني من كتابه النفيس (اظهار الحق) ما هذا لفظه :
 القرآن الكريم عند جمهور علماء الشيعة الامامية الاثني عشرية محفوظ عن التغيير والتبديل ، ومن قال منهم بوقوع النقصان فيه فقله مردود غير مقبول عندهم •

قال : قال الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه الذي هو من أعظم علماء الامامية الاثني عشرية في رسالته ^(٥) الاعتقادية : « اعتقادنا في القرآن أن القرآن الذي أنزل الله تعالى على نبيه هو ما بين الدفتين ، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك ، ومبلغ سوره عند الناس مائة وأربع عشرة سورة ، وعندنا والضحي وألم نشرح سورة واحدة ، ولا يلاف وألم تر سورة واحدة ، ومن نسب إلينا أنا نقول انه أكثر من ذلك فهو كاذب » انتهى •
 قال الامام الهندي : وفي تفسير مجمع البيان ^(٦) الذي هو تفسير معتبر عند الشيعة ذكر السيد الاجل المرتضى علم الهدى ذو المجد أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي : أن القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجموعاً مؤلفاً على ما هو الآن ، وستدل على ذلك بان القرآن

(٥) المطبوعة المنتشرة •

(٦) المطبوع مراراً في ايران •

كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له ، وأنه كان يعرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتلى عليه ، وأن جماعة من الصحابة كعبد الله بن مسعود وابي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدة ختمات ، وكل ذلك بأدنى تأمل يدل على أنه كان مجموعا مرتبا غير مبتور ولا مبثوث ♦

قال الهندي : وذكر أن من خالف من الامامية والحشوية لا يعتد بخلافهم ، فان الخلاف مضاف الى قوم من أصحاب الحديث ثقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته - انتهى ♦
قال الامام الهندي : وقال السيد المرتضى أيضا : ان العلم بصحة القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام المشهورة وأشعار العرب المسطورة ، فان العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وبلغت الى حد لم تبلغ اليه فيما ذكرناه ، لان القرآن معجزة النبوة ومآخذ العلوم الشرعية والاحكام الدينية ، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وعنايته الغاية حتى عرفوا كل شيء فيه من اعرابه وقراءته وحروفه وآياته ، فكيف يجوز أن يكون مغيراً أو منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد - انتهى ♦

قال الامام الهندي : وقال القاضي نور الله التوستري الذي هو من علمائهم المشهورين في كتابه المسمى بمصائب النواصب : ما نسب الى الشيعة الامامية من وقوع التغيير في القرآن ليس مما قال به جمهور الامامية ، انما قال به شذمة قليلة منهم لا اعتداد بهم فيما بينهم - انتهى ♦

قال الامام الهندي : وقال الملا صادق في شرح الكليني : « يظهر القرآن بهذا الترتيب عند ظهور الامام الثاني عشر ويشهر به » انتهى ♦

قال الامام الهندي : وقال محمد بن الحسن الحر العاملي الذي هو من كبار المحدثين في الفرقة الامامية في رسالة كتبها في رد بعض معاصريه « هر كسيكه تتبع اخبار وتفحص تواريخ وآثار نموده بعلم يقيني ميداند كه قرآن در غايت واعلى درجه تواتر بوده وآلاف صحابه حفظ و نقل مي كردند آن را و در عهد رسول خدا صلى الله عليه وآله وسلم مجموع ومؤلف بود » انتهى ♦

قال الامام الهندي : فظهر أن المذهب المحقق عند علماء الفرقة الامامية الاثني عشرية أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه هو ما بين الدفتين ، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك ، وانه كان مجموعاً مؤلفاً في عهد رسول الله (ص) وحفظه ونقله الوف من الصحابة ، وجماعة من الصحابة كعبدالله بن مسعود وابي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي عدة ختمات ، ويظهر القرآن ويشهر بهذا الترتيب عند ظهور الامام الثاني عشر رضي الله عنه ♦

قال : والشرذمة القليلة التي قالت بوقوع التغيير فقولهم مردود عندهم ولا اعتداد به فيما بينهم ♦

قال : وبعض الاخبار الضعيفة التي رويت في مذهبهم لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته ♦

قال : وهو حق لان خبر الواحد اذا اقتضى علماً ولم يوجد في الادلة القاطعة ما يدل عليه وجب رده ، على ما صرح به ابن المطهر الحلي في كتابه المسمى بمبادي الوصول الى علم الاصول ، وقد قال الله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ♦

قال : ففي تفسير الصراط المستقيم الذي هو تفسير معتبر عند علماء

للامام شرف الدين ١٦٩

الشيعة « أي انا لحافظون له من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان »
انتهى • •

هذا كلام الامام الهندي عينا ، وانما اكتفينا بما نقله من كلام اعلام
الشيعة الامامية المسطور في كتبهم المعتمدة لان الاستقصاء يوجب الخروج
عما أخذناه على أنفسنا من اجتناب الاطناب الممل •
ومن أراد النقل عن الطوائف والامم فليقتف اثر هذا الامام في الاستناد
الى الكتب المعتمدة عند تلك الامة أو الطائفة ، ولا يعول في النقل عنها على
المرجفين من خصمائها والالءاء من أعدائها •

وأنا اكبر السفر الجليل « تحت راية القرآن » واقدر قدر مؤلفه
« المصطفى الصادق » وأعلم أنه بعيد الغاية رزين الحصة ، وكنت أربأ به
وبسفره الثمين المؤلف لعموم المسلمين عن جرح عواطف الشيعة وهم ركن
الدين وشر المسلمين ، وفيهم الملوك والامراء والعلماء والادباء والكتبة
والشعراء والساسة المفكرون والدهاة المدبرون وأهل الحمية الاسلامية
ولنفوس العبقرية والشمم والكرم والعزائم والهمم ، وقد انبثوا في الانحاء
وانتشروا في الارض انتشار الكواكب في السماء ، فليس من الحكمة ولا من
العقل أن يستهان بهم ، وهم أهل حول وقوة وغنى وثروة وأموال مبذولة
في سبيل الدين وأنفس تتمنى أن تكون فداء المسلمين •

وليس من الثبوت أن يعتمد في مقام النقل عنهم على ارجاف المرجفين
واجحاف المجحفين « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق نبأ فتيبنوا أن
تصيبوا قوما بجهالة فتصيبوا علي ما فعلتم نادمين » •

فصل

١٢

نوضح فيه سبب التباعد بين الطائفتين ونكشف عن مكنون السر في تنافرهما ، زيادة على ما سمعت في الفصول السابقة ، والغرض تشخيص الداء لنصف الناجع فيه من الدواء ، فهنا مقصدان :

المقصد الاول

في الامور التي ينفر منها الشيعي ولا يكاد يمتزج بسببها مع السني ، وأهمها شيئان :

(الاول) ما سمعته في الفصول السابقة ^(١) من التكفير والتحقيق والشتم والتزوير .

(الثاني) اعراض اخواننا أهل السنة عن مذهب الائمة من أهل البيت ، وعدم الاعتناء باقوالهم في أصول الدين وفروعه بالمرّة ، وعدم الرجوع اليهم في تفسير القرآن العزيز (وهو شقيقهم) الا دون ما يرجعون فيه الى مقاتل ابن سليمان المجسم المرجىء الدجال ، وعدم الاحتجاج بحديثهم الا دون ما يحتجون بدعاة الخوارج والمشبهة والمرجئة والقدرية ، ولو أحصيت جميع ما في كتبهم من حديث ذرية المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ما كان الا دون ما أخرجه البخاري وحده عن عكرمة البربري الخارجي المكذب .

وأنكى من هذا كله عدم احتجاج البخاري في صحيحه بأئمة أهل البيت النبوي ، اذ لم يرو شيئا عن الصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي

(١) ولا سيما التاسع والعاشر والحادي عشر .

والزكي العسكري وكان معاصراً له ، ولا روى عن الحسن ^(٢) بن الحسن ولا عن زيد بن علي بن الحسين ، ولا عن يحيى بن زيد ، ولا عن النفس الزكية محمد بن عبدالله الكامل بن الحسن الرضا بن الحسن السبط ، ولا عن أخيه ابراهيم بن عبدالله ، ولا عن الحسين الفخي بن علي بن الحسن بن الحسن ، ولا عن يحيى بن عبدالله بن الحسن ، ولا عن أخيه ادريس بن عبدالله ولا عن محمد بن جعفر الصادق ، ولا عن محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن المعروف بابن طباطبا ، ولا عن أخيه القاسم الرسي ، ولا عن محمد بن محمد بن زيد بن علي ، ولا عن محمد بن القاسم ابن علي بن عمر الاشرف ابن زين العابدين صاحب الطالقان المعاصر للبخاري ^(٣) ولا عن غيرهم من أعلام العترة الطاهرة وأغصان الشجرة الزاهرة ، كعبدالله ابن الحسن وعلي بن جعفر العريضي وغيرهما من ثقل رسول الله ، وبقيته في أمته صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى أنه لم يرو شيئاً من حديث سبطه الأكبر وريحاته من الدنيا أبي محمد الحسن المجتبي سيد شباب أهل الجنة ، مع احتجاجه بداعية الخوارج واشدهم عداوة لاهل البيت عمران بن حطان القائل في ابن ملجم وضربته لامير المؤمنين عليه السلام :

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لأذكره يوماً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

أما ورب الكعبة وباعث النبيين لقد وقفت هنا وقفة المدهوش وقمت

(٢) الحسن بن الحسن هو الامام بعد عمه الحسين السبط على رأي الشيعة الزيدية وبعده زيد ثم من ذكرناهم بعد زيد ، وترتيبهم في الامامة على حسب ما رتبناهم في الذكر عليهم السلام .

(٣) قتل في العراق سنة ٢٥٠ قبل وفاة البخاري بست سنوات .

مقام المدعور ، وما كنت أحسب أن الامر يبلغ هذه الغاية ، وقد باح العلامة ابن خلدون بسرها المكنون حيث قال في الفصل الذي عقده لعلم الفقه وما يتبعه من مقدمته الشهيرة بعد ذكر مذاهب أهل السنة ما هذا لفظه : وشذ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به ، وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة (٤) بالقدح وعلى قولهم بعصمة الائمة ، ورفع الخلاف عن اقوالهم ، وهي كلها اصول واهية (٥) .

قال : وشذ بمثل ذلك الخوارج (٦) ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم ، بل أوسعوها جانب الانكار والقدح ، فلا نعرف شيئاً من مذاهبهم (٧) ولا نروي كتبهم ولا أثر لشيء منها الا في مواطنهم ، فكتب الشيعة في بلادهم ،

(٤) ما أدري كيف يمكن أن تبنى المذاهب الفقهية على تناول بعض الصحابة بالقدح ، وما عرفت كيف تستنبط الاحكام الشرعية الفرعية من تناول أحد من الناس ، وابن خلدون يعد من الفلاسفة ، فما هذا الهذيان منه يا أولي الالباب ؟

(٥) ان أصحابنا « الامامية » أثبتوا في كتبهم الكلامية عصمة أئمتهم بالادلة العقلية والنقلية ، والمقام لا يسع بيانها ولو تصدينا لها لخرجنا عن موضوع هذه الرسالة ، وحسبك دليلاً على عصمتهم ، كونهم بمنزلة الكتاب الذي لا يأتيه الباطل وكونهم أمان هذه الامة من الاختلاف ، فاذا خالفتهم قبيلة من العرب كانت حزب ابليس ، وكونهم سفينة الجناة وباب حطة هذه الامة ، وكونهم النافين عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

(٦) أنظر كيف جعل أهل البيت (الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) شذاذاً مارقة كالخوارج نعوذ بالله .

(٧) كذب ابن خلدون نفسه في هذه الكلمة ، فانه اذا كان لا يعرف شيئاً من مذاهبهم ولا يروى كتبهم ولا أثر لشيء منها عنده فمن أين عرف انهم شذاذضلال مبتدعون ومن أين عرف أن أصولهم واهية « قتل الخراصون » .

وحيث كانت دولتهم قائمة في المغرب والمشرق واليمن والخوارج كذلك ولكل منهم كتب وتأليف وآراء في الفقه غريبة • هذا كلامه فتأمله واعجب •
ثم رجع الى مذاهب أهل السنة فذكر انتشار مذهب أبي حنيفة في العراق ومذهب مالك في الحجاز ، ومذهب احمد في الشام وفي بغداد ، ومذهب الشافعي في مصر ، وهنا قال ما هذا لفظه : ثم انقضى فقه أهل السنة من مصر بظهور دولة الرافضة ، وتداول بها فقه أهل البيت ^(٨) وتلاشى من سواهم ، الى ان ذهبت دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ورجع اليهم فقه الشافعي الخ •

اذا وصف الطائي بالبخل مادر وعير قسا بالفهاة باقل
وقال السهي للشمس أنت ضئيلة وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الارض السماء سفاهة وكاثرت الشهب الحصى والجنادل
وقال ابن خلدون وأمثاله انهم على الهدى والسنة وأن أهل البيت شذاذ مبتدعة وضلال رافضة •

فياموت زر ان الحياة ذميمة ويا نفس جدي ان سبقك هازل
ولا غرو ان قام المسلم عند سماع هذه الكلمة وقعد ، بل لا عجب ان مات أسفا على الاسلام وأهله ، اذ بلغ الامر هذه الغاية ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم •

أيقول ابن خلدون أن أهل البيت شذاذ ضلال مبتدعون ، وهم الذين

(٨) أنظر كيف اعترف بأن الرافضة يدينون الله بمذهب أهل البيت •
لكم ذخركم ان النبي ورهطه
وجيلهم ذخري اذا التمس الذخر
الى خالقي مادمت أو دام لي عمر
شئام وفجري أية ذكر النجر
جعلت هواي الفاطميين زلفة
وكوفني ديني على أن منصبي

أذهب الله عنهم الرجس بنص التنزيل ^(٩) وهبط بتطهيرهم جبرائيل وباهل بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ^(١٠) بأمر ربه الجليل ، وقد فرض القرآن مودتهم ^(١١) وأوجب الرحمن ولايتهم ^(١٢) وهم سفينة النجاة ^(١٣) اذا طغت لجحج النفاق ، وأمان الامة ^(١٤) اذا عصفت عواصف الشقاق ، وباب

(٩) اشارة الى قوله تعالى « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » فراجع ما علقناه على هذه الآية في الفصل الثاني من المطلب الاول من كلمتنا الغراء •

(١٠) اشارة الى قوله تعالى « فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل » الآية فراجع ما علقناه عليها في الفصل الاول من الكلمة الغراء أيضا •

(١١) اشارة الى قوله تعالى « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى » فراجع ما علقناه عليها في الفصل الثالث من الكلمة الغراء •

(١٢) اشارة الى ما أخرجه الديلمي وغيره — كما في الصواعق وغيرها — عن أبي سعيد الخدري أن النبي (ص) قال « وقفوهم انهم مسئولون » عن ولاية علي • وقال الامام الواحدي — كما في تفسير هذه الآية من الصواعق ايضا — انهم مسئولون عن ولاية علي وأهل البيت •

(١٣) وقال ابن حجر في صفحة ٩٣ من صواعقه حيث تكلم في تفسير الآية ٧ من الآيات التي أوردها في الباب ١١ من الصواعق ما هذا لفظه : وجاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضها : انما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا (قال) وفي رواية مسلم ومن تخلف عنها غرق (قال) وفي رواية هلك الخ •

(١٤) اشارة الى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « النجوم أمان لاهل الارض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لامتي من الاختلاف ، فاذا خالفتهم قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس » أخرجه الحاكم عن ابن عباس مرفوعا وصححه على شرط البخاري ومسلم كما في صفحة ٩٣ من الصواعق المحرقة لابن حجر حيث تكلم في الآية ٧ من الباب ١١ — وأخرج ابن أبي شيبة ومسدد في مسنديهما والترمذي في نوادر الاصول — وأبو يعلي

حطة^(١٥) يأمن من دخلها ، والعروة الوثقى لا انفصام لها ، وأحد الثقلين^(١٦) لا يضل من تمسك بهما ، ولا يهتدي الى الله من ضل عن أحدهما وقد أمرنا صلى الله

والطبراني والحاكم عن سلمة بن الاكوع قال : قال رسول الله (ص) النجوم أمان لاهل السماء وأهل بيتي أمان لأمّتي - وقد نقله الحافظ السيوطي في كتاب احياء الميت بفوائد اهل البيت والنبهاني في أربعينه وغير واحد من العلماء •

(١٥) اشارة الى قول رسول الله (ص) « مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، ومثل باب حطة في بني اسرائيل » أخرجه الحاكم عن أبي ذر عليه الرحمة وأخرج الطبراني في الصغير والوسط عن أبي سعيد قال : سمعت النبي (ص) يقول : « انما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، وانما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له » •

(١٦) اشارة الى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « اني تارك فيكم ما ان تمسكتهم به لن تضلوا بعدي الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما » أخرجه الترمذي والحاكم كما في احياء الميت للسيوطي ، وهو من الاحاديث المستفيضة رواه اكثر المحدثين بالفاظ متقاربة وأسانيدهم فيه صحيحة • قال ابن حجر بعد نقله اياه عن الترمذي وغيره في اثناء تفسيره للاية الرابعة من الباب ١١ من صواعقه ما هذا لفظه : ثم اعلم ان لحديث التمسك بذلك طرقا كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيا (قال) ومرو له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبه ، وفي بعض تلك الطرق أنه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة ، وفي أخرى أنه قاله بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه ، وفي أخرى أنه قال ذلك بغدير خم ، وفي أخرى أنه قاله لما قام خطيبا بعد انصرافه من الطائف (قال) ولا تنافي اذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماما بشأن الكتاب العزيز والعتره الطاهرة ••• الى آخر كلامه فراجعه في صفحة ٩٢ من الصواعق •

عليه وآله وسلم بأن نجعلهم منا مكان الرأس ^(١٧) من الجسد ، بل مكان العينين من الرأس ، ونهانا عن التقدم عليهم ^(١٨) والتقصير عنهم ، ونص على أنهم القوامون على الدين ، النافون عنه في كل خلف من هذه الامة ^(١٩) تحريف الضالين ، وقد أعلن صلى الله عليه وآله وسلم بأن معرفتهم براءة من النار ^(٢٠) وحبهم جواز على الصراط ، والولاية لهم أمان من العذاب — وأن

(١٧) اشارة الى ما نقله غير واحد من الاعلام كالعلامة الصبان في الصفحة ١١٤ من اسعافه المطبوع في هامش نور الابصار حيث قال ما هذا لفظه : وروى جماعة من أهل السنن من عدة من الصحابة أن النبي (ص) قال : مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك (قال) وفي رواية غرق (قال) وفي رواية أخرى زج في النار (قال) وفي أخرى عن أبي ذر زيادة وسمعته يقول : اجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد ومكان العينين من الرأس ♦

(١٨) اشارة الى قوله (ص) في حديث التمسك بالثقلين « فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم » ونقله عن الطبراني غير واحد من العلماء كالامام أبي بكر العلوي في باب ٥ من رشفة الصادي وابن حجر حيث تكلم في تفسير الآية الرابعة في الباب ١١ من صواعقه ♦

(١٩) اشارة الى ما أخرجه الملا في سيرته بسنده الى رسول الله (ص) قال : في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، ألا وان أئمتكم وفدكم الى الله فانظروا من توفدون — وقد نقله ابن حجر في صفحة ٩٢ من صواعقه ♦

(٢٠) اشارة الى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب » رواه القاضي عياض في الفصل الذي عقده لبيان ان من توقيره وبره (ص) بر آله وذريته من كتابه « الشفاء » فراجع أول صفحة ٤١ من قسمه الثاني طبع الاستانة سنة ١٣٢٨ ♦

الاعمال الصالحة لا تنفع عامليها الا بمعرفة حقهم (٢١) ولا تزول يوم القيامة
 قدما أحد من هذه الامة (٢٢) حتى يسأل عن جبههم ولو أن رجلا أفنى عمره
 قائما وقاعدا وراكعا وساجدا بين الركن والمقامات غير موال لهم دخل النار (٢٣)
 فهل يحسن من الامة المسلمة بعد هذا أن تجري الا على أسلوبهم ، وهل
 يتسنى لمسلم يؤمن بالله ورسوله أن يستن بغير سنتهم ، فكيف يعدهم ابن
 خلدون في أهل البدع بكل صراحة ووقاحة من غير خجل ولا وجل •

(٢١) اشارة الى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الزموا
 مودتنا أهل البيت فانه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا ، والذي
 نفسي بيده لا ينفع عبدا عمله الا بمعرفة حقنا » أخرجه الطبراني في الاوسط
 ونقله السيوطي في احياء الميت بفوائد أهل البيت والنبهاني في أربعينه •
 (٢٢) اشارة الى قول رسول الله (ص) : لا تزول قدما عبد حتى يسأل
 عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن ماله فيما أنفقه
 ومن أين اكتسبه ، وعن محبتنا أهل البيت • أخرجه الطبراني عن ابن عباس
 مرفوعا ونقله السيوطي في احياء الميت والنبهاني في أربعينه •
 (٢٣) اشارة الى قوله (ص) من حديث أخرجه الطبراني والحاكم « كما
 في احياء الميت واربعين النبهاني وغيرهما » فلو ان رجلا صفن « أي صف
 قدميه » بين الركن والمقام فصلى وصام وهو مبغض لآل محمد دخل النار اهـ
 وأخرج الحاكم وابن حبان في صحيحه « كما في احياء الميت واربعين النبهاني
 وغيرهما » عن ابي سعيد قال : قال رسول الله (ص) : والذي نفسي بيده
 لا يبغضنا أهل البيت رجل الا دخل النار •

وأخرج الطبراني « كما في احياء الميت للسيوطي » عن الحسن السبط
 أنه قال لمعاوية ابن خديج : اياك وبغضنا فان رسول الله قال لا يبغضنا أحد
 ولا يحسدنا أحد الا ذيد يوم القيامة عن الحوض بسياط من النار اهـ
 وأخرج الطبراني في الاوسط كما في احياء الميت واربعين النبهاني عن جابر
 قال : خطبنا رسول الله فسمعته وهو يقول : أيها الناس من أبغضنا أهل البيت
 حشره الله يوم القيامة يهوديا اهـ •

أبهذا أمرته آية القربى وآية التطهير وآيتا أولي الامر والاعتصام بجبل الله ، أم بهذا أمره سبحانه حيث يقول « وكونوا مع الصادقين » أم به صدع رسول الله (ص) في نصوصه المجمع على صحتها ؟ وقد استقصيناها بطرقها واسانيدها في كتابنا سبيل المؤمنين ، واستقصتها علماؤنا الاعلام في مؤلفاتهم — فراجعها لتعلم حقيقة أهل البيت ومنزلتهم في دين الاسلام .

على أنهم لا ذنب لهم يستوجب الجفاء ، ولا قصور بهم يقتضي هذا الاعراض ، فليت أهل المذاهب الاربعة تفلوا في مقام الاختلاف مذهب أهل البيت كما ينقلون سائر المذاهب التي لا يعلمون بها ، ما رأيانهم يعاملون أهل البيت هذه المعاملة في عصر من الاعصار ، وانما يعاملونهم معاملة من لم يخلقه الله عز وجل ، أو من لم يؤثر عنه شيء من العلم والحكمة .

نعم ربما تعرضوا لشيعتهم فنبزوههم بالرفض ، وسلقوهم بالسنة الافتراء كما سمعت في الفصول السابقة — وقد ولى زمن الاعتداء واقبل عصر الاخاء، وآن لجميع المسلمين أن يدخلوا مدينة العلم النبوي من بابها ويلجوا من باب حطة ويلجأوا الى أمان أهل الارض بركوب سفينتهم ومقاربة شيعتهم ، فقد زال سوء التفاهم من البين ، واسفر الصبح عن توثق الروابط بين الطائفتين ، والحمد لله رب العالمين .

المقصد الثاني

في الامور التي ينفر منها أهل السنة ولا يأتلفون بها مع الشيعة ، وهي أمور مكذوبة بهتنا بها المبطلون ، وقد سمعت في الفصول السابقة جملة منها، ووقفت على ما يشفي صدرك من الاجوبة عنها، ولم يبق سوى مسألة الصحابة رضي الله عنهم فانها المسألة الوحيدة والمعضلة الشديدة ، وذلك أن بعض الغلاة من الفرق التي يطلق عليها لفظ الشيعة ، كالكاملية يتحاملون على

الصحابة كافة رضي الله عنهم وينالون من جميع السلف ، فيظن الجاهل أن ذلك رأي مطلق الشيعة ، ويتوهم أنه مذهب الجميع ، فيرمي الصالح بحجر الطالح ، يأخذ البريء بذنب المسيء ، كما هو الشأن فيمن يختلط عليه الحابل بالنابل ، ولو عرف رأي الامامية في هذه المسألة ووقف على كلامهم فيها لعلم أنه أوسط الآراء ، اذ لم يفرطوا تقريظ الغلاة ولا أفرطوا افراط الجمهور .

وكيف يجوز عليهم ما يقوله الجاهلون أو يمكن في حقهم ما يتوهمه الغافلون ، بعد اقتدائهم في التشيع بكبراء الصحابة كما يعلمه الخبير (بالاستيعاب والاصابة وأسد الغابة) واليك اكمالا للفائدة واتماما للغرض بعض ما يحضرنى من أسماء الشيعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتعلم أنا بهم اقتدينا وبهديهم اهتدينا ، وسأفرد لهم ان وفق الله كتابا يوضح للناس تشيعهم ويحتوي على تفاصيل شؤونهم ، ولعل بعض أهل النشاط من حملة العلم وسدنة الحقيقة يسبقني الى تأليف ذلك الكتاب فيكون لي الشرف ، اذ خدمته بذكر أسماء بعضهم في هذا الباب ، وها هي على ترتيب حروف الهجاء .

أ

أبو رافع القبطي مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسمه أسلم أو ابراهيم وقيل هرمز وقيل ثابت وقيل غير ذلك ، وله أولاد وأحفاد كلهم خصيصون بأهل البيت ومنقطعون اليهم ، أما أولاده فرافع والحسن والمغيرة وعبيد الله (الذي أفرد كتابا فيمن حضر صفين مع علي من الصحابة ، وقد نقل عنه صاحب الاصابة وغيره) وعلي الذي ألف كتابا في فنون الفقه

على مذهب أهل البيت ، وهو أول كتاب فقهي عمل في الاسلام بعد صحيفة علي (ع) • وأما أحفاد أبي رافع فالحسن وصالح وعبيد الله أولاد علي بن أبي رافع ، والفضل بن عبيد الله بن أبي رافع ولهم ذرية كلها صالحة، ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول : وأبو المنذر أبي بن كعب سيد القراء (٢٤) • وإبان بن سعيد بن العاص الاموي • وأنس بن الحرث أو ابن الحرث بن نبيه الذي سمع — كما في ترجمته من الاصابة — رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ان ابني هذا يعني الحسين (ع) يقتل بأرض يقال لها كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينصره • قال : فخرج أنس بن حرث الى كربلاء فقتل بها مع الحسين عليه السلام اه • وفي ترجمته من الاستيعاب مثله • واسيد بن ثعلبة الانصاري البصري • وأسلم بن الحرث بن عبدالمطلب الهاشمي وهو أخو نوفل • وأسلم ابن بجرة الساعدي • والاسود بن عيسى بن أسماء التميمي • وأعين بن ضبيعة ابن ناجية الدارمي التميمي • وأنس بن مدرك الخثعمي الكلبي • وامرؤ القيس بن عابس الكندي • واويس بن عامر القرني وهو من أفضل التابعين بشر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأسلم على عهده ولم يره صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد ذكره ابن حجر في القسم الثالث من اصابته • وأبو ليلى الغفاري لم أقف له على اسم وهو الذي أخرج عنه ابو احمد وابن منده وغيرهما — كما في ترجمته من الاصابة — أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ستكون من بعدي فتنة ، فاذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب ، فانه أول من آمن بي وأول من يضافحني يوم القيامة ، وهو الصديق الأكبر وهو فاروق هذه الامة وهو يعسوب (٢٤) ذكره ابن الشحنة في تاريخه فيمن تخلف عن بيعة السقيفة مع علي عليه السلام •

المؤمنين » الحديث ، ورواه عنه ابن عبد البر في ترجمته من الاستيعاب أيضا .
وأبو فضالة الانصاري لم اقف ايضا له على اسم ، روى صاحب الاستيعاب
والاصابة في ترجمته عن ابنه فضالة أنه سمع عليا يقول : ان رسول الله (ص)
أخبرني أنني لا أموت حتى أوامر ثم تخضب هذه من هذه (يعني كريمته من
هامته) قال فضالة : فصحبه أبي فقتل فيمن قتل في صفين ، وكان بدريا رحمه
الله . وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن عم رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم واخوه من الرضاعة ارضعتها حليمة السعدية .

ب

وبريد الاسلامي أحد الذين رثاهم أمير المؤمنين عليه السلام بقوله :
جزى الله خيراً عصابة أسلمية صباح الوجوه صرعوا حول هاشم
بريد وعبد الله منهم ومنقذ وعروة وابنا مالك في الاكرام
وبريدة بن الحبيب الاسلامي . وبلال بن رباح الحبشي . والبراء
ابن عازب (٢٥) بن الحارث الانصاري . والبراء بن مالك وهو أخو أنس
ابن مالك الانصاري . وبشير وهو أخو وداعة بن ابي زيد الانصاري وقد
شهد هو وأخوه صفين وكانا من خيار المستبصرين واستشهد أبوهما في أحد

ت

وتمام بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي عليهم الرحمة .

ث

وثابت بن عبيد الانصاري . وثابت بن قيس بن الخطيم الظفري .
وثعلبة بن قتيبي بن صخر الانصاري .
(٢٥) ذكره ابن الشحنة في تاريخه فيمن تخلف مع علي عن بيعة السقيفة .

ج

وجندب بن جنادة وهو أبو ذر الغفاري • وجارية بن قدامة السعدي •
 وجارية بن زيد • وجابر بن عبدالله الانصاري • وجبله بن عمرو بن اوس
 الساعدي • وجبير بن الحباب الانصاري • وجعدة بن هبيرة المخزومي
 وامه أم هاني شقيقة أمير المؤمنين (ع) • وجعفر بن ابي سفيان بن الحارث
 ابن عبد المطلب الهاشمي • وجهجاه بن سعيد الغفاري • وجراد بن مالك
 ابن نويرة التميمي المقتول يوم البطاح مع ابيه وقد رثاه عمه متم • وجراد
 ابن طهية الوحيدى وهو والد شبيب بن جراد الشهيد يوم الطف مع سيد
 الشهداء عليه السلام •

ح

وحجر بن عدي الكندي • وحذيفة بن اليمان العبسي • والحارث بن
 العباس بن عبدالمطلب الهاشمي • وأبو الورد بن القيس واسمه (فيما ذكره
 أبو عمر) حرب المازني • والحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب •
 وأبو قتادة الحارث بن ربعي بن بلدهة الانصاري • والحارث بن زهير
 الازدي • والحارث بن حاطب بن عمرو الانصاري • والحارث بن عمرو
 ابن حرام الخزرجي • والحارث بن النعمان بن امية الاوسي • وحازم بن
 ابي حازم الاحمسي • والحجاج ابن عمرو بن غزية الانصاري • وحسان
 ابن خوط بن مسعر الشيباني وهو من بيت كلهم صفوة شهد الجمل مع علي
 عليه السلام ومعه ابناه الحارث وبشر ، واخوه بشر بن خوط ، وحفيده
 عنبس بن الحارث بن حسان المذكور ، وابن اخيه وهيب بن عمرو بن خوط
 وابن اخيه الآخر الاسود بن بشر بن خوط ، وابن ابن اخيه وهما الحسين

وحذيفة ابنا مخدوج بن بشر بن خوط ، وكان اللواء مع الحسين بن مخدوج
ابن بشر بن خوط ، فاستشهد فأخذه اخوه حذيفة فاستشهد فأخذه عمهما
الاسود فاستشهد فأخذه عنبس بن الحارث بن حسان المذكور ،
فاستشهد فأخذه وهيب بن عمرو بن خوط ، فاستشهد بخ بخ ، ذلك فضل
الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، ياليتنا كنا معهم فنفوز فوزا عظيما .
وحنظلة بن النعمان بن عامر الانصاري • وحكيم بن جبلة العبدي
صاحب المقام المشكور يوم الجمل الاصغر ، وقد استشهد يومئذ ، واستشهد
معه ابنه الاشرف واخوه الرعل بن جبلة في سبعين رجلا من عشيرته ، وكانت
تلك الوقعة لخمس ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٣٦ قبل مجيء
أمير المؤمنين الى البصرة ثم جاء عليه السلام فكان يوم الجمل الاكبر •
وحبيب بن مظاهر بن رئاب بن الاشتر ابن حجوز بن فقعس الشهيد بين
يدي الحسين عليه السلام ، وهو تابعي أدرك أيام النبي صلى الله عليه وآله
وسلم ولم يره ، وقد ذكره ابن حجر في القسم الثالث من اصابته • والحكم
ابن المغفل بن عوف الغامدي الشهيد يوم النهروان •

بخ

وخالد بن سعيد بن العاص^(٥٦) الاموي • وأبو أيوب خالد بن زيد
الانصاري • وخالد بن ربيعة الجدي • وخالد بن الوليد الانصاري • وخالد
ابن المعمر السدوسي • وخويلد بن عمرو الانصاري • وخباب بن الارت
التميمي ويقال الخزاعي • وذو الشهادتين خزيمة بن ثابت الانصاري •
وخرشة بن مالك الاودي • وخليفة بن عدي البياضي •

(٢٦) ذكره ابن الشحنة في تاريخه فيمن تخلف يوم السقيفة مع علي (ع) •

د

وأبو ليلى داود بن بلال والد عبد الرحمن الانصاري ، وقد اختلف
العلماء في اسمه •

ر

وربيعة بن قيس العدواني • ورفاعة بن رافع بن مالك الانصاري •
ورافع بن أبي رافع القبطي •

ز

وزيد بن أرقم الخزرجي • وزيد بن صوحان العبدي • وزيد بن أسلم
البلوي • وزيد بن جارية أو ابن حارثة الانصاري • وزيد أو يزيد بن
شراحيل الانصاري • وزيد بن حبيش الاسدي • وزيد بن مطرف الذي
أخرج عنه مطين والبارودي وابن جرير وابن شاهين كما في ترجمته من
الاصابة أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من
أحب ان يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنة فليتول عليا وذريته من
بعده اه • وابو زينب زهير بن الحارث بن عوف • وزيد بن وهب الجهني
الحسلي •

س

وأبو عبد الله سلمان الخير الفارسي • وسلمان بن ثمامة الجعفي •
وسليمان بن صرد الخزاعي المتفاني في الاخذ بثار سيد الشهداء والشهيد
في سبيل ذلك • وسليمان بن هاشم المرقال الزهري • وسهل بن حنيف
الانصاري • وسهيل بن عمرو الانصاري • وسلمة بن ابي سلمة ربيب النبي
صلى الله عليه وآله وسلم • وسويد بن غفلة الجعفي • وسماك بن خرشة

والظاهر أنه غير أبي دجانة الانصاري • وسان بن شفعلة الاوسي الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : حدثني جبرائيل أن الله عز وجل لما زوج فاطمة عليا أمر رضوان فأمر شجرة طوبى فحملت رقاقا بعدد محبي آل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم اه ، أخرجه عنه أبو موسى كما في ترجمة سنان من الاصابة • وسعنة بن عريض التيمائي الذي دار بينه وبين معاوية كلام في المدينة فيه ذكر علي (ع) فعرض ابن عريض من معاوية ، فقال معاوية : ما أراه الا قد خرف فأقيموه ، فقال (كما في ترجمته من الاصابة) ما خرفت ولكن أنشدك الله يا معاوية أما تذكر لما كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء علي فاستقبله النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : قاتل الله من يقاتلك وعادى من يعاديك ؟ قال : فقطع معاوية حديثه وأخذ في حديث آخر اه • وسعيد بن الحارث ابن عبدالمطلب • وسعيد بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب • وسعيد بن نمران الهمداني • وسعيد بن وهب الخوياني • وسعيد بن سعد بن عبادة الانصاري ، وأما أبوه سعد فقد ذكره صاحب الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة وفيه نظر • وسعد بن الحارث بن الصمة الانصاري • وسعد بن مسعود الثقفي وهو عم المختار • وسعد بن عمرو الانصاري • وسفيان بن هاني بن جبير الجيثاني •

ش

وشراحيل بن مرة الهمداني الذي روى عنه كما في ترجمته من الاصابة ابن السكن وابن شاهين وابن قانع والطبراني أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي : ابشر يا علي حياتك وموتك معي •

وشريح بن هاني بن يزيد الحارثي وهو غير القاضي • وشيبان بن محرث •

ص

وصعصعة • وصيخان ابنا صوحان • وصالح الانصاري السالمي •
وصبيح مولى أم سلمة • وصيفي بن ربيعي الاوسي •

ض

والضحاك وهو الاخنف بن قيس التميمي الذي يضرب المثل بحلمه
وأدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يجتمع به ، ودعا له رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم •

ط

وطاهر بن ابي هالة التميمي • وطريف بن ابان الانماري •

ظ

وأبو الاسود ظالم بن عمرو الدؤلي ، ذكره ابن حجر في القسم الثالث
من اصابته ، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام •

ع

وأبو اليقظان عمار بن ياسر • وعمار بن ابي سلمة الدالاني المستشهد
كما في ترجمته من الاصابة بين يدي الحسين عليه السلام يوم الطف •
والعباس بن عبدالمطلب • وعقيل بن ابي طالب • وعمارة بن حمزة بن
عبد المطلب • وعون بن جعفر بن ابي طالب • وعتبة ابن ابي لهب •
وعبدالله بن العباس • وعبدالله بن جعفر • وعبدالله بن حنين بن أسد بن
هاشم • وعبدالله بن الزبير بن عبدالمطلب • وعبدالله بن ربيعة بن الحرث بن
عبدالمطلب • وعبدالله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب • وعبدالله

ابن نوفل بن الحرث بن عبدالمطلب • وعبدالله بن الحرث بن نوفل بن الحرث
 ابن عبدالمطلب • وعبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب • وعبيدالله بن نوفل بن
 الحرث بن عبدالمطلب • وعبدالله بن يقطر ، وفي الاصابة بن يقظة وهو رضيع
 الحسين عليه السلام ، وقد استشهد في سبيل نصرته • وعبدالله بن ذباب
 المذحجي • وعبدالله بن سلمة الكندي • وعبدالله بن الطفيل العامري • وعبدالله
 ابن بديل الخزاعي • وعبدالله بن مسعود الهذلي • وعبدالله بن خباب بن الارت
 التميمي • وعبدالله بن عبد المدان الحارثي • وعبدالله بن كعب الحارثي •
 وعبدالله بن حوالة الازدي المذكور في الجزء الاول من أمل الآمل • وعبدالله
 ابن سهل بن حنيف • وعبدالله بن ورقاء السلولي • وعبيد الله بن سهل
 الانصاري النبتي • وعبيدالله بن ابي رافع • وعبيد بن التيهان ، ويسمى
 عتيكا الانصاري • وعبيد بن عازب • وعبيدة بن عمرو السلماني • وعمارة
 ابن شهاب الثوري • وعمرو بن ابي سلمة ، ربيب النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم • وعمرو بن الحقم الخزاعي • وعمرو بن أنس الانصاري • وعمرو
 ابن شراحيل • وعمرو بن عميس بن مسعود • وعمرو بن فروة بن عوف
 الانصاري • وعمرو بن محصن وعمرو بن هبيرة المخزومي • وعمرو بن سلمة
 المرادي ، ذكر ابن حجر في ترجمته من الاصابة أنه قتل مع حجر ، وفيه نظر
 لا يخفى على أهل العلم • وعمرو بن عريب الهمداني • وعمرو بن مرة النهدي •
 وعبدالرحمن بن عباس بن عبدالمطلب • وعبدالرحمن بن بديل الخزاعي •
 وعبدالرحمن بن ابزي الخزاعي • وعبدالرحمن بن حسل الجمحي • وعبدالرحمن
 ابن خراش الانصاري • وعبدالرحمن بن السائب المخزومي • وعبدالرحمن
 ابن عبد رب الانصاري ، ذكره ابن عقدة في كتاب الموالاتة فيمن سمع النص

يوم الغدير ، وشهد به في الرحبة لأمير المؤمنين ، كما في الاصابة وغيرها •
 وعدي بن حاتم الطائي • وعثمان بن حنيف الانصاري • وعروة بن نمران
 ابن الفضفاض بن عمرو بن قعاس بن عبد يغوث المرادي ثم العطيفي ، وهو
 أبو هاني بن عروة الشهيد في سبيل سيد الشهداء دفاعا عن مسلم بن عقيل •
 وعروة بن زيد الخيل • وعروة بن شفاف بن شريح بن سعد بن حارثة بن لام
 الطائي الذي شهد قتال الخوارج مع أمير المؤمنين فقال له : لا يفلت منهم
 عشرة ولا يقتلون منا عشرة ، فكان الامر كذلك ، وكان عروة هذا فيمن قتل
 يومئذ رحمه الله تعالى • وعروة بن مالك السلمي أحد الذين رثاهم أمير المؤمنين
 عليه السلام بقوله :

بريد وعبد الله منهم ومالك وعروة ابنا مالك في الاكارم
 وعطية الذي ذكره الاسماعيلي في الصحابة • وعتبة بن الدغل الثعلبي •
 وعلباء بن الهيثم بن جرير • وعوف وهو مسطح بن اثالة المطلبي • وعنترة
 السلمي الذكواني • والعلاء بن عمرو الانصاري • وعقبة بن عمرو بن ثعلبة
 الانصاري • وابو الطفيل عامر بن واثلة الكناني • وعبادة بن الصامت بن
 قيس الانصاري • وعلي بن ابي رافع القبطي •

ف

والفضل بن العباس بن عبدالمطلب • وفروة بن عمرو بن ودقة الانصاري
 والفاكه بن سعد بن جبير الانصاري •

ق

وقيس بن سعد بن عبادة الانصاري • وقيس بن المكشوح البجلي •
 وقيس بن خرشة القيسي • وقيس بن ابي قيس • وقثم بن العباس بن

عبدالمطلب • وقرضة بن كعب الانصاري •

ك

وكعب بن عمرو بن عباد الانصاري المعروف بأبي اليسر •

م

والمقداد بن عمرو الكندي • والمغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب •
ومالك و متمم ابنا نويرة • ومالك بن التيهان • ومهاجر بن خالد بن الوليد
المخزومي ، رضع حب الوصي من لبن أمه وكانت من الشيعة ، وهي بنت
أنس بن مدرك بن كعب الذي ذكرناه سابقا في حرف الالف • ومخنف بن
سليم وهو جد أبي مخنف الغامدي • ومحمد بن أبي بكر بن ابي قحافة
التميمي • والمسور بن شداد بن عمير القرشي • ومرداس بن مالك الاسلمي •
والمسيب بن نجية بن ربيعة الفزاري الشهيد في طلب ثار سيد الشهداء مع
سليمان بن صرد الخزاعي •

ن

ونعيم بن مسعود بن عامر الاشجعي • ونضلة بن عبيد الاسلمي •

هـ

وهاشم المرقال بن عتبة بن ابي وقاص الزهري • وهالة بن ابي هالة •
وابنه هند التميميان • وهاني بن عروة بن الفضفاض بن نمران بن عمرو بن
حفص بن عبد يغوث المرادي ، الشهيد في سبيل الدفاع عن مسلم بن عقيل ،
ذكره في القسم الثالث من الاصابة • وهاني بن نيار حليف الانصار •

و

والوليد بن جابر بن ظالم الطائي • ووداعة بن ابي زيد الانصاري •

وإبو جحيفة وهب بن عبدالله السوائي ♦

ي

ويعلى بن حمزة بن عبدالمطلب الهاشمي ♦ ويعلى بن عمير النهدي ♦
 ويزيد بن طعمة الانصاري ♦ ويزيد بن نويرة الانصاري ♦ ويزيد بن حوثة
 الانصاري وآخرون يعرفهم المتتبعون ♦

على أنا تتولى من الصحابة كل من سبق في عدم تشيعه بشبهة اضطرت
 الى الحياد أو الى مسابقة أهل السلطة بقصد الاحتياط على الدين ، وهم
 كثيرون جداً فكيف ترمى الشيعة بعد هذا ببغض الصحابة كافة (سبحانك
 هذا بهتان عظيم) ♦

نعم هناك جماعة نافقوا في صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 وظهر نفاقهم بما أحدثوه بعده من الأحاديث العظيمة، وبما نصبوه لعلي ولسائر
 أهل البيت من العداوة والبغضاء ، حتى كان ما كان « ومن أهل المدينة مردوا
 على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم » وقد تواترت الاخبار عن أئمتنا الأبرار
 بردتهم ، وحسبك في إثبات ذلك ما أخرجه البخاري في باب الحوض وهو في
 آخر كتاب الرقاق من الجزء الرابع من صحيحه عن أبي هريرة قال : قال
 رسول الله (ص) بينا أنا قائم (يعني يوم القيامة على الحوض) فإذا زمرة
 حتى إذا عرفتهم ، خرج رجل من بيني وبينهم فقال : هلم ♦ فقلت : أين ؟ قال :
 الى النار والله ♦ قلت : وما شأنهم ؟ قال : انهم ارتدوا بعدك على أدبارهم
 القهقري ، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال :
 هلم ♦ قلت : أين ؟ قال : الى النار والله ♦ قلت : ما شأنهم ؟ قال : انهم ارتدوا
 بعدك على أدبارهم القهقري ، فلا أراه يخلص منهم الا مثل همل النعم اه ♦

وأخرج البخاري في باب الحوض عن أبي هريرة أيضا أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يرد علي يوم القيامة رهط من اصحابي فيحلبون عن الحوض فأقول : يارب اصحابي ♦ فيقول : انك لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، انهم ارتدوا على أعقابهم القهقري اه ♦

وأخرج في الباب المذكور أيضا عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ليردن علي ناس من اصحابي الحوض حتى عرفتهم اختلجوا دوني فأقول : اصحابي ♦ فيقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك اه ♦

وأخرج في الباب المذكور أيضا عن سهل بن سعد قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اني فرطكم على الحوض من مر علي شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا ، وليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم ♦ قال البخاري : قال ابو حازم : فسمعت النعمان بن ابي عياش فقال : هكذا سمعت من سهل ؟ فقلت : نعم ♦ فقال : أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها : فأقول انهم مني ♦ فيقال : انك لا تدري ما أحدثوا بعدك ♦ فأقول : سحقا سحقا لمن غير بعدي اه ♦

وأخرج في آخر الباب المذكور عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالت : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم ، وسيؤخذ ناس دوني فأقول : يا رب مني ومن أمتي ♦ فيقال : هل شعرت ما عملوا بعدك ، والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم ♦ قال البخاري : فكان ابن ابي ملكية يقول : اللهم انا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا ونقتن عن ديننا اه ♦

وأخرج أيضا في باب غزوة الحديبية من الجزء الثالث من صحيحه عن

العلاء بن المسيب عن أبيه قال : لقيت البراء بن عازب رضي الله عنهما فقلت : طوبى لك صحبت النبي وبايعته تحت الشجرة • فقال: يا بن أخي انك لا تدري ما أحدثنا بعده اه •

وأخرج أيضا في أول باب قوله تعالى : « واتخذ الله ابراهيم خليلا » من كتاب بدء الخلق من الجزء الثاني من صحيحه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : انكم تحشرون حفاة عراة غرلا (٢٧) ثم قرأ « كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين » وأول من يكسى يوم القيامة ابراهيم ، وان ناسا من اصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : أصحابي أصحابي • فيقال : انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم • فأقول كما قال العبد الصالح : « وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم » الى قوله « الحكيم » •

ومن وقف على ما أخرجه الامام احمد من حديث أبي الطفيل في آخر الجزء الخامس من مسنده يعلم أن فيهم قوما دحرجوا الدباب ليلة العقبة لينفروا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ناقته « وهموا بما لم ينالوا وما تقموا الا أن اغناهم الله ورسوله من فضله » ومن تلا سورة التوبة يعلم بأنهم ابتغوا الفتنة من قبل ، وقلبوا الامور لرسول الله (ص) حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون « ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون • لو يجدون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤون رسول الله لهم عذاب أليم • يحلفون بالله لكم ليرضوكم ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا

مؤمنين أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يَحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنْ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ
 الْخِزْيُ الْعَظِيمُ » • « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ
 وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤْنَ » • « وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ
 لَنُصَدِّقُنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ
 مُعْرِضُونَ • فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ
 وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ » • « الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ
 وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ • اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ » • « وَلَا
 تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ • وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ
 بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ • وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ
 وَجَاهَدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطُّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ
 الْقَاعِدِينَ • رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ »
 « سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَعَرَّضُوا عَنْهُمْ فَأَعَرَّضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ
 رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ • يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضُوا عَنْهُمْ
 فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ » إِلَى آخِرِ السُّورَةِ
 الدَّالَّةِ عَلَى فَشْوِ النَّفَاقِ فِيهِمْ •

فَمَا أَدْرِي كَيْفَ صَارَ كُلُّ مَنْ كَانَتْ لَهُ صَحْبَةٌ ثَقَّةً عَدَلًا بِمَجْرَدِ أَنْ مَاتَ

(٢٧) قَالَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : وَفِي الْحَدِيثِ « يَحْشُرُ النَّاسَ عِرَاقَةَ حَفَاةٍ

غَرَلًا بِهِمَا » أَيُّ قَلْقَا ، وَالْغَرْلُ جَمْعُ الْغَرْلِ : وَهُوَ الَّذِينَ لَمْ يَخْتَن •

تَمَّتِ التَّعْلِيقَةُ بِقَلَمِ مُؤَلِّفِهَا الْأَقْلَ الْأَحْقَرِ عَبْدِ الْحُسَيْنِ شَرَفِ الدِّينِ الْمَوْسَوِيِّ
 الْعَامِلِيِّ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي الْبَدءِ وَفِي الْخَتَامِ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ
 مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الْكَرَامِ •

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » الذين شكروا نعمة الرسالة فلم ينقلبوا ولم يحدثوا بعد الرسول (ص) حدثا ، ولم يغيروا ولم يبدلوا واستقاموا على ما أمرهم الله تعالى به ورسوله « وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون . أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم » وهم في غنى عن مدحة المادحين وتقريظ الواصفين بما لهم من تأييد الدين ونشر دعوة الحق المبين ، فمودتهم واجبة والدعاء لهم فريضة « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم » ♦

تمت والحمد لله بقلم مؤلفها أقل خدمة الدين الاسلامي واحقر سدنة المذهب الامامي عبدالحسين ابن الشريف يوسف ابن الشريف جواد ابن الشريف اسماعيل ابن الشريف محمد ابن الشريف محمد ابن الشريف ابراهيم ويلقب بشرف الدين ابن الشريف زين العابدين ابن الشريف علي بن علي بن الحسين المعروف بابن أبي الحسن الموسوي العاملي عامله الله بالطافه الخفية ♦

وكان تأليفها في مدينة صور من جبل عامل سنة ١٣٢٧ وقد أضفنا اليها في هذه الطبعة فصلين كاملين وهما الفصل ٧ والفصل ١١ لم يكونا في الطبعة الاولى ، وزدنا في غصون بقية الفصول مطالب جمة وفوائد مهمة ولا سيما في فصل المتأولين وهو الفصل ٨ ، والحمد لله أولا وآخرأ وصلى الله على خيرته من عباده محمد وآله الميامين من رجاله وسلم تسليما كثيرا ♦

الكلمة الغراء

في

تفضيل الزهراء

(عليها السلام)

تأليف

الإمام عبد الحسين شرف الدين الموسوي
قدس الله سره

دار النعمان في النجف

للطباعة والنشر

صاحبها حسن الشيخ إبراهيم الكتبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وسلم
تسليماً كثيراً ♦

وبعد فهذه هي (الكلمة الغراء) في تفضيل فاطمة الزهراء عليها السلام ،
ألقيتها (١) جواباً لمن سألتني فقال :

هل للإمامية دليل يعتبره خصومهم في تفضيل فاطمة الزهراء على سائر
هذه الأمة ، وما ذلك الدليل والحجة ؟ ارجو التفصيل :

فقلت بسم الله الرحمن الرحيم

ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، وتلك السنة لا شبهة فيها لأحد
من المسلمين ، وناهيك بهما قولاً فصلاً لا يجعله جاحد ، وحكماً عدلاً
لا يكابره معاند ، فهنا مطلبان :

المطلب الاول

في دلالة الكتاب ، وحسبك من محكماته البينات آية المباهلة وآية
التطهير وآية المودة في القربى وآيات الابرار أدلة قاطعة تظل أعناق الورى
لها خاضعة ، فهنا فصول أربعة :

(١) بسم الله وعلقت عليها تعليقة تكشف عن دقائق اغراضها ولطيف
اشاراتنا ، وجعلتها تحت الخط في أسفل صفحاتها فلا تفوتن الباحثين مطالعتها ♦
عبد الحسين شرف الدين الموسوي

الفصل الاول

في آية المباهلة ، وهي قوله عز من قائل في سورة آل عمران : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » •

أجمع أهل القبلة حتى الخوارج منهم ، على ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يدع للمباهلة من النساء سوى بضعته الزهراء ، ومن الابناء سوى سبطيه وريحائتيه من الدنيا ، ومن الانفس الا أخاه الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى ، فهؤلاء أصحاب هذه الآية بحكم الضرورة التي لا يمكن جحودها لم يشاركهم فيها أحد من العالمين ، كما هو بديهي لكل من ألم بتاريخ المسلمين وبهم خاصة نزلت (٢) لا بسواهم •

فبأهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهم خصومه من أهل نجران فبهمهم — وامهات المؤمنين رضي الله عنهم كن حينئذ في حجراته صلى الله عليه وآله وسلم ، فلم يدع واحدة منهم وهن برأى منه ومسمع ، ولم يدع صفية وهي شقيقة أبيه وبقية اهليه ، ولا أم هاني ذات الشأن والمكانة وهي

(٢) فيما علمه المسلمون واخرجه المحدثون عن اعلام الصحابة رضي الله عنهم ، وقد رواه الامام الواحدي في كتابه أسباب النزول بسنده عن جابر ابن عبد الله — وكان الشعبي يفسر الآية فيقول : ابناؤنا الحسن والحسين ، ونساءنا فاطمة ، وانفسنا علي بن ابي طالب رضي الله عنهم • كذا في صفحة ٧٥ من أسباب النزول للواحدي حيث ذكر فيه آية المباهلة • واخرج الدارقطني كما في الآية التاسعة من الآيات التي أوردها ابن حجر في الباب ١١ من صواعقه أن عليا يوم الشورى احتج على أهلها فقال لهم : أشدكم بالله هل فيكم أحد جعله الله نفس النبي وابناؤه ونساءه ونساءه غيري ؟ قالوا : اللهم لا الحديث •

كريمة عمه الفارج لعمه ذي الايادي التي هي من المسلمين طوق الهوادي ،
ولا دعا غيرها من عقائل الشرف والمجد وخفرات عمر العلي وشيية الحمد ،
ولا واحدة من نساء الخلفاء الثلاثة وغيرهم من المهاجرين والانصار •

كما انه لم يدع مع سيدي شباب أهل الجنة أحدا من أبناء الهاشميين ،
على أنهم كانوا (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) ولا دعا أحدا من أبناء
الصحابة على كثرتهم ووفور فضلهم •

وكذلك لم يدع من الانفس مع علي عمه وصنو ابيه العباس بن
عبدالمطلب وهو شيخ الهاشميين واجود القرشيين واعظم الناس (٣) عند
رسول الله (ص) بل لم يدع أحدا من كافة عشيرته الاقربين ولا واحدا من
السابقين الاولين رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، وكانوا بمرأى من المباهلة
ومسمع ومنتدى من اهلها ومجمع ، فلم ينتدب وأحدا منهم مع من انتدبهم
اليها ، بل لم ينتدب أحدا من سائر أهل الارض بالطول والعرض ، وانما
خرج (ص) كما نص عليه الرازي في تفسيره الكبير وعليه مرط من شعر
أسود وقد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تشي خلفه وعلي خلفها
وهو يقول : اذا أنا دعوت فأمنوا • فقال اسقف نجران : يا معشر النصارى
اني لارى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا لازاله بها فلا تباهلوهم فتهلكوا
ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة (٤) •

(٣) فيما أخرجه البغوي في ترجمة ابي سفيان بن الحارث عن ابيه كما
في ترجمة العباس من الاصابة •

(٤) وهذا الحديث ذكره المفسرون والمحدثون واهل السير والاخبار
وكل من ارخ حوادث السنة العاشرة للهجرة وهي سنة المباهلة • قال الرازي
بعد ايراده في تفسيره الكبير : واعلم ان هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين
اهل التفسير والحديث • قلت : بل هي كالضروريات لديهم فلا يجهلها منهم

بخ بخ ان من وقف على هذه الوهلة العظيمة والروعة الشديدة التي رهقت أعلام نجران • ومثلي دينها ودنياها (٥) بمجرد ان برز أصحاب الكساء لمباهلتهم يعلم ان لمحمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم جلالة ربانية تغشى الابصار ومهابة روحانية يخفض لها جناح الذل والصغار ، ألا ترى أولئك الابطال « وهم ستون فارسا من اسود الشرى وليوث الوغى » كيف ارتعدت فرائصهم قلقا وانخلعت قلوبهم فرقا ، ونادى عظيمهم بما سمعت

أحد • وقد تصدى سيدنا الشريف المقدس ابن طاوس لتفصيل المباهلة ومقدماتها وما كان قبلها في نجران من المؤامرات والمناظرات في جلساتهم المتعددة المنعقدة لذلك حين دعاهم سيد الانبياء والمرسلين الى الله تعالى وأرسل اليهم في ذلك رسله ، فليراجع كتاب الإقبال من أراد الوقوف على تفصيل تلك الاحوال ليرى أعلام النبوة وآيات الاسلام وبشائر النبين بسيدهم محمد (ص) وبعترته الطيبين الطاهرين وبذريته المباركة من بضعته سيدة نساء العالمين • وكنت اردت ان اخرج هذه القضية من كتاب الإقبال وانشرها كرسالة على حدة تعميما لفوائدها وتسييلا لطالبيها ، ولعل بعض اهل الهمم العالية ممن حبسوا نفوسهم على نشر الحق يسبقني الى ذلك فأكون قد فزت بتنبيهه الى هذه المهمة ان شاء الله تعالى •

(٥) اذ وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم ثياب الجبرات جبابا واردية ، يقول بعض من رآهم من اصحاب رسول الله (ص) ما رأينا وفدا مثلهم ، وكان فيهم أربعة عشر رجلا هم زعماء القوم ، وفي الاربعة عشر ثلاثة نفر اليهم يؤول الامر في نجران ، وهم « السيد » واسمه الايهم وهو امامهم وصاحب رحلهم ، و « العاقب » وهو أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رأيه واسمه عبد المسيح ، و « أبو حارثة ابن علقمة » وهو اسقفهم وجبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم وكنائسهم ، وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم ، وكانت ملوك الروم قد شرفوه ومولوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده • نقل ذلك كله الامام الواحد في كتابه اسباب النزول وغير واحد من المفسرين واهل الاخبار •

هلوعا جزوعا • وهذا ليس الا للجلالة الربانية والعظمة الروحانية التي ادركها خصمهم من اول نظرة الى وجوههم المباركة ، فكأن الجلالة والعظمة والمهابة والابهة وقرب المنزلة من الله والكرامة عليه مكتوبة بنوره تعالى ، في اسارير جبهاتهم الميمونة ومعنونة في صفحات وجناتهم الكريمة ، واني لاعجب والله من المسلم لا يقدر هذا المقام قدره •

وأنت تعلم ان مباہلته صلى الله عليه وآله وسلم بهم والتماسه منهم التأمين على دعائه بمجرد فضل عظيم ، وانتخابه اياهم لهذه المهمة العظيمة واختصاصهم بهذا الشأن الكبير واشارهم فيه على من سواهم من اهل السوابق فضل على فضل لم يسبقهم اليه سابق ، ولن يلحقهم فيه لاحق • ونزول القرآن العزيز أمرا بالمباهلة بهم بالخصوص فضل ثالث ، يزيد فضل المباہلة ظهورا ويضيف الى شرف اختصاصهم بها شرفا والى نوره نورا •

وهناك نكتة يعرف كتبها علماء البلاغة ويقدر قدرها الراسخون في العلم العارفون باسرار القرآن ، وهي ان الآية الكريمة ظاهرة في عموم الانباء والنساء والانفس كما يشهد به علماء لبيان ، ولا يجهله أحد ممن عرف ان الجمع المضاف حقيقة في الاستغراق ، وانما اطلقت هذه العمومات عليهم بالخصوص تبيانا لكونهم ممثلي الاسلام واعلانا لكونهم اكمل الانام واذا ان كانوا صفوة العالم وبرهاننا على انهم خيرة الخيرة من بني آدم ، وتنبيها الى ان فيهم من الروحانية الاسلامية والاخلاص لله في العبودية ، ما ليس في جميع البرية ، وان دعوتهم الى المباہلة بحكم دعوة الجميع ، وحضورهم خاصة فيها منزل منزلة حضور الامة عامة وتأمينهم على دعائه مغن عن تأمين من عداهم ، وبهذا جاز التجوز باطلاق تلك العمومات عليهم بالخصوص • ومن

غاص على اسرار الكتاب الحكيم وتدبره ووقف على اغراضه يعلم ان اطلاق هذه العمومات عليهم بالخصوص انما هو على حد قول القائل :

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

ولذا قال الزمخشري في تفسير الآية من كشافه : وفيه دليل لا شيء

اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام اه •

بقيت نكتة يجب التنبيه لها ، وحاصلها : ان اختصاص الزهراء من النساء

والمرتضى من الانفس — مع عدم الاكتفاء باحد السبطين من الابناء — دليل

على ما ذكرناه من تفضيلهم عليهم السلام ، لان عليا وفاطمة لما لم يكن لهما

نظير في الانفس والنساء كان وجودهما مغنيا عن وجود من سواهما ، بخلاف

كل من السبطين ، فان وجود احدهما لا يغني عن وجود الآخر لتكافئهما •

ولذا دعاهما (ص) جميعا ، ولو دعا احدهما دون صنوه كان ترجيحا بلا

مرجح ، وهذا ينافي الحكمة والعدل • نعم لو كان ثمة من الابناء من يساويهما

لدعاه معهما ، كما انه لو كان لعلي نظير من الانفس أو لفاطمة من النساء لما

حباهما ، عملا بقاعدة الحكمة والعدل والمساواة •

بقي مما دلت عليه الآية من خصائص علي عليه السلام فضل تضحل

دونه الخصائص وتفننى في جنبه الفضائل والمناقب ، ألا وهو كونه نفس

النبي (ص) وجاريا بنص الآية مجراه ، الفضل الذي تعنو له الجباه بخوعا

وتطا من لديه المفارق خشوعا ويملاؤ الصدور هيبة واجلالا وتضاغر دونه الهمم

يأسا من بلوغ مداه ، «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» •

وأنت هداك الله اذا عرفت ان الله تبارك وتعالى قد أنزل نفس النبي

واجراها في محكم الذكر مجراها ، لا ترتاب حينئذ في أنه أفضل الامة واولاها

برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيا وميتا ، وقد صرح أولياء أهل البيت واعترف اعداؤهم بدلالة الآية على هذا التفضيل الخالد في القرآن ذكره والطيب في بينات الفرقان نشره ، حتى ان الرازي مع غرامه بنقض المحكمات وهيامه في التشكيك والشبهات ، لم يناقش في دلالتها على هذا المقدار من تفضله عليه السلام ، وانما ناقش المحمود بن الحسن حيث صرح بدلالاتها على تفضيله على من كان قبل محمد من الانبياء عليه وعليهم السلام .

واليك عبارة الرازي بعين لفظه قال : ^(٦) كان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان معلم الاثني عشرية ، وكان يزعم ان عليا رضي الله عنه أفضل من جميع الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وآله وسلم واستدل على ذلك بقوله تعالى : « وأنفسنا وأنفسكم » اذ ليس المراد بقوله « وأنفسنا » نفس محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لان الانسان لا يدعو نفسه بل المراد غيرها ، وأجمعوا على ان ذلك الغير كان علي بن ابي طالب (رض) فدلّت الآية على ان نفس علي هي نفس محمد ^(٧) ولا يمكن ان يكون المراد ان هذه النفس هي عين تلك ، فالمراد ان هذه النفس مثل تلك النفس ، وذلك يقتضي المساواة في جميع الوجوه ، تركنا العمل بهذا العموم في حق النبوة

(٦) في تفسير آية المباهلة فراجع صفحة ٤٨٨ من الجزء الثاني من تفسيره الكبير « مفاتيح الغيب » ، والرازي هذا هو الخطيب محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي .

(٧) كما قيل في مديحه عليه السلام :

وهو في آية التباهل نفس الـ مصطفى ليس غيره اياها
ولعلك اذا ضمنت قوله « وأنفسنا » الى قوله تعالى « ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه » وأمعنت النظر في الآيتين ينجلي لك من الاسرار ما كان خفيا .

وفي حق الفضل لقيام الدلائل على ان محمدا عليه الصلاة والسلام كان نبيا وما كان علي كذلك، ولا انعقاد الاجماع على ان محمدا عليه السلام كان أفضل من علي (رض) فبقي فيما وراءه معمولا به • ثم الاجماع دل على ان محمدا عليه السلام كان أفضل من سائر الانبياء عليهم السلام ، فيلزم ان يكون علي أفضل من سائر الانبياء •

فهذا وجه الاستدلال بطواهر هذه ، وأمعن النظر تجده قد أوضح دلالة الآية على ذلك غاية الايضاح ، ونادى (من حيث لا يقصد) حي على الفلاح لم يعارض الشيعة فيما نقله عن قديمهم وحديثهم ولا ناقشهم فيه بكلمة واحدة ، فكأنه أذن لقولهم واعترف بدلالة الآية على رأيهم ، وانما ناقش المحمود بن الحسن كما لا يخفى على ان الاجماع الذي صال به الرازي على المحمود لا يعرفه المحمود ومن يرى رأيه فافهم •

الفصل الثاني

في آية التطهير وهي قوله جل وعلا في سورة الاحزاب : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » لا ريب في ان أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم في هذه الآية انما هم الخمسة « اصحاب الكساء » ، وكفاك هذا برهانا على انهم أفضل من اقلته الارض يومئذ ومن اظلمته السماء • ألا وهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وصنوه الجاري بنص الذكر مجرى نفسه ، وبضعته التي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها، وريحاته من الدنيا سبطاه الشهيدين سيدا شباب أهل الجنة ، فهؤلاء

هم أصحاب هذه الآية البينة ^(٨) بحكم الأدلة القاطعة والحجج الساطعة ، لهم يشاركهم فيها أحد من بني آدم ، ولا زاحمهم تحت كسائها واحد من هذا العالم .

وقد أورد الامام جلال الدين السيوطي ^(٩) في تفسير هذه الآية من كتابه « الدر المنثور » عشرين رواية من طرق مختلفة في أن المراد من أهل البيت هنا انما هم الخمسة لا غير ، وذكر ابن جرير في تفسيره ^(١٠) خمس عشرة رواية بأسانيد مختلفة في قصر الآية عليهم بالخصوص .

وحسبك في ذلك قول رسول الله ^(١١) (ص) : انزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي والحسن والحسين وفاطمة ^(١٢) . وقد أجمعت كلمة أهل القبلة من أهل المذاهب الاسلامية كلها على انه (ص) لما نزل الوحي بها عليه ، ضم ^(٨) صرح بذلك أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم فيما ذكره الامام البغوي وابن الخازن وكثير من المفسرين كما في المقصد الاول من الشرف المؤبد لآل محمد ومؤلفه يوسف بن اسماعيل المعاصر النبهاني . ومن اراد تفصيل القول بنزول هذه الآية في الخمسة بالخصوص فعليه برشفة الصادي للامام ابي بكر بن شهاب الدين العلوي رضي الله عنه .

(٩) كما في المقصد الاول من الشرف المؤبد .

(١٠) كما في الشرف المؤبد أيضا .

(١١) فيما اخرجه ابن جرير والطبراني بأسانيدهم اليه (ص) وقد ذكره ابن حجر في تفسير الآية من صواعقه والنبهاني في صفحة ٧ من الشرف المؤبد . (١٢) واخرج الامام احمد بن حنبل كما في تفسير الآية من الصواعق عن ابي سعيد الخدري انها نزلت في خمسة النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، واخرجه عن ابي سعيد أيضا الامام الواحدي عند بلوغه للآية من كتابه (اسباب النزول) والامام الثعلبي في تفسيره الكبير وكثيرون من المحدثين والمفسرين .

سبطيه واباهما وامهما اليه ثم غشاهم ونفسه بذلك الكساء ، تميزا لهم عن سائر الابناء والانفس والنساء ، فلما انفردوا تحته عن كافة اسرته واختجبوا به عن بقية امته بلغهم الآية وهم على تلك الحال حرصا على ان لا يطمع بمشاركتهم فيها أحد من الصحابة والآل . فقال مخاطبا لهم وهم معه في معزل عن كافة الناس : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » ، فأزاح (ص) بحجبهم في كسائه حينئذ حجب الريب وهتك سدف الشبهات ، فبرح الخفاء بحكمته البالغة وسطعت أشعة الظهور ببلاغه المبين .
والحمد لله رب العالمين .

ومع ذلك لم يقتصر (ص) على هذا المقدار من توضيح اختصاص الآية بهم عليهم السلام ، حتى أخرج يده من تحت الكساء ، فألوى بها الى السماء فقال : اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، يكرر ذلك وام سلمة تسمع وترى اذ كان نزول الآية وقضية الكساء في بيتها ، فقالت : وأنا معكم يا رسول الله ، ورفعت الكساء لتدخل فجذبه (١٣) من

(١٣) اخرج الامام احمد بن حنبل في صفحة ٣٢٣ من الجزء السادس من مسنده عن ام سلمة قالت : ان رسول الله (ص) قال لفاطمة : ائتني بزوجك وابنيك ، فجاءت بهم فألقى عليهم كساء فدكيا ثم وضع يده عليهم ثم قال : اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد انك حميد مجيد . قالت : فرفعت الكساء لادخل معهم فجذبه من يدي وقال انك على خير اه .

وهذا الحديث رواه بالاسناد الى أم سلمة أيضا ابو اسحاق الثعلبي في تفسيره وغير واحد من المفسرين والمحدثين . واخرج الامام احمد من حديث أم سلمة في صفحة ٢٩٢ من الجزء السادس من مسنده ان رسول الله (ص) كان في بيتها فأنته فاطمة ببرمة فيها حريرة فقال لها : ادعي زوجك وابنيك . قالت أم سلمة : فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون معه وهو على منامة له ، على

يدها وقال : انك على خير ، وفي ذلك كله صبحاح متواترة من طريق العترة الطاهرة .

فيا أهل البصائر برسول الله (ص) العارفين بمبلغه من الحكمة والعصمة المقدرين قدر أفعاله واقواله هل تجدون وجها لحصرهم تحت الكساء عند

دكان تحته كساء خيبري . قالت : وانا اصلي في الحجرة ، فأنزل الله عز وجل « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » قالت : فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم اخرج يده فالوى بها الى السماء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . قالت : فأدخلت رأسي البيت فقلت : وانا معكم يا رسول الله . قال : انك الى خير انك الى خير اه .

وهذا الحديث أخرجه الامام الواحدي في تفسير الآية من كتابه أسباب النزول ، فراجع منه صفحة ٢٦٧ ، وأخرجه ابن جرير في تفسير الآية من تفسيره الكبير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني وغيرهم . وأخرج الترمذي والحاكم وصحاحه وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في سننه من طرق عديدة عن أم سلمة قالت : في بيتي نزلت هذه الآية وفي البيت علي وفاطمة والحسن والحسين ، فجللهم رسول الله (ص) بكساء كان عليه ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اه .

وأخرج مسلم في باب فضائل علي من صحيحه عن عامر بن سعد بن ابي وقاص قال : أمر معاوية بن ابي سفيان سعدا فقال : ما منعك أن تسب أبا تراب ؟ فقال : أما ذكرت ثلاثا قالهن رسول الله (ص) فلن اسبه ، لان تكون لي واحدة منهن احب الي من حمر النعم : سمعت رسول الله (ص) يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه فقال له علي : يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان ؟ فقال له رسول الله (ص) : أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبوة بعدي . وسمعتة يقول يوم خيبر : لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، فتناولنا لها فقال ادعوا لي عليا فأتي به ارمد فبصق في عينيه ودفع الراية اليه ففتح الله عليه . ولما نزلت هذه الآية « قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم » دعا رسول الله عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال : اللهم هؤلاء أهلي اه .

تبليغهم الآية عن الله تعالى الا المبالغة البليغة في توضيح ماقلناه من اختصاصها وامتيازهم بها عن العالمين ؟ وهل تفهمون من قوله « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » الا الحصر بهم والقصر عليهم ؟ وهل ترون وجها لجذب الكساء من يد أم سلمة ومنعها من الدخول معهم على جلالة قدرها وعظم شأنها الا الذي ذكرناه ؟ فأين تذهبون واني تؤفكون » انه لقول رسول كريم • ذي قوة عند ذي العرش مكين • مطاع ثم أمين • وما صاحبكم بمجنون •

فيكون بحجبه اياهم في كسائه عابثا ، او يكون بقوله (ص) « اللهم هؤلاء أهل بيتي » هاذيا ، او يكون بجذبه الكساء من يد أم سلمة مجازفا ؟! حاشا لله « ان هو الا وحي يوحى • علمه شديد القوى » •

وقد تكررت منه (ص) قضية الكساء حتى احتمل بعض العلماء تكرار نزول الآية أيضا ، والصواب عندنا نزولها مرة واحدة ، لكن حكمة الصادق الامين في نصحه ببلاغه المبين اقتضت تكرير تلك القضية مرة في بيت أم سلمة

وأخرج مسلم أيضا في باب فضائل أهل البيت من صحيحه وهو في صفحة ٣٣١ من جزئه الثاني عن عائشة قالت : خرج رسول الله غداة وعليه مرط مرحل من شعر اسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا — اه •

وهذا الحديث أخرجه احمد من حديث عائشة في مسنده ، وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصاحب الجمع بين الصحيحين وصاحب الجمع بين الصحاح الستة ، ومن أراد المزيد فعليه برشفة الصادي للامام أبي بكر ابن شهاب الدين العلوي ، على ان في هذا المقدار كفاية لاولي الابصار •

عند نزول الآية (١٤) وتبلغها لاهلها المخاطبين فيها ، واخرى في بيت فاطمة (١٥) وفي كل مرة يتلو عليهم الآية مخاطبا لهم بها ، وهم في معزل عن الناس تحت ذلك الكساء درءاً للشبهة في نحور اهل الزينج .

وقد بلغ بأبي هو وأمي في توضيح اختصاص الآية بهم كل مبلغ ، وسلك في اعلان ذلك مسالك ينقطع معها شغب المشاغب ولا يبقى بعدها أثر لهذيان النواصب ، حتى كان بعد نزول الآية كلما خرج الى الفعير يسر ببيت فاطمة فيقول : الصلاة يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت

(١٤) كما تدل عليه الاحاديث التي سمعتها عن أم سلمة .
(١٥) ويدل عليه ما أخرجه الامام أحمد في صفحة ١٠٧ من الجزء الرابع من مسنده عن واثلة ابن الاسقع انه قال من جملة حديث : اتيت فاطمة أسألهما عن علي قالت ذهب الى رسول الله (ص) ، فجلست انتظره حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه علي وحسن وحسين آخذاً كل واحد منهما بيده ، فأدنى عليا وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ، ثم لف عليهم ثوبه — أو قال كساءه — ثم تلا « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويظهركم تطهيرا » وقال : اللهم هؤلاء اهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اه .

وقد أخرج هذا الحديث عن واثلة أيضا كل من ابن جرير في تفسيره الكبير وابن المنذر وابن أبي شيبة وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي في سننه والحاكم وصححه ، وغيرهم من حملة الآثار وحفظة الاخبار .

قال النبهاني في صفحة ٧ من كتاب الشرف الموبد ما هذا لفظه : وقد ثبت من طرق عديدة أن رسول الله (ص) جاء ومعه علي وفاطمة وحسن وحسين قد أخذ كل واحد منهما بيد حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا كل واحد على فخذه ، ثم لف عليهما كساء ثم تلا هذه الآية « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويظهركم تطهيرا » . قال النبهاني : قالت أم سلمة فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي فقلت : وأنا معكم يا رسول الله . فقال : انك من ازواج النبي على خير .

ويظهركم تطهيرا ، وقد استمر على هذا ستة أشهر في رواية أنس (١٦) ، وعن ابن عباس سبعة أشهر ، وفي رواية ذكرها النبهاني (١٧) وغيره ثمانية أشهر ، فصرح الحق عن محضه وبدا الصبح لذي عينين • لكن حثالة من اعداء أهل البيت وصنائع بني أمية ودعاة الخوارج ذهبوا في صرف الآية عن أهلها كل مذهب ، فقال بعضهم انها خاصة بنساء النبي (ص) وتشبثوا في ذلك بسياق الآية ، وبالعكس ومقاتل بن سليمان في الانتصار لهذا الرأي والاستدلال بالسياق عليه ، وكان عكرمة ينادي به في الاسواق (١٨) تحاملا على اصحاب الكساء ، ولا عجب فان عكرمة من الدعاة الى عداوة علي والسعاة في تضليل الناس عنه بكل طريق •

فعن يحيى بن بكير قال : قدم عكرمة مصر وهو يريد المغرب • قال :
فالخوارج الذين هم في المغرب عنه أخذوا ١٩ •

وعن خالد بن عمران قال : كنا في المغرب وعندنا عكرمة في وقت الموسم

(١٦) أخرج الامام احمد في صفحة ٢٥٩ من الجزء الثالث من مسنده عن أنس ابن مالك ان النبي (ص) كان يمر ببیت فاطمة ستة أشهر اذا خرج الى الفجر فيقول الصلاة يا أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا اه • واخرجه الحاكم وصححه والترمذي وحسنه وابن ابي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والطبراني وغيرهم عن أنس أيضا فراجع كتاب رشفة الصادي للامام أبي بكر بن شهاب الدين العلوي •
(١٧) في صفحة ٨ من الشرف المؤبد •

(١٨) فيما نقله عنه جماعة كثيرون منهم الواحد في كتابه أسباب النزول وابن حجر في صواعقه •

(١٩) نقل القاضي الجعابي حيث أتى على ذكر عكرمة في كتاب الموالي : ان عكرمة دخل في رأي الحرورية من الخوارج فخرج يدعو اليهم بالمغرب • وعن ابي علي الاهوازي كما في ترجمة عكرمة من معجم ياقوت : ان عكرمة كان يرى رأي الخوارج ويميل الى استماع الغناء • قال : وقيل انه كان

فقال : وددت ان بيدي حربة فاعترض بها من شهد الموسم يمينا وشمالا (لبنائه على كفر من عدا الخوارج من اهل القبلة) •

وعن يعقوب الحضرمي عن جده قال : وقف عكرمة على باب المسجد فقال : ما فيه الا كافر • قال : وكان يرى رأي الاباضية (وهم من غلاة الخوارج) • وعن ابن المديني : كان عكرمة يرى رأي نجدة الحروري (وكان نجدة من اشد الخوارج عداوة لأمر المؤمنين) •

وعن مصعب الزبيري : كان عكرمة يرى رأي الخوارج • وعن عطاء كان عكرمة اباظليا • وعن احمد بن حنبل أن عكرمة : كان يرى رأي الصفرية (وهم من غلاة الخوارج ايضا) •

وحدث ايوب عن عكرمة أنه قال : انما أنزل الله متشابه القرآن ليضل به فانظر الى آرائه ما اخبثها) •

وعن ابن أبي شعيب قال : سألت محمد بن سيرين عن عكرمة ؟ فقال : ما يستوي ان يكون من اهل الجنة ولكنه كذاب • وعن وهيب قال : شهدت يحيى ابن سعيد الانصاري وأيوب فذكرا عكرمة فقال يحيى : هو كذاب •

وعن ابن المسيب أنه كذب عكرمة • وعن عبد الله بن الحارث قال : دخلت على علي بن عبد الله بن العباس فاذا عكرمة في وثاق فقلت : ألا تتقي الله ؟ فقال : ان هذا الخبيث يكذب على أبي (٢٠) •

يكذب على موله •

(٢٠) هذا لفظ الذهبي في ميزان الاعتدال نقلا عن عبد الله بن الحارث ، والذي نقله ياقوت الرومي في ترجمة عكرمة من معجمه عن عبد الله بن الحارث قال : دخلت على علي بن عبد الله بن عباس وعكرمة موثق في باب الكيف فقلت : أتفعلون هذا بمولاكم ؟ فقال : ان هذا يكذب على ابي • ونقل ياقوت في آخر ترجمة عكرمة من معجمه أيضا عن يزيد بن زناد قال : دخلت على علي

وعن ابن المسيب انه قال لمولى له اسمه برد : لا تكذب عليّ كما كذب
عكرمة على ابن عباس • وعن ابن عمر انه قال ذلك ايضا لمولاه نافع •
وعن طاوس : لو ان عند عكرمة مولى ابن عباس تقوى من الله وكف من
حديثه لشدت اليه المطايا • وعن ابن ذؤيب : رأيت عكرمة وكان غير ثقة •
وعن يحيى بن سعيد قال : حدثوني والله عن أيوب انه ذكر له ان عكرمة
لا يحسن الصلاة ، فقال أيوب او كان يصلي • وعن محمد بن سعيد : كان
عكرمة كثير العلم وليس يحتاج بحديثه ويتكلم الناس فيه •
وعن مطرق بن عبد الله : سمعت ان مالكا يكره ان يذكر عكرمة ولا يرى
ان يروي عنه • وعن احمد بن حنبل : ما علمت ان مالكا حدث بشيء لعكرمة
الا في مسألة واحدة •

وعن سليمان بن معبد السنجي قال : مات عكرمة وكثير عزة في يوم واحد ،
فشهد الناس جنازة كثير وتركوا جنازة عكرمة (٢١) وعن الفضل الشيباني عن
رجل قال : رأيت عكرمة قائما في لعب النرد • وعن يزيد بن هارون : قدم عكرمة
البصرة فأتاه أيوب ويونس وسليمان فسمع عكرمة صوت غناء فقال : اسكتوا •
ثم قال : قاتله الله لقد أجاد ، فأما يونس وسليمان فما عادا اليه • • • الى آخر
ما هو مأثور عن هذا الرجل مما يدل على سقوطه ، فراجع ترجمته في ميزان
الاعتدال للذهبي فان فيها جميع ما قلناه الآن عنه •

ابن عبد الله بن مسعود وعكرمة مقيد على باب الحش قلت : ما لهذا كذا ؟
قال : انه يكذب على ابي اده • فهو بمقتضى هاتين الروايتين تارة يكذب على
ابن عباس فينكر عليه ابنه ويعزره ، وتارة يكذب على ابن مسعود فينكر عليه
ولده ويعزره •

(٢١) وعن الرياشي عن الاصمعي عن نافع المدني نحوه ، وعن ابن سلام
كما في معجم ياقوت : ان اكثر الناس كانوا في جنازة كثير •

على أن كل من ترجمه كالعسقلاني في مقدمة فتح الباري وابن خلكان في وفياته وياقوت الرومي في ارشاد الارب الى معرفة الاديب الموسوم بمعجم الادباء وغيرهم طعنوا فيه بنحو ما سمعت ، ولما ذكر الشهرستاني في كتاب الملل والنحل رجال الخوارج كان عكرمة اول رجل عده منهم •

وأما مقاتل فقد كان عدوا للأمير المؤمنين أيضا ، وكان دأبه صرف الفضائل عنه حتى افترض بذلك • قال ابراهيم الحربي كما في ترجمة مقاتل من وفيات ابن خلكان : قعد مقاتل بن سليمان فقال (اطفاء لنور أمير المؤمنين) سلوني عما دون العرش • فقال له رجل : اخبرني من حلق رأس آدم حين حج ؟ فبهت • وقال الجوزجاني كما في ترجمة مقاتل من ميزان الذهبى : كان مقاتل كذابا جسورا ، سمعت أبا اليمان يقول قدم هاهنا فأسند ظهره الى القبلة وقال : سلوني عما دون العرش •

قال : وحدث أنه قال بمثلها بمكة ، فقام اليه رجل فقال : اخبرني عن النملة أين أعاؤها ؟ فسكت • ونقل ابن خلكان هذه الحكاية في ترجمة مقاتل من وفياته من طريق سفيان بن عيينة ، وكان مقاتل مع ذلك كله من رجال المرجئة وغلاة المشبهة بنص جماعة منهم ابن حزم في صفحة ٢٠٥ من الجزء الرابع من كتابه « الفصل » ، وعده الشهرستاني في كتاب الملل والنحل من رجال المرجئة ، وقال الامام ابو حنيفة كما في ترجمة مقاتل من ميزان الاعتدال : افراط جهم في نفي التشبيه حتى قال : انه تعالى ليس بشيء ، وافراط مقاتل في معنى الاثبات حتى جعله مثل خلقه •

قال أبو حاتم بن حيان البستي كما في ترجمة مقاتل من وفيات ابن خلكان : كان مقاتل يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم ، وكان مشبها يشبه الرب بالخلقين • قال : وكان يكذب مع ذلك في الحديث • • •

الى آخر ما قاله أئمة الجرح والتعديل فيه ، ولهم فيه وفي عكرمة كلام أوضح من ذلك في الجرح واصرح منه في التضييل والقدح ، لكن المقام لا يسع الاستقصاء وهذا القدر كاف لما أردناه من سقوط الرجلين وفساد آرائهما وبطلان أقوالهما ، ولا سيما في هذا المقام فانه لا ينتظر منهما فيه الا ما يقتضيه الوغر والحقد ويستوجه الخروج والنصب ، ولا عجب منهما وانما العتب والعجب ممن أعتمد عليهما وهو يعرف كنههما ♦

أما ما تشبثا به من وقوع الآية في سياق الخطاب مع النساء فتضييل محض وتمويه مجرد ، وان أطب في تلفيقه وتزييقه صاحب نواذر الاصول وغيره من أعداء آل الرسول ، فانهم لم يألوا جهدا في تصويره وتزويره ولم يدخروا وسعا في تقريره وتحريره ، لكن مثلهم في ذلك « كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبیت العنكبوت لو كانوا يعلمون » ولنا في رده وجوه :

(الاول) أنه اجتهد في مقابل النصوص الصريحة والاحاديث المتواترة الصحيحة ، وقد سمعت بعضها ♦

(الثاني) انها لو كانت خاصة في النساء — كما يزعم هؤلاء — لكان الخطاب في الآية بما يصلح للاناث ، ولقال عز من قائل عنكن ويظهركن كما في غيرها من آياتهن فتذكير ضمير الخطاب فيها دون غيرها من آيات النساء كاف في رد تضليلهم ♦

(الثالث) ان الكلام البليغ يدخله الاستطراد والاعتراض ، وهو تخلل الجملة الاجنبية بين الكلام المتناسق كقوله تعالى في حكاية خطاب العزيز لزوجته اذ يقول لها : « انه من كيدكن ان كيدكن عظيم » يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك » فقوله يوسف أعرض عن هذا مستطرد بين خطاييه معها كما تري ، ومثله قوله تعالى : « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا

أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون واني مرسله اليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون » فقلوه وكذلك يفعلون مستطرد من جهة الله تعالى بين كلام بلقيس ، ونحوه قوله عز من قائل : « فلا اقسم بمواقع النجوم • وانه لقسم لو تعلمون عظيم • انه لقرآن كريم » تقديره فلا اقسم بمواقع النجوم ، انه لقرآن كريم ، وما بينهما أستطرد على استطراد ، وهذا كثير في الكتاب والسنة وكلام العرب العاربة وغيرهم من البلغاء •

وآية التطهير من هذا القبيل جاءت مستطردة بين آيات النساء ، فتبين بسبب استطرادها أن خطاب الله لهن بتلك الاوامر والنواهي والنصائح والآداب لم يكن الا لعناية الله تعالى بأهل البيت « أعني الخمسة » لئلا ينالهم « ولو من جهتهن » لوم ، أو ينسب اليهم « ولو بواسطتهن » هناة ، أو يكون عليهم للمناققين « ولو بسببهن » سبيل ، ولولا هذا الاستطراد ما حصلت هذه النكتة الشريفة التي عظمت بها بلاغة الذكر الحكيم ، وكمل اعجازه الباهر كما لا يخفى (الرابع) ان القرآن لم يترتب في الجمع على حسب ترتيبه في النزول باجماع المسلمين كافة ، وعلى هذا فالسياق لا يكافئ الادلة الصحيحة عند تعارضهما ، لعدم الوثوق حينئذ بنزول الآية في ذلك السياق ، ولذا كان الواجب في مقامنا هذا ترك فحوى السياق لو سلم ظهوره بما زعموا والاستسلام لحكم ما سمعت بعضه من الادلة القاطعة والحجج الساطعة ، ولا غرو فان حمل الآية على ما يخالف سياقها غير مناف للبلاغة ولا مخل بالاعجاز ، وقد أجمعوا على أنه لا جناح بالمصير اليه اذا قامت قواطع الادلة عليه •

وذهب بعضهم الى أن المراد من أهل البيت في الآية من حرمت عليهم الصدقة ، وهم بنو هاشم كافة ، مستدلين على ذلك بما أخرجه مسلم في باب

فضائل علي من صحيحه عن زيد بن أرقم وقد قيل له : من أهل بيته نساؤه ؟ قال : لا • وأيم الله ان المرأة تكون مع الرجل ، العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى أبيها وقومها — أهل بيته الذين حرموا الصدقة بعده اه • وأنت تعلم ان استدلالهم هذا باطل من وجهين :

(أحدهما) انك لو راجعت هذا الحديث من صحيح مسلم تعلم ان زيدا انما سئل عن مراد النبي (ص) بأهل بيته الذين ذكرهم في قوله : اني تارك فيكم ما ان تمسكتهم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي (٢٢) فأجاب عن خصوص هذا السؤال بما سمعت ، ولم يتعرض لبيان المراد بأهل البيت المذكورين في الآية ، اذ لم يسأل عنهم فكيف ننقل عنه في تفسير الآية ما قاله في تفسير الحديث ، وهل هذا الا كالمغالطة • ولو سئل زيد عن الآية لاجاب بالصواب كما فعل أبو سعيد الخدري ومجاهد وقتادة وغيرهم ، وما كان يخفى عليه حديث الكساء ، ولا يخالف في تفسيرها سيد الانبياء (ص) • وبالجملة فان ما نقله مسلم عن زيد خارج عن موضوع مسألتنا هذه ، فالاستدلال به هنا مما لا وجه له •

(ثانيهما) لو فرضنا أن زيدا فسر الآية بما سمعت فانما هو مفسر لها برأي قد رآه لا تثبت به حجة ولا يقوم به برهان ، حيث لم ينقل ذلك التفسير عن رسول الله (ص) كما يراه كل من راجع الحديث في صحيح مسلم ، فكيف نعارض به الادلة القاطعة والبراهين الساطعة وتقدمه على النصوص الصريحة

(٢٢) المراد من أهل بيته هنا مجموعهم من حيث المجموع باعتبار دخول أئمتهم فيهم ، والقرينة على ذلك اقترانهم بالكتاب الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وليس المراد من عترته وأهل بيته جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول لكل فرد فرد منهم ، وهذا المعنى هو الذي أراده زيد بن أرقم •

والاحاديث المتواترة الصحيحة ؟ لكننا منينا بقوم لا ينصفون ، فانا لله وانا اليه راجعون •

وقد أغرب الرازي اذ قال في تفسيره : واختلف في أهل البيت ، والاولى فيهم ما قاله البقاعي انهم كل من يكون من ازام النبي (ص) من الرجال والنساء والازواج والاماء والاقارب • • • الى آخر كلامه الذي نسج فيه على منوال البقاعي وخالف به سنة البشير النذير الداعي :

لكم ذخركم إن النبي ورهطه وجيلهم ذخري اذا التمس الذخر
جعلت هواى الفاطميين زلفه الى خالقي ما دمت أو دام لي عمر
وذهب قوم الى أن الآية شاملة للزوجات ولأصحاب الكساء جمعا بين
الادلة وظاهر السياق •

ويرده أولا — ما سمعته من كلامنا في السياق فراجعه ، وثانيا — منع أم سلمة من الدخول تحت الكساء ، فانه أقوى دليل على خروج النساء • وثالث — لو كان غير علي وفاطمة وأبنيهما مرادا لقال (ص) حين جللهم بالكساء : اللهم هؤلاء من اهل بيتي ، لكنه قصر اهل بيته عليهم وحصرهم فيهم فقال : اللهم هؤلاء اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا • وفي رواية ذكرها ابن حجر في صواعقه : أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم •

وأخرج أحمد بن حنبل من حديث أم سلمة في صفحة ٢٩٦ من الجزء السادس من مسنده قالت : بينما رسول الله (ص) في بيتي يوما اذ قالت الخادم ان عليا وفاطمة بالسدة • قالت : فقال لي فتنحي لي عن اهل بيتي • قالت : فقممت فتنحيت في البيت قريبا فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان صغيران ، فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق عليا بأحدى يديه

وفاطمة باليد الأخرى فقبل عليا وقبل فاطمة ، فأعقد عليهم خميصة سوداء فقال : اللهم اليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي - الحديث (٢٣) • وهو كما ترى ظاهر في حصر أهل بيته فيهم عليهم السلام ، فهل حاباهم (ص) بكسائه أو أثرهم من تلقاء نفسه بما سمعت من دعائه وثنائه ؟ أو ضل وغوى إذ قال : أنزلت هذه الآية في خمسة فيّ وفي علي والحسن والحسين وفاطمة ؟ أو نطق عن الهوى إذ كان يقف كل يوم على باب علي وفاطمة عند خروجه إلى الفجر فيقول : الصلاة يا أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا ؟ أو هجر والعياذ بالله حين قال لام سلمة قومي فتنحي لي عن أهل بيتي ؟ كلا والله « ما ضل صاحبكم وما غوى • وما ينطق عن الهوى • أن هو إلا وحي يوحى • علمه شديد القوى » والله در الامام أبي بكر ابن شهاب الدين حيث قال في هذا المقام من كتابه « رشفة الصادي » :
دعوا كل قول غير قول محمد فعند بزوغ الشمس ينطمس النجم

تنبيهان

(أحدهما) ان الآية دلت على عصمة الخمسة ، لان الرجس فيها عبارة عن الذنوب كما في الكشف وغيره ، وقد تصدرت بأداة الحصر وهي « إنما » فأفادت أن إرادة الله تعالى في أمرهم مقصورة على أذهاب الذنوب عنهم وتطهيرهم منها ، وهذا كنه العصمة وحقيقتها (١) •
(ثانيهما) أنها دلت بالالتزام على امامة أمير المؤمنين ، لانه ادعى الخلافة لنفسه وادعاها له الحسنان وفاطمة ، ولا يكونون كاذبين لان الكذب من الرجس الذي أذهب الله عنهم وطهرهم منه تطهيرا •

(٢٣) وأخرجه في آخر صفحة ٣٠٤ من الجزء ٦ عن أم سلمة أيضا •
(١) أورد النبهاني في أول كتابه (الشرف المؤبد) هذه الآية ، فنقل عن

الفصل الثالث

في آية المودة ، وهي قوله تبارك وتعالى في آل حم الشورى : « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى (١) ومن يقترب حسنة نزل له فيها حسنا ان الله غفور شكور • أم يقولون افترى على الله كذبا » •
أجمع اهل البيت وتصافق أولياؤهم في كل خلف على أن القربى هنا انما هم علي وفاطمة وأبناهما ، وان الحسنة في الآية انما هي مودتهم ، وان الله تعالى غفور شكور لاهل ولايتهم ، وهذا عندنا من الضروريات المفروغ عنها • وفيه صحاح متواترة عن أئمة العترة الطاهرة ، واليك ما هو مأثور عن غيرهم :

جماعة من الاعلام ما يدل على أنهم قد فهموا منها عصمة أهلها عليهم السلام ، واليك ما نقله بعين لفظه قال : قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره يقول الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا اهل محمد ويطهركم من الدنس الذي يكون في معاصي الله تطهيرا « قال » وروي عن ابي زيد ان الرجس هاهنا الشيطان « قال » وذكر أي الطبري بسنده الى سعيد بن قتادة أنه قال قوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) فهم اهل بيت طهرهم الله من السوء وخصهم برحمة منه « قال » وقال ابن عطية والرجس اسم يقع على الاثم والعذاب وعلى النجاسات والنقائص ، فأذهب الله جميع ذلك عن اهل البيت « قال » وقال الامام النووي قيل هو الشك وقيل العذاب وقيل الاثم • قال الازهري الرجس اسم لكل مستقذر من عمل وغيره اه •

وفسر الشيخ محي الدين بن العربي لفظ الرجس في الباب ٢٩ من فتوحاته بكل ما يشين ، واليك عبارته قال : وقد ذكر النبي (ص) قد طهره الله وأهل بيته تطهيرا وأذهب عنهم الرجس وهو كل ما يشينهم ، فان الرجس هو القذر عند العرب — هكذا حكى القراء الى آخر كلامه •

(٢) القربى مصدر كالزلفى والبشرى وهي بمعنى القرابة ، والاستثناء هنا متصل ، والمعنى لا أسألكم على أداء الرسالة شيئا من الاجر الا أن تودوا قريبتى ، فهو على حد قول القائل :

أخرج أحمد والطبراني والحاكم وابن أبي حاتم عن ابن عباس كما نص عليه ابن حجر في تفسير الآية ١٤ من الآيات التي أوردتها في الفصل الاول من الباب ١١ من صواعقه قال : لما نزلت هذه الآية قالوا : يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال (ص) : علي وفاطمة وابناهما ١ هـ • وهذا الحديث أخرجه عن ابن عباس أيضا ابن المنذر وابن مردويه (٣) والمقرئزي (٤) والبغوي والثعلبي في تفاسيرهم والجلال السيوطي (٥) في دره المنثور ، والحافظ أبو نعيم في حلتيه ، والحمويني الشافعي في فرائده ، وغيرهم من المفسرين والمحدثين •

وأرسله الزمخشري في كشافه واستدل على اعتباره بروايات رواها في الكشف عن رسول الله (ص) ، فمنها ما روي عن علي قال : شكوت الى رسول الله (ص) حسد الناس لي فقال : أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وانت والحسن والحسين ؟ ومنها قوله (ص) : حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وأذاني في عترتي • ومنها قول رسول الله (ص) : من مات على حب آل محمد مات شهيدا (٦) ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعا ، أي لا أسألكم عليه أجرا قط ولكن أسألكم أن تودوا قرابتي ، وكيف كان فمودتهم فريضة •
(٣) فيما نقله عنهما النبهاني في أربعينه •
(٤) فيما نقله النبهاني عنه في الشرف المؤبد •
(٥) فيما نقله عنه في الشرف المؤبد •

(٦) المراد من آل محمد في هذا الحديث ونحوه مجموعهم من حيث المجموع باعتبار أنهم هم خلفاء رسول الله (ص) وأوصياؤه ووارثو حكمه وأولياؤه ، وهم الثقل الذي قرنه بالقرآن ونص على أنهما لا يفترقان فلا يضل من تمسك بهما ولا يهتدي من اعرض عن أحدهما ، وليس المراد

له ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره محمد مات مؤمناً مستكمل الايمان ، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة ، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً ، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله ، - الحديث * واخرجه الامام الشعلبي في تفسيره الكبير عن جرير بن عبد الله البجلي ، وأورده غير واحد من المحدثين والمفسرين ومؤلفي المناقب *

وأنت تعلم ان هذه المنزلة السامية انما ثبتت لهم من الله تعالى لانهم خلفاؤه في أرضه وأولياؤه في بسطه وقبضه وحججه البالغة ومناهل شرائعه السائغة وامناؤه بعد النبي (ص) على وحيه وسفراؤه في أمره ونهيه ، فالمحب لهم بسبب ذلك محب لله ، والمبغض لهم مبغض لله ، ومن هنا قال فيهم الفرزدق :

من معشر حبههم دين وبغضهم كفر وقربهم منجي ومعتصم

ان عد أهل التقى كانوا أكثمتهم او قيل من خير أهل الارض قيل هم

واخرج الحاكم كما في تفسير هذه الآية من مجمع البيان بالاسناد الى أبي أمامة الباهلي قال : قال رسول الله (ص) ان الله تعالى خلق الانبياء من اشجار

هنا من الآل جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول لكل فرد فرد ، لان هذه المرتبة السامية لاولياء الله خاصة * نعم تجب محبة جميع أهل بيته وكافة ذريته لا تتسابهم اليه صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي ذلك تحصل الزلفى لله تعالى والشفاعة من رسوله صلى الله عليه وآله *

للامام شرف الدين ٢٢١

شتى وخلقت انا وعلي من شجرة واحدة ، فأنا أصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها
والحسن والحسين ثمارها واشياعها أوراقها ، فمن تعلق بغصن من اغصانها نجا
ومن زاعغ عنها هوى ، ولو ان عبدا عبد الله ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام
حتى يصير كالشن البالي وهو لا يحبنا كبه الله على منخريه في النار • ثم تلا
« قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى » اه •

واخرج ابو الشيخ وغيره كما في الصواعق وغيرها عن علي (ع) : فهنا في
آل حم آية لا يحفظ مودتنا الا كل مؤمن ، ثم قرأ « قل لا اسألكم عليه اجرا
الا المودة في القربى ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور »
والى هذا أشار الكميّ بقوله :

وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منا تقي ومعرب
وأخرج البزاز والطبراني وغيرهما كما في الصواعق وغيرها عن الامام أبي
محمد الحسن السبط المجتبى (ع) بطرق مختلفة انه خطب خطبة قال فيها : وأنا
من أهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودتهم وموالاتهم فقال فيما أنزل على
محمد (ص) « قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترب حسنة
نزد له حسنا » • قال : واقترب الحسن مودتنا أهل البيت اه •

وأخرج الطبراني كما في الصواعق وغيرها عن الامام زين العابدين علي
ابن الحسين عليهما السلام أنه لما أقيم بأبي هو وأمي اسيرا على درج دمشق
قال له بعض جفاة أهل الشام : الحمد لله الذي قتلكم • فقال له : اما قرأت قل
لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى (٧) ؟ قال : واتمهم هم ؟ قال :
نعم اه •

(٧) رواه النبهاني في المقصد الثالث من كتابه الشرف المؤبد عن السدي
عن أبي الديلم •

وأخرج أحمد بن حنبل كما في الصواعق أيضا عن ابن عباس في قوله تعالى « ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا » قال : هي المودة لآل محمد • وأخرجه ابن أبي حاتم كما في الشرف المؤبد (٨) عن ابن عباس أيضا • وعن أبي حمزة الثمالي في تفسيره عن ابن عباس انه حين استحكم الاسلام بعد الهجرة قالت الانصار : نأتي رسول الله فنقول له قد تعروك أمور فهذه أموالنا تحكم فيها كيف شئت ، فأتوه بذلك فنزلت الآية فقرأها عليهم وقال تودون قرابتي من بعدي فخرجوا مسلمين لقوله ، وقال المنافقون ان هذا لشيء أفتراه في مجلسه أراد به أن يذلنا لقرابته من بعده ، فنزلت « أم يقولون افترى على الله كذبا » الحديث •

وقد أخرج الثعلبي والبغوي كما في الصواعق عن ابن عباس أيضا مثله • قاتل الله الحسد يورد أهله الدرك الأسفل من النار • انظر كيف خرج هؤلاء من الدين وكذبوا — حسدا لاولياء الله — نبيهم وهو الصادق الامين ، فأنزل الله تعالى في نفاقهم قرآنا يتلوه المسلمون آناء الليل واطراف النهار ، ومع ذلك فان بذرة أهل النفاق والحسد قد اجذرت بتعاهد اولي السلطة لها من بني أمية وغيرهم بما يستوجب نموها ، وجمهور المسلمين غافلون ، فالتبس الامر ووقعت الشبهة •

وانما دخل البلاء بأعتماد الجمهور على كل من كان في الصدر الاول ، وبنائهم على عدالة كل فرد ممن كانت له صحبة ، مع ما يتلونه في الكتاب والسنة من شؤون المنافقين (٩) وتربصهم الدوائر بسيد النبيين والمرسلين (ص)

(٨) راجع منه صفحة ٩٥ •

(٩) وحسبهم من الكتاب سورتا التوبة والاحزاب ، فان فيهما الذكرى لاولي الالباب « ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم »

واشتد البلاء بالمنع من الخوض في تلك الاحوال وسدهم باب البحث عن حقائق أولئك الرجال ، فضيعوا على أنفسهم كثيرا من الحقائق • وربما نسجوا من حيث لا يقصدون على منوال كل منافق ، ولذلك اختلفوا في هذه الآية ، مع ما سمعت بعضه من النصوص الجلية في نزولها بمودة العترة الزكية ، والذي عرفناه من أقوال المخالفين أربعة مذاهب :

(الاول) ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يقول لمشركي قريش « لا اسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى » يعني الا أن تودوني في قرابتي منكم وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم ، وهذا مردود بوجوده : «أحدها» أن الآية مدنية كما سمعته قريبا عن تفسيري البغوي والثعلبي وستسمعه عن غيرهم أيضا ، فأين مفركو قريش عنها ؟ « ثانيها » أن سبب نزولها بحكم ما سمعته وما ستسمعه من الاخبار ، انما هو عرض الانصار أموالهم على رسول الله (ص) أو مفاخرتهم لبني هاشم ، فيكون الخطاب معهم لامع مشركي قريش • « ثالثها » انه لا يصح ان يكون الخطاب مع المشركين ، اذ يقبح من الحكيم أن يطلب الاجر على أداء الرسالة ممن كفر بها وبلغ الغاية في جحودها وتكذيبها ، وانما يحسن ذلك ممن آمن بها • وعدها نعمة عليه • « رابعها » أن هذا القول مخالف لما سمعته من النص على أنها نزلت في مودة علي وفاطمة وابنائهما • « خامسها » أنه انما هو قول عكرمة وتبعه فيه جماعة من صنائع بني أمية واعداء أهل البيت ،

وناهيك من السنة باب الخوض من كتاب الرقاق من صحيح البخاري ، وباب قوله تعالى « واتخذ الله ابراهيم خليلا » وهو في كتاب بدء الخلق من الصحيح المذكور أيضا ، وما أخرجه أحمد بن حنبل في آخر الجزء الخامس من مسنده عن ابي الطفيل فراجع • « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » •

كما كنا أوضحناه في كتابنا سبيل المؤمنين ، وهؤلاء لا تقبل أقوالهم ولا سيما في مثل المقام ، وقد عرفت أن عكرمة من دعاة الخوارج وكذبة المحدثين ، كما بيناه في الفصل السابق • وأخطأ من نسب هذا القول الى ابن عباس اعتماداً على خبر رواه البخاري في باب قوله « الا المودة في القربى » من كتاب تفسير القرآن من صحيحه عن محمد بن بشار عن محمد بن جعفر ، وهما ضعيفان باجماع الامامية ، ووافقهم يحيى بن معين — كما في ميزان الاعتدال — على تضعيف محمد بن بشار ، بل كذبه الفلاس فراجع •

وكيف يقول ابن عباس في تفسير القربى غير الذي قلناه ، مع ما سمعته من ي الاحاديث الثابتة عنه في تفسير القربى بعلي وفاطمة وابنائهما وتفسير الحسن بمودتهم ؟

(الثاني) من مذاهب المخالفين في تفسير الآية أن معناها قل لا اسألكم عليه أجرا الا أن تودوا القربى من الله عز وجل بالاعمال الصالحة •

(الثالث) أن معناها الا أن تودوا قرابتكم وتصلوا أرحامكم • وانت تعلم أن اصحاب هذه الاقاويل ما أرادوا بها غير التمويه والتضليل ، وحسبهم في ردها أنها في مقابل النص والدليل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير •

(الرابع) ان الآية منسوخة بقوله تعالى في سورة سبأ : « قل ماسألتكم عليه من أجر فهو لكم » وهذا من أغرب الاقاويل وأعجب الاباطيل ، لان وجوب مودة القربى بكل المعاني مستمر الى يوم القيام بحكم الضرورة من دين الاسلام ، فما معنى هذا النسخ يامسلمون ؟ على انه لا تنافي بين الآيتين لتكونا من قبيل الناسخ والمنسوخ ، فان معنى آية الشورى لا اسألكم على اداء رسالتي شيئاً

من الاجر الا مودة قرابتي ، ومعنى آية سبأ اني ما سألتكم على اداء رسالتي شيئاً من عرض الدنيا ، والذي طلبته منكم في سورة الشورى اجرا عليه من مودة قرابتي فانما هو لكم لا لي لان قرابتي حجج الله البالغة لديكم ونعمه السابغة عليكم ، وهم أمان اهل الارض وباب حطة وسفينة نجاة هذه الامة ، وهم كالقرآن الحكيم فمودتهم لازمة لكم ومنافعها انما هي عائدة عليكم ، فارجع البصر هداك الله وأمعن النظر في الآيتين ، وهما قوله تعالى : « قل لا اسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى » وقوله سبحانه : « قل ما سألتكم عليه من أجر فهو لكم » تجد الثانية مؤكدة لمقاد الاولى ومشوقة اليه كما لا يخفى . وبقي للقوم اعتراضان : (احدهما) انهم قالوا : لو أراد الله من الآية مودة القربى ، لقال : « الا مودة القربى » او « الا المودة للقربى » . والجواب أن هذا تغافل عما لا يغفل عنه ذو حظ من فهم ، وتجاهل بما لا يجهله الخبير بمواقع الكلام ، لان الاضافة واللام هنا لا يفيدان ما أفادته في من المبالغة بمودة القربى (١٠) بجعلهم موضع الود والموالات كما بعلمه جهابذة الكلام العربي ويشهد به أئمة البلاغة . قال الزمخشري في كشفه بعد تفسير القربى بمن ذكرناهم عليهم السلام : فان قلت فهلا قيل الا مودة القربى او الا المودة للقربى ، وما معنى قوله الا المودة في القربى ؟ قلت : جعلوا مكانا للمودة مقرا لها ، كقولك : « لي في آل فلان مودة » ولي فيهم هوى وحب شديد « تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله ، وليست في بصلة المودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى ، انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك « المال في الكيس » ، وتقديره

(١٠) قال النبهاني حيث أورد الآية في الشرف المؤبد : القربى مصدر بمعنى القرابة ، وهو على تقدير مضاف ، أي ذو القربى يعني الاقرباء . قال : وعبر بنفى ولم يعبر باللام لان الظرفية ابلغ وأكد للمودة اه .

الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيه • هذا كلام الزمخشري بعين لفظه ، والله دره ما أوفر نصيبه من الاحاطة بالاسرار التي لا تتناهى البلاغة ولا يتم الاعجاز إلا بها •

(ثانيهما) أنهم قالوا هذه الآية في سورة الشورى وهي مكية ، والحسنان ولدا في المدينة فلا يمكن ارادتهما منها •

والجواب : أن هذه الآية وما بعدها الى آخر ثلاث آيات مدنية قطعاً بحكم الاخبار المتظافرة من طريق العترة الطاهرة ، وقد روى ذلك صاحب مجمع البيان عن ابن عباس وقتادة ، ويدل عليه ما سمعته قريبا عن أبي حمزة الثمالي وتفسيرى الثعلبي والبغوي ، وحسبك ما ذكره الامام الواحدى في كتابه « اسباب النزول » حيث قال : ابن عباس لما قدم رسول الله (ص) المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق ، وليس في يده لذلك سعة ، فقال الانصار : ان هذا الرجل قد هداكم الله به ، وهو ابن أختكم وتنوبه نوائب وحقوق وليس في يده لذلك سعة ، فاجمعوا له من أموالكم ما لا يضركم فأنوه به ليعينه على ما ينوبه ، ففعلوا ثم أتوه به فقالوا : يا رسول الله انك ابن أختنا وقد هدانا الله تعالى على يدك وتنوبك نوائب وحقوق وليس لك سعة ، فرأينا ان نجتمع لك من اموالنا فنأتيك به فتستعين على ما ينوبك وهو هذا • فنزلت « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى » اه وهذا الحديث موجود أيضا في الكشف وغيره من التفاسير المعتمدة والكتب المؤلفة في اسباب النزول •

وفي الكشف وغيره رواية أخرى في سبب نزولها ، جاء فيها ان الانصار فآخروا بعض بني هاشم ، فعاتبهم النبي (ص) بذلك ، فجثوا على الركب وقالوا : أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله ، فنزلت الآية فقرأها عليهم •

أليست هذه الاخبار كلها صريحة بنزول الآية في المدينة وان المخاطبين فيها

انما هم الانصار ؟ ولا ينافي ذلك كونها في سورة مكية ، لان ترتيب الكتاب العزيز في الجمع ليس على حسب ترتيبه في النزول اجماعا وقولا واحدا (١١) ومن ثمة كان أغلب السور المكية لا يخلو من آيات مدنية ، وكذلك اكثر السور المدنية لا يخلو من آيات مكية ، بحكم أئمة السلف والخلف من الفريقين (١٢) ووصف لسورة بكونها مكية أو مدنية تابع لأغلب آياتها ، كما صرح به أئمة هذا الفن من اهل المذاهب كلها ، على انه لا مانع من تناول الآية الكريمة للحسين (ع) حتى لو فرضنا نزولها بمكة قبل ولادتهما ، لان المودة فيها غير مقصورة على من كان من القربى موجودا حين نزولها بل هي ثابتة فيهم ، وهم

(١١) ألا ترى أن الاغلب من أواخره مكّي والاكثر من أوائله مدني ، فلو كان مرتبا على حسب نزوله لوجب تقديم بعض ما آخر وتأخير بعض ماقدم ولكانت سورة العلق في أوائله وسورة براءة في آخره • بناء على ما رواه البخاري عن سليمان بن حرب عن شعبة ، ورواه مسلم عن بندار عن غندر عن شعبة أيضا • ولكانت آخر آية من آياته قوله تعالى « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله » ، أو آخر آية من سورة النساء ، أو قوله تعالى « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » الآية • كما لا يخفى على من راجع الكتب المؤلفة في هذا الموضوع •

(١٢) فراجع ان شئت التفصيل اوائل السور من مجمع البيان في تفسير القرآن أو من تفسيري الطبري والرازي الكبيرين أو من الكشف ، أو اول كل من المائدة والاعراف والرعد والاسراء والكهف ومريم والحج والشعراء والقصص والروم ولقمان وسبأ والزمزم والذخرف والدخان والرحمن والمجادلة من كتاب تفسير القرآن من ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري وسائر المؤلفات في هذا الموضوع ، وبعد التتبع قل لي كيف الغي المعترضون صحاح الاخبار المفسرة للقربى بما قلناه وصرفوا الآية عن اهلها بمجرد كونها في سورة يقال عنها مكية ؟ ومن أوحى اليهم انها ليست كأغلب الملكيات وصفت بهذا الوصف باعتبار الغلبة ؟ (ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وقد جاءهم من ربهم الهدى) • •

على الاطلاق مكانها كما سمعت •

وبناءً على هذا تكون الآية نظير قوله تعالى: «يوصيكم الله في أولادكم»
أترى أحدا من المسلمين قصر هذه الوصية على من كان موجودا من الأولاد حين
نزولها • كلا بل لم يتوهم ذلك ابن أنثى ، فليت شعري ما الفرق بين الآيتين؟!
وأما ما سمعته من قول النبي (ص) في تفسير القربى «هم علي وفاطمة
وابناهما» فيجوز أن يكون متأخرا عن نزولها ، أو أنه خبر من الله عز وجل
بالغيب فيكون من اعلام النبوة • ولا غرو فقد اخبر عن خلفائه وانهم أثناعشر،
واخبر عن يوم الجمل وكلاب الحوآب وعن الفئة الباغية وقتلها عمارا ، وعن
الذين مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، وعن الناكثين والقاسطين
والمارقين ، وعن الضغائن لعلي في نفوس قوم وانهم لا يبدونها له الا بعد فقده،
وعن اشقى الآخرين وضربه سيد الوصيين بالسيف على هامته وان شيبته الكريمة
تخضب من دم رأسه ، وعن حال بضعته الزهراء من بعده وانها أول بيته لحوقا
به ، وعن محنة الحسن والذعاف الذي تجرعه ، وعن مصائب سيد الشهداء في
طف كربلاء ، وعما لقيه اهل بيته من الاثرة والبلاء والقتل والتشريد والتطريد
في البلاد ، وعن ولادة الجورالذين يملكون من بعده أمر هذه الامة، وعن بوائق
بني أمية وبني مروان وان مدتهم تكون ألف شهر ، وعن بني العباس وملكهم،
وعن فتنة نجد وطلوع قرن الشيطان منها الى مالا يحصى من اخباره عن الله
تعالى بالمغيبات • وقد رأتها الامة بعد ذلك مثل فلق الصبح ، فعلم الله الازلي
الذي وسع كل شيء قبل ان يكون شيء لا يضيق عن تولد الحسين من علي
وفاطمة قبل ان يخلقهما تبارك وتعالى ، وليس على الله بعزيز أن يشر بهما
نبيه (ص) ويفترض مودتهما على الامة قبل ولادتهما ، لكرامتهما عليه وقرب
منزلتهما منه سبحانه وتعالى ، كما بشر الله آدم ونوحا و ابراهيم وموسى وعيسى

وسائر النبيين والمرسلين بمحمد (ص) وعليهم اجمعين ، وعرفهم جلالة قدره وعظم شأنه فأمنوا به وبخعوا لفضله ♦

ونحن مهما شككنا فلا نشك في أن العترة والكتاب ثقلا رسول الله المذان لا يضل من تمسك بهما ، وأن كلا منهما يفرغ عن الآخر لانهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض ، وقد تواترت الاخبار عنهم في تفسير القربى بما ذكرناه ♦ وناهيك بذلك حجة على ماقلناه على أن تفسير القربى هنا بعلي وفاطمة وابنائهما هو الذي ذهب اليه جماهير اهل السنة وقطعت به أكابرهم (١٣) وحسبك قول امام الخلف منهم والسلف محمد بن أدريس الشافعي رحمه الله ♦

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله (١٤)
كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له
وقول الشيخ ابن العربي :

رأيت ولائي آل طه فريضة
فما طلب المبعوث اجرا على الهدى
وقال لمعاصر النبهاني :

آل طه يا آل خير نبي جدكم خيرة وأنتم خيار
أذهب الله عنكم الرجس أهل البيت قدما فأنتم الاطهار
لم يسئل جدكم على الدين اجرا غير ود القربى ونعم الاجار
وحيث ثبت هذا عن أئمة السنة وجماهير الامة ، فلا مبالاة اذن بمخالفة

(١٣) كما صرح به غير واحد من الاعلام كالسيد الامام أبي بكر بن شهاب الدين في كتابه رشفة الصادي ♦

(١٤) البيتان الاولان نسبهما الى الامام الشافعي ابن حجر في صواعقه والنبهاني في شرفه ، وهما مشهوران عنه منتشران سائران ، وقد نسب البيتين الاخيرين الى ابن العربي صاحب الصواعق وغيره ♦

من خالف ولا بمجازفة من جازف ، ممن اشار النبھاني اليھم في كتابه الشرف المؤبد ، حيث ذكر بعضھم في خطبة الكتاب فقال : ومن هذا القليل ما وقع في عصرنا في القسطنطينية سنة سبع وتسعين ومائتين وألف هجرية من قوم جھال غرقوا من أحوال البغضاء لآل محمد في أحوال فأخذوا يتأولون بجهلھم ما ورد من الآيات والاخبار في فضل اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومھبط الوحي ومنبع الحكمة ، ويخرجونها عن ظواھرھا بأفھامھم السقيمة وآرائھم الذميمة ، ومع ذلك فقد زعموا أنھم لاهل البيت من اهل المحبة والوداد ، ولم يعلموا أنھم هائمون من الخذلان في كل واد . . . الى آخر ما قال فيھم وفيمن نسجوا على منوالھم ممن تقدمھم فراجع .

وقال في المقصد الثالث من الكتاب المذكور : فقد رأينا من اذا سمع بذكر مزية أمتاز بها اهل البيت أو منقبة أسندت اليھم ، ووصفوا بها من الله ورسوله (ص) أو السلف الصالح أو علماء الامة أو اوليائها ، يقطب وجهه ويتغير خلقه ويود بلسان حاله أن تلك المزية لم تكن لھم ، وقد يتكلف الاقاويل الواھية والاخبار الموضوعة ، والآثار المصنوعة ليطفئ بها نور الله والله متم نوره ولو كره الكافرون . هذا كلامه بعين انقظه (والحق ينطق منصفاً وعنيداً) . نسأل الله الهداية والتوفيق لنا ولجميع المسلمين بمنه وكرمه انه أرحم الراحمين .

الفصل الرابع

في آيات الابرار ، وهي قوله عز اسمه في سورة الدهر : « ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجھا كافورا . عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجييرا يوفون بالنذر » الى آخر السورة .

أجمع أولياء اهل البيت « تبعا لكافة أئمتھم عليھم السلام » على نزولھا

في علي وفاطمة والحسن والحسين ، وصحاحهم في ذلك متواترة من طريق العترة الطاهرة ، وهذا عندهم من الضروريات التي لا يجهلها منهم أحد . وقد أخرجه عن ابن عباس جماعة من أعلام غيرهم ، كالامام الواحدي في كتابه البسيط ، والامام أبي اسحاق الثعلبي في تفسيره الكبير ، والامام أبي المؤيد موفق بن احمد في كتاب الفضائل ، وغير واحد من الحفظة واهل الضبط .

واليك ما ذكره الزمخشري في تفسير السورة من الكشف بعين لفظه قال : وعن ابن عباس « رض » ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله (ص) في ناس معه فقالوا : يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك ، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما ان برئنا مما بهما ان يصوموا ثلاثة أيام ، فشفيا ومأ معهم شيء ، فاستقرض علي من شمعون الخيري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير ، فطحنت فاطمة صائغا واختبزت خمسة أقراص على عددهم ، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا ، فوقف عليهم سائل فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة . فأثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صياما ، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فأثروه ، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك ، فلما أصبحوا أخذ علي « رض » بيد الحسن والحسين وأقبلوا الى رسول الله (ص) فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال : ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم ، وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها ، فسأه ذلك ، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال : خذها يا محمد هناك الله في أهل بيتك ، فأقرأه السورة اه .

ونحن لا حاجة بنا الى تضييع الوقت في أخراج أسانيد هذا الحديث وطرقه الى ابن عباس ومجاهد وأبي صالح وعطاء وغيرهم ، ولا الى ذكر من

أخرجه من حفاظ الحديث وأئمة التفسير بعد تواتره عن أئمة الأبرار وكونه مما لا ريب فيه ، وإنما نشير الى بعض ما تضمنته تلك الآيات البينات من أسرار البلاغة لينتبه أولو الألباب (وتعيها اذن واعية) •

ان علماء البيان وسائر أهل اللسان لا يرتابون في أن الجمع المحلي بلام التعريف حقيقة في العموم ، وهذا مما لا يختلف فيه اثنان من أهل العربية ، وأنت تعلم ان لفظ الأبرار في الآية جمع بَرَّ أوبار محلي باللام كما ترى ، فظهوره في الشمول والاستغراق مما لا ريب فيه ، وإنما أطلق على علي وفاطمة والحسن والحسين تيانا لكونهم أكمل الأبرار وأذانا بأنهم الأخيار وبرهاناً على أنهم صفوة الصفوة وحجة على أنهم خيرة الخيرة، فما عسى ان يقول القائلون في عظيم برهم ، أو يصف الواصفون سمو قدرهم ؟ وأي مدحة توازن مدحة الفرقان ؟ وأي ثناء يكايل ثناء الذكر الحكيم ؟ وأي عبارة فاضلة شريفة مقدسة تكافئ قول الله تعالى فيهم « ان الأبرار » عليا وفاطمة والحسن والحسين « يشربون » الشراب الطيب الطاهر يوم العطش الأكبر « من كأس » هي الزجاجاة اذا كان فيها الشراب ويسمى الشراب نفسه كأساً أيضاً ، وقد وصفها بقوله عز من قائل : « كان مزاجها » الذي تمزج به ماء من عين في الجنة تسمى « كافورا » لان ماءها في بياض الكافور ورائحته وبرودته ، والدليل على أن كافورا أسم عين في الجنة قوله تعالى « عينا » بالنصب على أنها عطف بيان أو بدل من كافورا (١)

(١) وقيل تمزج لهم الكافور وتختم بالمسك ، وقيل بل فيها بياض الكافور ورائحته وبرده وكأنها مزجت به ، وعلى هذين القولين تكون عينا منصوبة على الاختصاص أو على البدل من محل كأس بتقدير حذف مضاف ، ويكون المراد من الكأس على هذا نفس الشراب لا الزجاجاة ، والتقدير حينئذ ان الأبرار يشربون من شراب كان مزاجها كافورا شراب عين يشرب بها عباد الله •

« يشرب بها عباد الله » علي وفاطمة والحسنان ، وأمثالهم من الكاملين في العبودية لله سبحانه الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ، إلى آخر ما اشتملت عليه آيات الفرقان من صفاتهم الكاملة • وإنما وصل فعل الشرب في الآية الأولى بمن الابتدائية ، ووصله في الآية الثانية بباء اللصاق لأن الكأس مبتدأ شربهم ، والعين يمزجون بها شرابهم ، فيكون المعنى يشربون الشراب بماء تلك العين ، كما تقول شربت الماء بالعسل ، وهذه العين « يفجرونها » أي يجرونها حيث شاءوا من كل مكان أرادوا « تفجيرا » سهلا يسيرا لا تلحقهم فيه كافة ، ولا يجدون فيه من مشقة ، وقد بين الله سبحانه وتعالى السبب في استحقاقهم لهذه الكرامة ، فقال : « يوفون بالندر » جوابا لسؤال مضمّر ، تقديره ما الذي فعلوه فأستحقوا به هذا الجزاء ؟ وأنت تعلم أن ليس المراد من وصفهم بالوفاء بالندر إلا المبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات ، لأن من وفى بما أوجبه هو على نفسه كان بما أوجبه الله عليه أوفى ، وتلك شهادة لهم من الله تعالى ، ومن أصدق من الله قليلا ، لم يقتصر سبحانه في تركيتهم بهذه الشهادة على المبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات حتى بالغ في بعدهم عن المحرمات والشبهات بما وصفهم فيه من خشية الله والخوف من يوم القيامة ، حيث قال وهو أصدق القائلين : « ويخافون يوما كان شره مستطيرا » يريد بذلك أن هذا الخوف العظيم يستوجب كونهم نصب أمره ونهيه ، وتلك منزلة المعصومين •

ومن تدبر القرآن الحكيم وغاص على أسرارها البالغة ، وجد في هذه الآيات البينات من عناية الله تعالى في هؤلاء الأبرار أمرا عظيما ، لا يوصف بكيف ولا يقدر بكم ، ألا ترى كيف رتب هذه الشبهات في تركيتهم فكانت كل شهادة أكبر من سابقتها ، إذ شهد أولا بأنهم يوفون بالندر ، ثم شهد ثانيا بأنهم

يخافون يوما كان شره مستطيرا ، فكانت أعظم من الاولى لدلائها بصريح العبارة على رسوخ الايمان بالله واليوم الآخر ، ثم شهد لهم ثالثا بما هو أعظم من ذلك فقال : « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » الضمير في حبه للطعام على الاظهر ، والمعنى انهم يطعمون الطعام مع حبه لشدة جوعهم بسبب صومهم ثلاثة أيام لا يذوقون في لياليها غير الماء ، وهذا على حد قوله تعالى « وآتى المال على حبه » وقوله سبحانه : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وقوله « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » ♦

وانما كانت هذه الشهادة أعظم لكشفها عن كمال نفوسهم ، وبلوغهم أقصى الغايات في حب الخير والايثار على أنفسهم ، اشفاقا على المسكين ورأفة باليتيم وعطفة على الاسير ♦ وأنت تعلم أنهم لو لم يؤثروهم لما كان عليهم في ذلك من جناح ، لكنهم مثلوا الحنان والرحمة بأجل مظاهرها حين لم يكونوا مكلفين بذلك ولا مسؤولين عنه ، وتلك من أفضل صفات المقربين ♦

بقي اعظم الشهادات وأجلها وأقوى الادلة على تزكيتهم وأدلها ، ألا وهو الذي أشار اليه سبحانه وتعالى حيث قال بلسان حالهم عن مكنون سرائرهم : « انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء » بفعل تفعلونه « ولا شكورا » بقول تقولونه « انا نخاف (٢) من ربنا يوما » موصوفا على سبيل المجاز بكونه « عبوسا قمطريرا » شديد العبوس ، تشبيها له في شدته وضرره وتخوينه بالاسد العبوس ، أو بالحاكم المنتصر العبوس ، ويجوز وصفه بصفة أهله لعبوسهم يومئذ من شدة أهواله كقولهم « نهارك صائم » ♦

وأف اذا تدبرت بشائره لهم بالامن من أهوال ذلك اليوم ، تعرف مزيد

(٢) فمن مجاهد « كما في الكشف وغيره » انهم لم يقولوا حين أطعموا الطعام شيئا وانما علمه الله منهم فأثنى به عليهم ، وهذا من عظيم عنايته بهم ♦

عنايته بهم (ع) حيث لم يكتف منها ببشارة واحدة ، بل جعل البشائر مترادفة متوالية ، وكل واحدة منها أعظم من سابقتها • قال أولا : « فوقاهم الله شر ذلك اليوم » تأمينا لهم من شره وضره ، ثم أربى على ذلك فقال : « ولقاهم نضرة » في وجوههم « وسرورا » في قلوبهم بدل عبوس أعدائهم وحزنهم ، ثم ترقى في البشارة فقال : « وجزاهم بما صبروا » على الايثار مع شدة الجوع ابتغاء لمرضاة الله « جنة وحريرا » ، ثم لم يكتف في البشارة بالجنة على سبيل الاجمال حتى فصل فيها أكثر الاحوال ، فقال تعالى : « متكئين فيها على الارائك » فهم في منتهى الراحة والرفاهة والغبطة والحبور مستبشرين فكهين « لا يرون فيها شمسا » حرها يحمى « ولا زمهيرا » برده يؤذي ، فالشمس والزمهير هنا كناية عن الحر والبرد (٣) ، وقد جمعوا بين البعد عنها ودنو الظلام عليهم ، كما أشار اليه سبحانه بقوله : « ودانية عليهم ظلالها » بنصب دانية ، عطفًا على محل الجملة التي قبلها (٤) لانها في محل النصب على الحالية من الممدوحين (ع) ، والتقدير متكئين على الارائك غير راين شمسا ولا زمهيرا ، ودانية عليهم ظلالها •

(٣) وقيل ان الزمهير هنا انما هو القمر بقرينة مقابله الشمس ، وأنشدوا مما يدل على كونه من أسماء القمر :

وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهير مازهر

وعلى هذا فالمعنى ان الجنة ضياء لا حاجة فيها الى الشمس والقمر • (٤) ويجوز عطفها على « جنة » فيكون المعنى وجزاهم جنة وحريرا وجنة اخرى دانية عليهم ضلالها ، اذ أنهم وصفوا بالخوف من ربهم في قوله تعالى : « انا نخاف من ربنا » وقد وعد الله الخائفين من ربهم بجنتين فقال : « ولن خاف مقام ربه جنتان » ويجوز أن نجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات الجنة • وقرئ ودانية بالرفع على أن تكون خبرا مقدما والمبتدأ المؤخر ظلالها والجملة في محل الحال ، والتقدير لا يرون شمسا ولا زمهيرا والحال أن ظلالها دانية عليهم •

ثم لم يكتف سبجانه بهذا القدر من بيان كرامتهم حتى قال: «وذلت قطوفها تذليلا» والمعنى تدنو ظلالتها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم ، اذ الجملة هنا حالية من الضمير في دانية (٥) ، والمراد من تذليل قطوفها جعلها ذللا لا تمتنع على قاطفها متى أراد وكيف شاء ، ويجوز ان تكون مأخوذة من الذل بمعنى الخضوع لسهولة قطفها كيف شاء قاطفها ♦

ولو اكتفى جل وعلا بهذا القدر من بيان فوزهم في دار كرامته لكفاهم شرفا وفضلا ، لكنه سبجانه أثر الاطناب فيما تحدى به من معجزات الكتاب ، ليشمل بذلك عنايته التامة فيهم تمثيلا ، وليفضلهم على من سواهم تفضيلا فقال: «ويطاف عليهم بأنية من فضة وأكواب» خلقها الله تعالى بباهر قدرته واتقان صنعه ، فقال كوني من جنس الفضة في صفاء القوارير وشفيفها ولذا «كانت قواريرا» (٦) قوارير من فضة «فتبارك الله أحسن الخالقين» كيف جمع فيها بين صفتي المعدنين المتباينين ثم لم يكتف سبجانه ببيان جنس تلك القوارير وباهر وصفها حتى وصفها أيضا بقوله: «قدروها» في أنفسهم «تقديرا» خاصا على كفايات مخصوصة تشتتها نفوسهم وتلد بها أعينهم ، فجاءت كما قدروا على حسب ما يمتنون ♦

ثم شرح تبارك وتعالى ما يقع استعماله منهم في تلك الاكواب فقال: «ويسقون فيها كأسا» أي خمرة موصوفة بقوله: «كان مزاجها» الذي

(٥) ويجوز عطفها على دانية ، أي ودانية عليهم ظلالتها ومذلة لهم قطوفها، واذا جعلت متكئين ولا يرون ودانية صفات للجنة فلتكن هذه الجملة صفة لها أيضا ♦ هذا كله مع نصب دانية ، أما مع رفعها على الاخبار بها عن ظلالتها فتكون هي وظلالها جملة ابتدائية والجملة من وذلت معطوفة عليها ♦

(٦) الالف هنا للاطلاق ، وهي فاصلة بين قوارير الاولى والثانية ، وهما لا ينصرفان لكونهما في صيغة منتهى الجموع ♦

تمزج به ماء من عين في الجنة تسمى « زنجيلا » ، ويدلك على أن زنجيلا اسم لعين في الجنة قوله تعالى : « عينا فيها » بالنصب على أنها عطف بيان أو بدل من زنجيلا ، ويجوز نصبها على الاختصاص أو على كونها بدلا من كأسا بتقدير حذف مضاف ، ويكون المعنى ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجيلا . كأس عين « تسمى سلسيلا » لكونها في منتهى السلسلة يقال « شراب سلسل وسلسال » اذا كان سلسا سائغا سهل الانحدار ، ويقال سلسبيل اذا كان في غاية السلسلة .

لم يكتف عز وجل بقوله : « ويطاف عليهم » حتى ذكر الطائفين عليهم القائمين بخدمتهم بأحسن الذكر وأجمله ووصفهم بألطف الوصف وأفضله فقال : « ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم » لجمال منظرهم وكمال هيتهم وصفاء ألوانهم وبهاء أشكالهم وما يروق العالمين من حسنهم واطفهم وأنبثاتهم في أنديتهم « لؤاؤا منشورا » وقيل شبهوا باللؤاؤ الرطب اذا نثر من صدفة لحسنه وكثرة مائه .

لم يكتف جل وعلا بهذه التفاصيل كلها حتى أفاد سبحانه أن الاجمال فيما أعده الله لهم مما لا بد منه ولا مندوحة عنه لامتناع تفصيله بسبب قصور العبارات وعجز افهام الناس وقصر أدراكهم ، ولذا قال وهو أصدق القائلين : « واذا رأيت ثم » فلم يجعل مفعولا لرأيت لا ظاهرا ولا مقدرا لتكون الرؤية عامة لجميع مائة ، والمعنى أنك اذا أوقعت رؤيتك هناك على أي شيء من الاشياء تجدك قد « رأيت نعيما » عظيما تضيق عنه الاوهام « وملكا كبيرا » تنقطع دونه الاماني ولا يمكن وصفه الا بهذا المقدار .

وهذه الآية أبلغ في كرامتهم من كل ما تقدم ، وقد تدبرها من تدبرها فاعلم أن فيها من فضلهم ما لا يحيط به الا الله تعالى ، ومع ذلك لم ينته ذكره سبحانه

لهم ووعدواهم بما هم أهل له بل قال : «عاليهم (٧) ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة » فهم مزدانون بحلي الكرامة رافلون في حلل دار المقامة « و » قد « سقاهم ربهم » جل وعلا هذا الساقى وتبارك ما أعظم عنايته فيهم وأجل اهتمامه ببيان كرامتهم ، اذ نسب الساقى على سبيل المجاز الى جلالة تعالى ، فما يقول الواصف بعدها وان أطنب ، وما عسى أن يصف القائل فيهم وان أسهب ، وما ظنك بمن يستقيهم ربهم بكأسه الاوفى « شربا طهورا » يشرح بعد ذلك من أبدانهم عرقا أطيب من ريح المسك ، لا كخمر الدنيا رجسا نجسا خبيثا منتنا سالبا للعقل متلفا للجسم مسقطا للمروعة معصورا بالايدي الوضرة ، مدوسا بالارجل القذرة موضوعا في دنان قد لا تسلم من الجرائم السامة وأباريق قد لا يعني بتنظيفها مدارة بكؤوس تداولتها الايدي الاثيمة وولعت فيها الافواه البخرة .

وأنت هداك الله اذا أمعنت النظر فيما ألقاه عز وجل اليهم في ختام البشائر العظيمة والمواهب الجسيمة تتمثل لك عناية الله بهم قالبا حسيا ، وترى كرامتهم عليه وسمو منزلتهم لديه شخصا مرئيا ، وذلك أنه ختم كلامه في شؤونهم بقوله مخاطبا لهم (ع) : « ان هذا » الاكرام العظيم الذي فصلناه في محكم الذكر تفصيلا وفضلناكم على العالمين تفضيلا « كان لكم جزاء » على أعمالكم المقدسة التي أستوجبتموها هذا الاكرام الجسيم لهم تنالوه بشفاعاة أو بمجرد فضل ، وانما أخذتموه بالاستحقاق والعدل « وكان سعيكم » مع ذلك كله « مشكورا » ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

بقيت نكتة شريفة وحكمة من حكم الفرقان منيفة حاصلها : ان هذه

(٧) بنصب عاليهم لكونه حالا من ضمير عليهم في قوله « ويطوف عليهم ولدان » . وقد يقال انها حال من ولدان ، وقرئ عاليهم بالسكون على أنه مبتدأ وخبره ثياب سندس خضر واستبرق .

السورة المباركة كما بشرت هؤلاء الابرار (٨) فقد أذرت أعداءهم الظالمين الكفار بما أعد الله لهم من السلاسل والاغلال والعذاب الاليم وسعير النار ، فأمعن النظر اليها تجد التصريح بذلك في كل من طرفيها ، كما لا يخفى على الخواصين لعباب الذكر الحكيم ، الغواصين على كل سر من أسرار عظيم ، المتدبرين لمواقع كلمه ، والمستقصين في البحث والتنقيب عن حكمه الذين اذا قرأوا القرآن أو استمعوا له أصغوا اليه بمجامع قلوبهم وخشعت لهيبته جميع جوارحهم ، فبضعوا لمعانيه ومراميه وخضعوا لأوامره ونواهيه ، جعلنا الله في جملة من منَّ عليهم بذلك انه أرحم الراحمين •

المطلب الثاني

في دلالة السنة المقدسة ، وفيها من الاحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة ما تضيق عنه هذه الرسالة ولا تحتمله هذه العجالة ، وانما نذكر منها اثني عشر حديثا تبركا بهذا العدد الميمون :

(١) - قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران • أخرجه جماعة من المحدثين كثيرون كالامام احمد من حديث رواه

(٨) يجب أن يعلم ان آيات الثناء والبشائر في سورة الدهر كلها لعلي وفاطمة والحسن والحسين ، وآيات الوعيد والذم والتهديد فيها لأعدائهم ، بقرينة أن السبب في نزول تلك السورة بتمامها انما هم عليهم السلام ، لكن الالفاظ في كل من المقامين عامة شاملة لكل من اتصف بتلك الاوصاف • وعلى هذا فالبشائر والمدائح في تلك السورة تتناول عليا وفاطمة والحسن والحسين أولا وبالذات ثم تتناول من انصف بصفاتهم ثانيا وبواسطة دخولهم في تلك العمومات ، وكذلك القول في آيات الذم والوعيد فانها تتناول أولا وبالذات أعداء أولئك الابرار الذين كانوا سببا في نزول السورة بأجمعها ثم تتناول غيرهم لدخوله في العموم حيث ان المورد لا يخص الوارد ، فاحفظ هذا فانه ينفك في كثير من الآيات ان شاء الله تعالى •

عن ابن عباس في صفحة ٢٩٣ من الجزء الاول من مسنده ، وأبي داود كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب ، وقاسم بن محمد كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب وجماعة من حملة الآثار وحفظة الاخبار لايسع المقام استيفاءهم •

(٢) - قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خير نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران ، وآسيا بنت مزاحم ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد • أخرجه أبو داود كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب بالاسناد الى أنس ، ورواه عبد الوارث بن سفيان كما في ترجمتي الزهراء وخديجة من الاستيعاب بالاسناد الى أبي هريرة ، ونقله غير واحد من ثقة المحدثين بطرقهم الى أنس وأبي هريرة •

(٣) - قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسيا امرأة فرعون • أخرجه الترمذي كما في الاربعين النبهاني (١) عن أنس ، ورواه عنه أيضا السراج كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب ، وأخرجه أبو داود كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب ، ونقله الشعبي كما في ترجمة الزهراء من الاصابة عن جابر ، ولا يسعنا استقصاء من أخرج هذا الحديث بطرقهم المختلفة الى أنس وجابر •

وأنت تعلم ان هذه الاحاديث الثلاثة ونحوها نصوص جلية في تفضيل الاربع على سائر نساء البرية ، ولا تعرض فيها لبيان الافضل من تلك الاربع لكن صحاحنا المتواترة عن أئمة العترة الطاهرة نصوص في تفضيل الزهراء صريحة لا تقبل التأويل ، كما يشهد به كل من أنعم الله عليه بالاستسلام لحكمها

(١) راجع صفحة ٢٢٠ من كتاب الاربعين • أربعين من أحاديث سيد المرسلين •

وحسبك في تفضيل الزهراء أنها بضعة من سيد الانبياء ولا نعدل به ولا ببضعته أحدا من العالمين • وقد وافقنا في تفضيلها جمهور من المسلمين وصرح به كثير من المحققين نقل ذلك عنهم غير واحد من العلماء الباحثين المتتبعين ، كالمعاصر النبهاني حيث قال في أحوال الزهراء من كتابه « الشرف المؤبد » ما هذا لفظه : وصرح بأفضليتها على سائر النساء حتى على السيدة مريم كثير من العلماء المحققين ، منهم التقي السبكي والجلال السيوطي والبدر الزركشي والتقي المقرئ • « قال » وعبارة السبكي حين سئل عن ذلك : الذي نختاره وندين به أن فاطمة بنت محمد أفضل • « قال » وسئل عن مثل ذلك ابن أبي داود فقال : ان رسول الله (ص) قال « فاطمة بضعة مني » ولا أعدل ببضعة رسول الله أحدا ، ونقل المناوي هذا عن جمع من الخلف والسلف فراجع •

(٤) — ما استخرجه أبو داود كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب بسنده الى ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) سيدة نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران فاطمة بنت محمد وخديجة وآسيا ه • وهذا كالأحاديث السابقة في الدلالة على تفضيل الأربع على من سواهن من نساء العالمين ، الا أنه ربما يستشعر منه تفضيل العذراء على الزهراء ، لكن الأدلة الأخر التي هي أكثر عددا وأصح سنداً وأصرح دلالة من هذا الحديث ونحوه توجب الاعراض عما يستشعر منه على انه لا يروى من طريق أصحابنا كما لا يخفى •

(٥) — ما أخرجه البخاري (٢) ومسلم (٣) والترمذي في صحاحهم وصاحب الجمع بين الصحيحين وصاحب الجمع بين الصحاح السنة والامام (٢) راجع آخر صفحة ٦٤ من الجزء الرابع من صحيحه المطبوع بالمطبعة المليحية سنة ١٣٣٢ •

(٣) راجع باب فضائل فاطمة من الجزء الثاني من صحيحه تجد طرقه في هذا الحديث الى عائشة متعددة •

أحمد من حديث الزهراء من مسنده (٤) وابن عبد البر في ترجمتها من استيعابه
ومحمد بن سعد في ترجمتها من الجزء الثامن من طبقاته وفي باب ما قاله النبي
في مرضه من المجلد الثاني من الطبقات أيضا ، واللفظ الذي تسمعه للبخاري
آخر ورقة من كتاب الاستئذان من الجزء الرابع من صحيحه قال : حدثنا موسى
عن أبي عوانة عن فراس عن عامر عن مسروق حدثني عائشة أم المؤمنين قالت :
انا كنا أزواج النبي عنده جميعا لم تغادر منا واحدة ، فأقبلت فاطمة تمشي
لا والله ما تخفي مشيتها من مشية رسول الله (ص) فلما رآها رحب وقال :
مرحبا بابنتي ، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم ساءرها فبكت بكاء شديدا
فلما رأى حزنها سارها الثانية اذا هي تضحك فقلت لها أنا من بين نسائه : خصك
رسول الله (ص) بالسر من بيننا ثم أنت تبكين ، فلما قام رسول الله (ص)
سألته عما سارك قالت : ما كنت لافشي على رسول الله سره ، فلما توفي قلت
لها : عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما أخبرتني ؟ قالت : أما الآن فنعم ،
فأخبرتني قالت : أما حين سارني في الامر الاول فانه أخبرني جبرائيل كان
يعارضه كل سنة مرة وانه قد عارضني به العام مرتين ولا أرى الاجل الا قد
اقترب ، فاتقي الله واصبري فاني نعم السلف أنا لك ، قالت : فبكيت بكائي
الذي رأيت فلما رأى جزعي سارني الثانية قال : يا فاطمة ألا ترضين ان تكوني
سيدة نساء المؤمنين او سيدة نساء هذه الامة اه • ولفظه فيما ذكره ابن حجر
في ترجمتها من الاصابة وغير واحد من المحدثين « ألا ترضين أن تكوني سيدة
نساء العالمين » وكيف كان فالحديث صحيح والنص في تفضيلها صريح •
وأخرج ابن سعد في باب ما قاله النبي لها في مرضه من المجلد الثاني من
طبقاته بالاسناد الى أم سلمة قالت : لما حضر رسول الله (ص) دعا فاطمة
فناجها فبكت ثم ناجها فضحكت ، فلم أسألهما حتى توفي رسول الله (ص)

فسألتها عن بكائها وضحكها فقالت : أخبرني أنه يموت ثم أخبرني أنني سيدة نساء اهل الجنة - الحديث • وأخرجه أيضا أبو يعلى كما في ترجمة الزهراء من الاصابة بالاسناد الى أم سلمة ، ورواه عنها غير واحد من أهل الحديث •

(٦) - ما أخرجه جماعة من الحفظة وأهل الضبط ممن حملوا العلم بأسانيد وطرقه كابن عبد البر في ترجمتها عليها السلام من الاستيعاب ان النبي (ص) عاها وهي مريضة فقال : كيف تجدنيك يا بنية ؟ قالت : اني لوجعة وانه ليزيدني اني ما لي طعام آكله • قال : يا بنية أما ترضين انك سيدة نساء العالمين ؟ قالت : يا أبة فأين مريم بنت عمران • قال : تلك سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك ، وما والله لقد زوجتك سيدا في الدنيا والآخرة اه •

(٧) - ما أخرجه احمد والترمذي والنسائي وابن حبان « كما في الفصل الثالث من الباب ١١ من الصواعق المحرقة لابن حجر » عن حذيفة أن النبي (ص) قال له : أما رأيت العارض الذي عرض لي قبل ذلك هو ملك لم يهبط الى الارض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه عز وجل أن يسلم علي ويبشرني ان الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة ، وان فاطمة سيدة نساء أهل الجنة اه •

وأخرج ابن حبان وغيره - كما في أحوال الزهراء من الشرف المؤبد وغيره - عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) ان ملكا من السماء لم يكن زارني فاستأذن ربي في زيارتي فبشرني ان فاطمة سيدة نساء امتي اه •

(٨) - ما أخرجه حفظة الاخبار وحملة الآثار كعبد الرحمن بن أبي نعيم - كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب والاصابة وغيرهما - عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (ص) فاطمة سيدة نساء أهل الجنة - الحديث (٩) - ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما - كما في ترجمة الزهراء من الاصابة وغيرهما - عن المسور قال : سمعت رسول الله (ص) يقول على المنبر : فاطمة بضعة مني ، يؤذيها ما آذاها ويريني ما رابها •

ونقل النبهاني في أحوال الزهراء من الشرف المؤبد عن البخاري بسنده الى رسول الله (ص) قال : فاطمة بضعة مني ، يغضبني ما يغضبها • قال : وفي رواية فمن أغضبها أغضبني • قال : وفي الجامع الصغير : فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويسخطني ما يسخطها • وقالت بأبي هي وامي لابي بكر وعمر — كما صرح به الامام ابن قتيبة في أوائل كتاب الامامة والسياسة — : نشدتكما الله ألم تسمعارسول الله (ص) يقول : رضا فاطمة من رضي وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحب ابنتي فاطمة فقد أحبني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني ؟ قالوا : نعم سمعناه من رسول الله (ص) • وهذا من الاحاديث المتواترة عن أئمة العترة الطاهرة وكفى به حجة لتفضيلها على من سواها من نساء العالمين ، وهل يعدل مسلم ببضعة النبي (ص) وبقيته في أمته أحدا من الناس ؟ وقد تدبر هذا الحديث من تدبره من اولي الالباب فرآه يرمي الى عصمتها لدلالته على أمتناع وقوع كل من أذيتها ورييتها وغضبها وسخطها ورضاها واقتباسها وانبساطها في غير محله ، كما هو الشأن في أذية النبي (ص) ورييته ورضاه وسخطه واقتباسه وانبساطه وهذا كنه العصمة وحقيقتها كما لا يخفى •

(١٠) — ما أخرجه ابن أبي عاصم — كما في ترجمتها من الاصابة — بسنده الى علي عليه السلام قال : قال رسول الله (ص) لفاطمة : ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضائك • وأخرجه الطبري وغيره باسناد حسن كما في أحوالها من الشرف المؤبد وغيره ، وهو في الدلالة على تفضيلها وعصمتها كالحديث السابق •

(١١) — ما أخرجه جماعة من اثبات المحدثين وأعلامهم كالامام أحمد بن حنبل من حديث أبي هريرة في صفحة ٤٤٢ من الجزء الثاني من مسنده قال : نظر النبي (ص) الى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال : أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم •

وأخرج الترمذي من حديث زيد بن أرقم كما في ترجمة الزهراء من الاصابة أن رسول الله قال : علي وفاطمة والحسن والحسين أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم اهـ • وهذا الحديث في الدلالة على تفضيلها وعصمتها كسابقه وفيه دلالة على كفر محاربيهم كما ترى •

(١٢) — ما أخرجه المحدثون بالاسناد الى علي واللفظ لاحمد في صفحة ١٠١ من الجزء الاول من مسنده عن عبد الرحمن الازرق عن علي قال : دخل عليّ رسول الله (ص) وأنا نائم على المنامة فاستسقى الحسن أو الحسين قال : فقام النبي (ص) الى شاة لنا بكىء (هـ) فحلبها فدرت فجاءه الحسن فنجاه النبي (ص) فقالت فاطمة : يا رسول الله كأن أخاه احبهما اليك • قال : لا ولكنه استسقى قبله • ثم قال : اني واياك وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة اهـ •

بخ بخ هذا هو الفضل الذي بخع له الاولون والآخرون ، فلا يلحقهم بعده لاحق ولا يطمع في ادراكهم طامع ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم •

هذا آخر ما وسعته العجالة واحتملت هذه الرسالة وقد استقصينا في سبيل المؤمنين (٦) كل ما يدل على تفضيلهم عليهم السلام •

وحسبك في تفضيلها بالخصوص ما أخرجه الطبراني في ترجمة ابراهيم بن هاشم من معجمه الاوسط عن عائشة قالت : ما رأيت أحدا قط أفضل من فاطمة غير أبيها • وسند هذا القول الى عائشة صحيح على شرط البخاري ومسلم ، صرح بذلك ابن حجر في ترجمة الزهراء من أصابته والنبهاني في آخر صفحة ٥٨ من الشرف المؤبد •

(٥) أي قل لبنها وقيل انقطع ، وهذا الحديث أشار اليه صاحب لسان العرب في مادة بكأ •

(٦) نكبتنا في سبيل المؤمنين سنة ١٩٢٠ غربية وهي سنة ١٣٣٨ هجرية

وأخرج ابن عبد البر في ترجمة الزهراء من استيعابه بالاسناد الى ابن عمير قال : دخلت على عائشة فسألتها أي الناس كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قالت : فاطمة • قلت : فمن الرجال ؟ قالت : زوجها •

وأخرج في ترجمتها (ع) من الاستيعاب أيضا عن بريدة قال : كان أحب الناس الى رسول الله من النساء فاطمة ومن الرجال علي • وقالت عائشة : ما رأيت

يوم رزئنا بجمل ما ألفناه قبل تلك النازلة التي عمت أبناء عاملة واختصت بهذا الضعيف ، حيث أوغل الغاشمون في طغيانهم ولجوا في عدوانهم ومضوا في التنكيل والتقتيل والتشريد على غلوائهم وأطلقوا في البنادق والمشاقق والنهب والضرب والتحريق والتمزيق أعنة أهوائهم ، ركبوا في ذلك رؤوسهم منهافتين في أعمالهم لا يلوون على أحد ، وكنت في طليعة من تبدد وتشرد • وليتهم كفوا عن تلك الكتب القيمة واكتفوا بما سواها • عند الله احتسب تلك المؤلفات التي أفنيت فيها عمري ورهقني بفقدائها ما نقض مرة صبري ، فانا لله وانا اليه راجعون انشد الله امراء وقع في يده شيء منها الا أثلج به كبدي الحرى فان لكل كبد حرى أجرا ، واليك ضالتي المنشودة ونفائسى المفقودة ١ — شرح التبصرة على سبيل الاستدلال خرج منه كتاب الطهارة وكتاب القضاء والشهادات وكتاب الموارد في ثلاثة مجلدات ٢ — تعاقبة على استصحاب رسائل الشيخ في مجلد واحد ٣ — رسالة في منجزات المريض استدلالية • ٤ — سبيل المؤمنين ثلاثة مجلدات في امامة أئمتنا الاثنى عشر وأحوالهم ومناقبهم وهديهم (ع) لانظير له في موضوعه ٥ — النصوص الجلية في امامة العترة الزكية يشتمل على ثمانين نصا أربعين مما أجمع على صحته المسلمون وأربعين مما انفردت به الامامية وفيه وفي سبيل المؤمنين ما شئت من أدلة عقلية وتقليدية وحكمة فلسفية • ٦ — تنزيل الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة مجلد واحد يشتمل على مائة آية نزلت فيهم بحكم الصحاح المجمع على تصحيحها وقد تكلمنا فيه وفي سبيل المؤمنين بما يوجب التحقيق في العلوم مجانبين فيها الاطباب الممل والايجاز المخل ٧ — تحفة المحدثين فيما أخرج عنه الستة من المضعفين وهذا هو المعجم الاول الذي لم يكتب قبله في هذا الموضوع ٨ — تحفة الاصحاب في حكم اهل الكتاب ٩ — الذريعة في نقض البديعة (أعني بديعة النبهاني) ١٠ — المجالس الفاخرة في ما تم العترة الطاهرة أربعة مجلدات المجلد الاول في السيرة النبوية الدالة

أحداً أصدق لهجة من فاطمة الا أن يكون الذي ولدها (ص) • أخرجه ابن عبد البر في ترجمة الزهراء من استيعابه • والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً •

وكان الفراغ من تأليفها في مدينة صور مستهل رجب سنة الف وثلاث مائة وست وأربعين هجرية بقلم مؤلفها الاقل عبد الحسين بن الشريف يوسف ابن الجواد بن اسماعيل بن محمد بن محمد (٧) بن ابراهيم ويلقب شرف الدين ابن زين العابدين بن علي نور الدين بن نور الدين علي بن الحسين بن محمد ابن الحسين بن علي بن محمد بن تاج الدين المعروف بأبي الحسن بن محمد

بمجردها على نبوته صلى الله عليه وآله وسلم الثاني في سيرة أمير المؤمنين والزهراء والحسن المجتبي ذكرنا منها ما يدل بحكم الفلسفة العقلية على عصمتهم الثالث خاص بسيد الشهداء على وتيرة الاول والثاني الرابع في سيرة التسعة اقتصرنا منها على ما يدل بمجردة على امامتهم وعصمتهم وفي هذه المجالس من الفلسفة ما يحكم العقل والنقل بصحته - وقد طبعت مقدمتها فكانت رسالة لها السبق في موضوعها ١١ - المناظرات الازهرية والمباحثات المصرية كتاب يشمل على مهمات المسائل الخلافية متكفلاً بأثبات الحق من طريق مخالفه ١٢ - مختصر الكلام في مؤلفي الشيعة من صدر الاسلام خرج منه مجلد واحد نشر عنه العرفان في مجلداته الاول والثاني والثالث ، تراجع كثير من الاعاظم ١٣ • - بغية الفائز في نقل الجنائز نشرت العرفان جلها ١٤ - بغية السائل عن لثم الايدي والانامل رسالة فيها أربعون حديثاً من طريقنا وأربعون من طريق غيرنا أدلة على الموضوع وتكلمنا فيها بهذه المناسبة في مطلق التقبيل فكانت رسالة علمية أدبية فكاهية ١٥ - زكاة الاخلاق رسالة شريفة نشرت مجلة العرفان الغراء لمعاً منها ١٦ • - الفوائد والفرائد يعرف موضوعها من اسمها ١٧ - تعليقة على صحيح البخاري ١٨ - تعليقة على صحيح مسلم ١٩ - الاساليب البديعة في رجحان ما تم الشيعة كتاب لم يسبق له في أدلته العقلية والنقلية نظير « ودع عنك نهبا صيح في حجراته » •

(٧) الى محمد هذا ينتهي نسب والدته المؤلف أيضاً فأنها كريمة الهادي بن

محمد علي بن صالح بن محمد المذكور •

ابن عبد الله بن أحمد بن حمزة بن سعد الله بن حمزة بن محمد بن محمد بن عبد الله
ابن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن طاهر بن الحسين بن موسى بن
ابراهيم المرتضى بن الامام أبي الحسن موسى (٨) الكاظم بن الامام أبي عبد الله
الصادق بن الامام أبي جعفر الباقر بن الامام زين العابدين علي بن الامام أبي
عبد الله الحسين سيد الشهداء وسبط سيد الانبياء وخاتم المرسلين صلى الله
عليه وآله وسلم وعليهم أجمعين ♦

(٨) يقال للمؤلف «موسوى» نسبة الى هذا الامام كما يقال ذلك لكل
حسيني تفرع عن شجرة موسى الكاظم عليه السلام ♦ تمت التعليقة بقلم مؤلفها
الاقل عبد الحسين شرف الدين الموسوي سنة ١٣٤٦ هـ والحمد لله ♦

فهرس مطالب الفصول المهمة

صفحة

٣ - الخطبة

٥ - «فصل ١» فيما جاء في الكتاب والسنة من الحض على الاجتماع
والتنديد بأهل التفريق والنزاع ♦

٨ - «فصل ٢» في بيان معنى الاسلام والايمان وفيه ما يوجب القطع بأن
جميع اهل الشهادتين والصوم والصلاة والحج والزكاة اخوان ♦

١١ - «فصل ٣» في صحاح أهل السنة الحاكمة باحترام اهل الاركان
الخمسة كافة وحرمة دمائهم واعراضهم واموالهم وفيه من الاحاديث الصحيحة
والنصوص الصريحة ♦ ما يقطع شغب المشاغب ولا يبقى معه أثر لهذيان
النواصب ♦

١٨ - «فصل ٤» في يسير من نصوص أئمتنا عليهم السلام في الحكم
باسلام اهل السنة وانهم كالشيعة في جميع الآثار التي تترتب على مطلق من
كان مسلماً ♦

١٩ - «فصل ٥» في صحاح السنة الحاكمة على أهل الاركان الخمسة
بدخول الجنة وفيه من البشائر ما تقربه النواظر ♦

٢٢ - تنبيه مهم يذود العصاة عن التشبث بما في ذلك الفصل من المباشرات

٢٥ - الاشارة الى صحاحنا وكونها مخصصة العمومات السابقة ♦

٢٦ - « فصل ٦ » في لمعة من فتاوى علماء أهل السنة بإيمان أهل الاركان الخمسة كافة واحترامهم ونجاتهم جميعا وفيه فتاوى كثير من اعلام الامة .

٢٧ - فتوى الامام السبكي بذلك .

٢٨ - فتوى الشيخ بن العربي بذلك .

٢٩ - فتوى صاحب المنار . وفتوى النبهاني . وفتوى العارف الشعرائي

بذلك .

٣٠ - فتوى كل من الروياني والقزويني وعلماء بغداد قاطبة وجمهور العلماء

والخلفاء من الصحابة ومن بعدهم .

٣١ - الاجماع الذي نقله ابن تيمية وفتوى ابن أبي ليلى وأبي حنيفة

والشافعي والثوري وداود بن علي والصحابة .

٣٢ - فتوى الامامين الاشعري والشافعي .

٣٣ - اجماع الشافعية على عدم كفر الخوارج .

٣٤ - قول ابن المنذر لا أعلم أحدا وافق على تكفير الخوارج وكلام ابن

عابدين في أن سب الصحابة ليس بكفر .

٣٥ - قول ابن حزم بعدم كفر المتأولين بسب الصحابة .

٣٦ - ما نقله ابن حزم عن الاشاعرة من القول بعدم كفر الساب لله ولرسوله مطلقا

٣٧ - الاوزاعي لا يكفر احدا من أهل الشهاداتين وابن سيرين والحسن

البصري والزهري والثوري يحكمون بنجاتهم مطلقا .

٣٨ - كلمة لابن المسيب وأخرى لابن عيينة في هذا المعنى . وكلمة في ختام

الفصل للمصنف تأخذ بالاعناق الى الوفاق .

٣٨ - « فصل ٧ » في بشائر السنة للشيعة ويالها من بشائر تحكم بفلاحهم

في الدنيا وسعادتهم في اليوم الآخر .

٤١ - تنبيه لبيان معنى الشيعة المختصين بتلك البشائر أردنا به الرد على

ابن حجر وأمثاله اذ زعموا أنهم هم الشيعة لا نحن .

٤٤ - « فصل ٨ » فيمن تأولوا من السلف فخالقوا الجمهور ولم يقدح

ذلك في عدالتهم والغرض اثبات معذرة المتأولين .

٤٥ - تخلف سعد وحياب عن بيعة السقيفة متأولين .

٤٦ - تخلف علي وأهل بيته وشيعته عنها .

٤٧ - اثبات أن عليا مع الحق والحق معه لا يفترقان .

٤٨ - تخلف أبي سفيان وقوله لعلي أبسط يدك أبابيك . . . الخ .

- ٤٩ - ما كان بين الزهراء وابي بكر اذ هجرته فلم تكلمه حتى ماتت .
- ٤٩ - قتل خالد لما لك بن نويرة ونكاح زوجته .
- ٥٠ - قتل خالد لبني جذيمة وتبرى النبي (ص) من عمله يومئذ .
- ٥١ - تأولهم في الطلاق الثلاث وحكمهم فيه بخلاف ما كان عليه زمن النبي (ص)
- ٥٢ - بيان مذهبنا في الطلاق الثلاث والاستدلال عليه من طريق غير ناراجعه تجده كرسالة (في هذه المسألة) حافلة .
- ٥٣ - تأولهم في المتعتين راجع ما كتبناه هنا فانه حقيق بالمراجعة وهو كرسالة في هذا الموضوع على حده وفيما المقام حقه وعقدنا هناك مباحث : الاول في اصل مشروعية المتعتين واثبات ذلك بالاجماع والكتاب والسنة .
- ٥٤ - تحرير محل النزاع في متعة النساء والرد على الالوسي فيما بهت به الامامية .
- ٥٨ - المبحث الثاني في دوام حل المتعتين واستمرار حكمهما .
- ٦٠ - المبحث الثالث فيما زعموه ناسخا لمتعة النساء وبيان خطاهم في ذلك .
- ٦٢ - المبحث الرابع في اثبات كون المحرم انما هو عمر .
- ٦٣ - المبحث الخامس في الاشارة الى المنكرين من الصحابة على تحريم المتعة
- ٦٦ - النداء بتحليل المتعة ايام المأمون .
- ٦٦ - خاتمة في الاشارة الى من صرح من الاعلام بأن عمر أول من حرم المتعة
- ٦٧ - تأولهم في أذان الصبح حيث زادوا فيه (الصلاة خير من النوم) واثبات انها لم تكن .
- ٦٩ - تأولهم في اسقاط حي على خير العمل مع كونها جزءا من الاذان والاقامة وقد أثبتنا ذلك بالبرهان فجدير بأهل التحقيق والتحديق أن يقفوا عليه .
- ٧٠ - تأولهم في صلاة التراويح وبيان أنها لم تكن ايام رسول الله وابي بكر .
- ٧٢ - تأولهم آية الزكاة اذا أسقطوا سهم المؤلفة قلوبهم .
- ٧٣ - تأولهم آية الخمس حيث صرفوها الى خلاف منطوقها ويليق بما كتبناه هنا في الخمس والزكاة أن يكون رسالة على حدة .
- ٧٥ - تأولهم في صلاة الجنائز حيث جمعوا الناس على اربع تكبيرات .
- ٧٦ - تأولهم في البكاء على الميت حيث حرمه الخليفة الثاني وبيان عدم حرمة راجع ذلك فانه من (الاساليب البديعة) في رجحان ماتم الشيعة .
- ٧٩ - تأولات للسلف عديدة نلفت اليها كل باحث .

٨١ - تنبيه الى أن بعض الصحابة كانوا لا يتعبدون بالنصوص المتعلقة بالسياسة بل كانوا يتأولونها ولذلك تأولوا النص بالخلافة على علي ومن راجع هذا البحث رأى الحقيقة بأجلى مظهرها •

٨٢ - بيان الاسباب التي دعتهم الى تأول ذلك النص فمنها أنه غلب على ظنهم أن العرب لا تخضع لعلي حيث أنه وترها وسنك دماءها ومنها ان العرب كانت تنقم منه عدله ومساواته ولم يكن لها فيه مطمع ومنها أنهم كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من فضله •

٨٣ - ومنها أنهم كانوا قد تشرفوا الى تداول الخلافة بينهم وقد رأوا تعبدهم بالنص مانعا لهم من ذلك ومنها أنهم كرهوا أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم ٨٤ - الاسباب التي منعت عليا وشيعته من المقاومة واضطرته الى عدم القيام بأمر الناس والسر في قعوده في بيته حتى أخرجوه كرها • ودلالة ذلك على أصالة رأيه وشدة احتياطه على الاسلام •

٨٥ - تأول الخليفة الاول وأتباعه للنصوص الصريحة بالخلافة على أمير المؤمنين عليه السلام كما تأولوا من غيرها نصوصا كثيرا • ٨٥ - منها تأولهم في سرية أسامة فراجع ذلك تجد فيه من الفوائد الجمة ما لا غني لك عنه •

٩١ - ومنها تأولهم في رزية يوم الخيبر حيث قالوا هجر رسول الله (ص) فراجعها لتقف على أبحاث هناك مهمة ولتعلم الحكمة في ترك النبي (ص) يومئذ لكتابة ذلك الكتاب •

٩٦ - ومنها تأولهم يوم تبوك •

٩٦ - ومنها تأولهم يوم الحديبية فراجع وحق لمثله أن يراجع •

٩٨ - ومنها تأولاتهم يوم بدر فراجعها فانها مما يجب أن تراجع وقد الهنا الله تعالى هناك الى تفسير الآية بما لم نسبق اليه وله الحمد •

١٠٢ - تأولاتهم يوم أحد وهي عديدة فراجعها وحق لها أن تراجع وقد أستطردنا مواقف أمير المؤمنين يومئذ التي عجت منها ملائكة السماء •

١٠٧ - تأولهم يوم مات ابن أبي المنافق •

١٠٨ - تأولهم يوم ضربوا أبا هريرة منعاه عن تبليغ ما أمره النبي يومئذ

بتبليغه •

- ١٠٨ - تأولهم اذ تركوا قتل من أمروا بقتله من أهل الفتن والفساد في الارض
- ١١٠ - تأولهم اذ خالفوا رأي النبي (ص) ووافقوا رأي المشركين في رد بعض المؤمنين اليهم ليفتنوهم عن دينهم *
- ١١٠ - تأولهم اذ لمزوه صلى الله عليه وآله وسلم في الصدقات *
- ١١١ - تأولهم اذ تنزهوا عن الشيء يرخص فيه رسول الله (ص) *
- ١١٢ - تأولهم في شأن حاطب اذ كذبوه وشتموه بعد شهادة النبي (ص) بصدقه وقوله لهم لا تقولوا له الا خيرا *
- ١١٣ - موارد تأول عثمان وهي كثيرة فراجعها لتعلم بمعذرة المتأولين *
- ١١٤ - والا بلغ في معذرة المتأولين من كل ما سبق اجماعهم على عدالة عثمان وعدالة المجليين عليه كعائشة وطلحة وغيرهما *
- ١١٤ - تأول عائشة وطلحة والزبير فيما فعلوه يوم الجمل الاصغر مع عثمان ابن حنيف وشيعة علي من القتل والنهب والمثلة وتأولهم يوم الجمل الاكبر فيما فعلوه مع أمير المؤمنين (ع) *
- ١١٥ - الحاق معاوية لزياد بأبي سفيان *
- ١١٦ - عهده بالخلافة الى شريره المتنك وسكيره يزيد المفضوح والاشارة الى بعض ما قد ترتب على ذلك يوم الطف ويوم الحرة *
- ١١٨ - فصب المجانيق على مكة وهدم الكعبة وحرقتها وفضائع آخر ليزيد وكون أبيه يعلم بأنه ممن لا يؤتمن على تقير ولا يولى أمر قطير ومع ذلك فقد غش الامة وسلطه عليها *
- ١١٩ - الاخبار الدالة بأن معاوية ملعون لمحabbاته وأنه من أهل جهنم *
- ١١٩ - قتله عمر بن الحقيق الخزاعي *
- ١٢٠ - قتله حجرا وأصحابه ودسه السم الى الحسن (ع) *
- ١٢١ - الاشارة الى يسير من بوائق معاوية وجرائم عماله *
- ١٢٢ - سبى المسلمات من نساء همدان وذبح طفلي عبد الله بن العباس وأمهما تنظر اليهما *
- ١٢٣ - فضائع سمرة بن جندب أيام معاوية *
- ١٢٤ - الاشارة الى فضائع زياد حين ولاد معاوية على الكوفة والبصرة والمشرق كله وسجستان وفارس والسند والهند *
- ١٢٥ - حرب معاوية لآخي النبي (ص) ووصييه ونفسه في آية المباهلة وولايه

١٢٦ - لعنه بقنوت الصلاة رجالا أذهب الرجس عنهم محكم التنزيل وهبط بتطهيرهم جبرائيل وباهل بهم النبي بأمر ربه الجليل وما أكتفى بذلك حتى أمر الناس بلعن أمير المؤمنين ♦

١٢٨ - النصوص الدالة على كفر من سبه أو عاداه أو آذاه ♦

١٣٠ - اذا صح اجتهد معاوية في ذلك فاجتهادنا في جواز سبه أولى بالصحة

١٣١ - «فصل ٩» فيمن أفتى بكفر الشيعة وتفصيل ما استدلل به على ذلك ♦

١٣١ - نص الفتوى بذلك نقلا من كتاب الفتاوى الحامدية ♦

١٣٢ - استقطاع تلك الفتوى والانكار على المفتي بها ♦

١٣٤ - الرد عليه أجمالا وتزييف قوله بغيرهم وكفرهم ♦

١٣٥ - الوجه الاول في تزييف قوله بأن الشيعة تستخف بالدين وتهزأ بالشرع المبين واثبات كونهم احوط الناس على الدين وأعظمهم تقديسا للشرع المبين ♦

١٣٧ - الوجه الثاني في تزييف قوله بأنهم يهينون العلم والعلماء واثبات أنهم اشد الناس للعلماء تعظيما ♦

١٣٩ - الوجه الثالث في تزييف قوله أنهم يستحلون المحرمات ويهتكون الحرمات واثبات أنهم ابعد الناس عن المحرمات وأحوطهم على الحرمات وقد استطرنا ذكر الحدود الشرعية على رأي الامامية ♦

١٤٣ - الوجه الرابع في تزييف قوله بأنهم كفروا بأنكارهم خلافة الشيخين وبيان أن لاوجه لتكفير المسلمين بانكار سياسة خالية وخلافة ماضية هي ليست من اصول الدين باجماع المسلمين وقد تكلمنا هناك بما يوجب العلم وتقتضيه الادلة العقلية والنقلية فلا يمكن جحوده فليراجع بتدبر وأمعان ♦

١٤٥ - الوجه الخامس في تزييف قوله بأنهم يتكلمون في حق السيد عائشة بما لا يليق من أمر الافك والعياذ بالله وبيان أن هذا مما لا صحة له وأن مضمون مسألة الافك محال ممتنع عند الشيعة عقلا وأنهم لا يجيزونه على جميع نساء الانبياء حتى امرأة نوح وامرأة لوط ♦

١٤٦ - نعم ننتقد من أفعال أم المؤمنين خروجها من بيتها وركوبها الجمل وسائر سيرتها مع أهل البيت ♦

١٤٧ - تزييف قوله بأنهم كفروا بسبب الشيخين ♦

١٤٧ - الادلة على عدم حصول الكفر بذلك وهي ستة - الاول الاصل مع

عدم ما يدل على التكفير - الثاني أن الصحابة كانوا يتشائمون على عهد النبي (ص) فلم يكفر أحدا منهم بذلك .

١٤٨ - الثالث عموم الاحاديث الحاكمة بالاسلام على مطلق أهل الاركان الخمسة كافة - الرابع أن رجلا من المسلمين سب الصديق فلم يعامله رضي الله عنه معاملة المرتد بل عامله معاملة غيره من المسلمين .

١٥٠ - الخامس اجماع فقهاءهم ان مجرد السب لا يوجب الكفر وقد ذكرنا كلماتهم في ذلك .

١٥٢ - السادس أنه لا يفتي بالتكفير عندهم الا أن يكون الموجب للكفر مجمعا على ايجابه لذلك وبناء على هذا فلا يمكن التكفير في هذه المسألة مع انعقاد أجماعهم على عدم الكفر بها ولو أنكر الخصم ذلك فحسبه وجود القائل بعدم التكفير فانه مما لا يمكن انكاره .

١٥٤ - « فصل ١٠ » في الاشارة الى يسير مما نسبته الكذابون الى الشيعة وبيان براءتهم منه وقد ذكرنا أن الرامين لهم على أربعة اقسام - القسم الاول طائفة تزلفوا بذلك الى ملوك بني أمية وبني العباس .

١٥٥ - القسم الثاني طائفة حملهم على ذلك الخوف من ميل الناس الى الشيعة فبهتوهم بما بهتوهم به تنفيرا للناس عنهم .

١٥٥ - القسم الثالث طائفة التبس الامر عليهم لاشتراك اسم الشيعة بين الامامية وغيرهم .

١٥٦ - القسم الرابع جماعة اعتمدوا على من تقدمهم فأوهم ينقلون شيئا فنقلوا .

١٥٦ - زعم ابن حزم أن من الامامية من ييجز نكاح تسع نسوة ومنهم من يحرم الكرب وبيان افتراءه واعتدائه بذلك .

١٥٩ - ارجاف الشهرستاني بالامامية والرد عليه فيما نسب اليهم عامة والى زرارة والهشامين ومؤمن الطاق بالخصوص .

١٦٠ - وقد بلغت القحة بجودت باشا الى رمي الشيعة بانكار الصوم والصلاة والحج والزكاة فراجع ما نقلناه عنه وما قلناه في رده .

١٦١ الرد على من نسب اليها تحريم لحم الابل وعدم العدة على النساء

١٦٢ - « فصل ١١ » في الرد على نواصب هذا العصر .

- ١٦٤ - معاتبه الفاضل الرافعي حيث نبذ الشيعة بالرفض ونسب اليهم القول بتحريف القرآن الحكيم وبيان خطاه في ذلك بما لا مزيد عليه .
- ١٧٠ - « فصل ١٢ » في سبب التباعد بين الطائفتين وفيه مقصدان - المقصد الاول فيما ينفر منه الشيعي وهو أمران - الاول التحقير والتكفير - والثاني الاعراض عن مذهب أهل البيت في اصول الدين وفروعه وفي تفسير القرآن وفي الحديث وفي سائر الامور وانكى من ذلك عدم احتجاجة باكثر أئمة أهل البيت (ع) .
- ١٧١ - مع احتجاجة بداعية الخوارج عمران بن حطان .
- ١٧٢ - قول ابن خلدون وشذاهل البيت بمذاهب ابتدعوها والردعليه في ذلك بما يصلح لان يكون رسالة حافلة بالادلة على وجوب اتباعهم وضلال من خالفهم فراجع .
- ١٧٨ - المقصد الثاني في الامور التي ينفر منها السني وبيان أنها مما بهتت بها المبطلون وابداء رأينا في الصحابة رضي الله عنهم وكونه أوسط الآراء .
- ١٧٩ - فهرس اسماء الشيعة من الصحابة مرتبا على حروف الهجاء .
- ١٩٠ - هناك جماعة نافقوا في صحبة الرسول (ص) وظهر نفاقهم بما احدثوه بعده وقد أخبر النبي بأنهم سيرتدون على اعقابهم القهقري .
- ١٩٢ - تصريح القرآن بنفاقهم .
- ١٩٤ - وجوب مودة الذين أستقاموا على ما أمرهم به الله تعالى ورسوله (ص) وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون .

فهرس الكلمة الغراء

في تفضيل فاطمة الزهراء (ع)

- وهي عبارة عن مطلبين - المطلب الاول في دلالة الكتاب - وقد ذكرنا منه اربع آيات في اربعة فصول .
- ١٩٧ - « الفصل الاول » في آية المباهلة ووجه دلالتها وبيان نكاتها البيانية .
- ١٩٩ - روعة زعماء نجران حين برز أصحاب الكساء لمباہلتهم .
- ٢٠١ - دلالة الآية على كون علي بمنزلة نفس النبي (ص) وكلام الرازي في ذلك .
- ٢٠٣ - « الفصل الثاني » في آية التطهير ونزولها في الخمسة (ع) .
- ٢٠٤ - بيان السر في حجه (ص) اياهم بذلك الكساء .
- ٢٠٧ - البرهان على اختصاص الآية بالخمسة .

- ٢٠٩ — قول عكرمة ومقاتل باختصاص الآية بالنساء تشبهاً بالسياق ♦
- ٢٠٩ — كون عكرمة من دعاة الخوارج وكذبة المحدثين ♦
- ٢١٢ — كون مقاتل من أعداء علي وأهل البيت وكونه كذاباً مرجئاً مشبهها ساقطاً ♦
- ٢١٣ — الرد على عكرمة ومقاتل فيما زعماه من تخصيص الآية بالنساء وتزييف دليهما بأربعة وجوه ♦
- ٢١٤ — قول بعضهم بأن المراد من أهل البيت في الآية كل من حرمت عليهم الصدقة وبيان دليله على ذلك وإبطال دليله من وجهين ♦
- ٢١٦ — قول قوم بأن الآية شاملة للزوجات ولأصحاب الكساء جمعاً بين الأدلة والسياق ورده بوجوه ثلاثة ♦
- ٢١٧ — « تنبيهان » أحدهما أن الآية دلت على عصمة الخمسة ، ثانيهما أنها دلت على إمامة أمير المؤمنين (ع) ♦
- ٢١٨ — « الفصل الثالث » في آية المودة والاختار الماثورة في نزولها بعلي وفاطمة وأبنائهما ♦
- ٢٢٢ — التعجب من حسدة آل محمد (ص) وصرفهم الآية عنهم والذي عرفناه من أقوالهم أربعة أقوال ♦
- ٢٢٣ — القول الأول أن الله تعالى أمر نبيه أن يقول لمشركي قريش لا أسألكم أجراً إلا أن تودوني في قرابتي منكم وقد زيفناه بخمسة وجوه ♦
- ٢٢٤ — القول الثاني أن معناها لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوا القربى من الله بالأعمال الصالحة — والثالث أن معناها لا أن تودوا قرابتكم — والرابع أن الآية منسوخة وقد بينا بطلان هذه الأضاليل بما لا مزيد عليه ♦
- ٢٢٥ — بقى للقوم اعتراضان ذكرناهما وزيفناهما ♦
- ٢٢٩ — قطع أكابر أهل السنة بنزول آية المودة في أهل البيت ♦
- ٢٣٠ — « الفصل الرابع » في آيات الأبرار ونزولها فيهم عليهم السلام ♦
- ٢٣٢ — شرح آيات الأبرار ، والاشارة الى ما تضمنته من الأسرار ♦
- ٢٣٩ — المطلب الثاني في دلالة السنة وفيها من الأحاديث الصحيحة ما تضيق عنه هذه الرسالة وقد اكتفينا بأثني عشر حديثاً فراجعها ♦

من منشورات دار النعمان في النجف خلال شهرين

المراجعات للامام السيد عبد الحسين شرف الدين
التكامل في الاسلام - الجزء الرابع للاستاذ أحمد أمين
شبهات حول الاسلام محمد قطب
الفصول المهمة في تأليف الامة للامام شرف الدين
المختصر النافع للحلي
لواعج الاشجان وكتاب الايقاد

وتحت الطبع كتب عديدة سوف يعلن عنها قريبا مختلفة
الانواع والعلوم منها كتاب

النص والاجتهاد

تأليف

الامام عبدالحسين شرف الدين الموسوي

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

